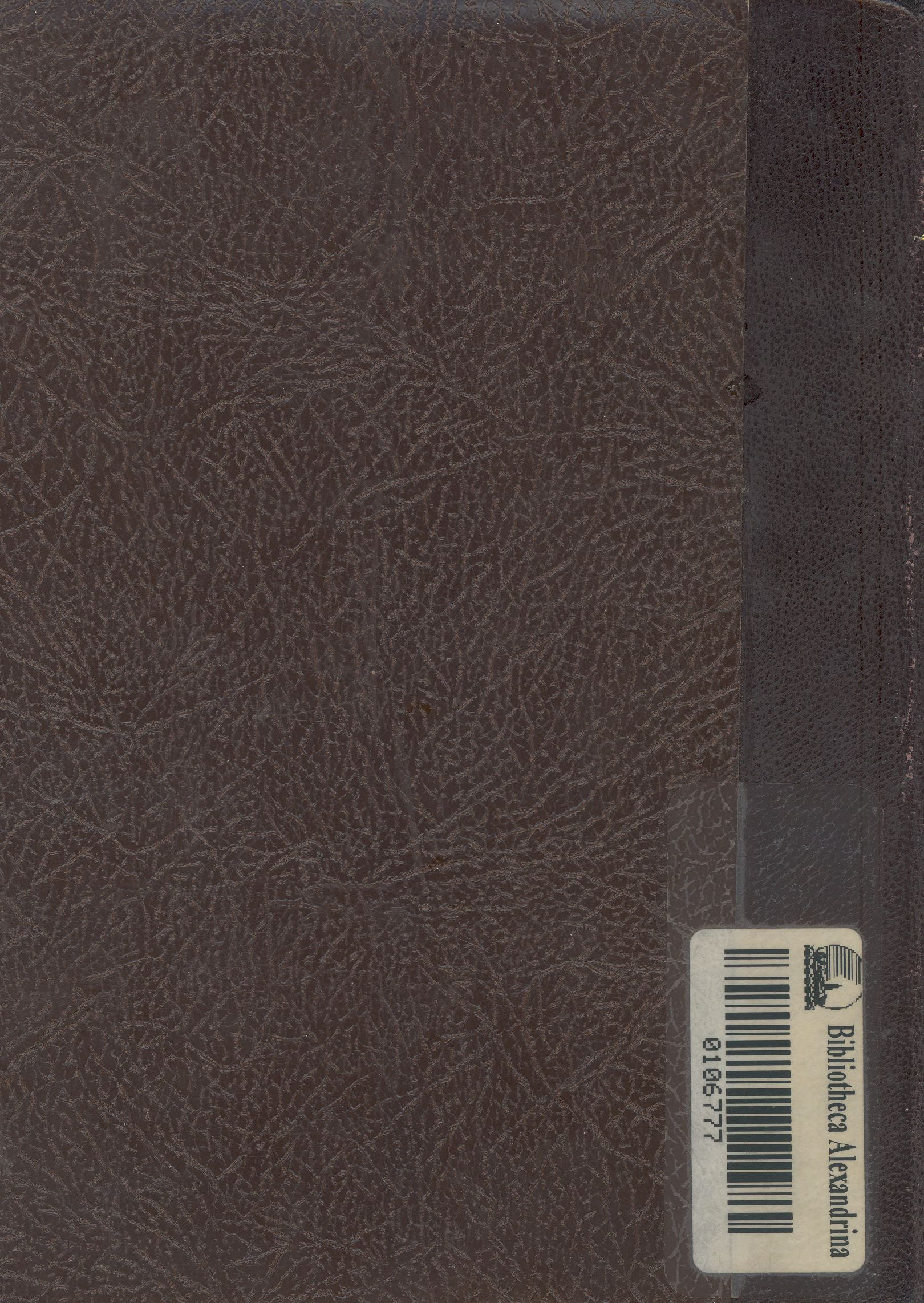

Bibliotheca Alexandrina
0106777

التنوير في إسقاط التدبير

تأليف

الشيخ الإمام القطب الرباني ابن عطاء الله السكندري

تحقيق، وتعليق

موسى محمد علي الموشي   عبد العال أحمد العرابي

"ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم"

"سهل بن عبد الله"

إن كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا

أبو الحسن الشاذلي

أرح نفسك من التدبير فما قام به غيرك عنك لا تقم به أنت لنفسك

"ابن عطاء الله السكندري"

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

لفضيلة الدكتور محمد عبد الرحمن بيصار

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

الحمد لله وفق للطاعة ، وهدى إلى سواء السبيل سبحانه وتعالى عز من إله جليل تفرد بالخلق والتدبير وتكفل بالرزق والتقدير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير . والصلاة والسلام على خير العباد والمرسلين أجمعين المبعوث رحمة للعالمين محمد بن عبد الله قدوتنا فى الرضا والتسليم .

وبعد

فان الامام القدوة العارف بربه المشهور بحبه سيدى تاج الدين أبا الفضل احمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندرى رضى الله عنه يعتبر من أئمة الصوفية الكبار ومن أعلامها الثقات الذين ألزموا أنفسهم فالتزمت ، وأمروها فائتمرت ونهوها فانتهت خنوعه

لربها وخضوعا بقلبها استمسا كا بودها وحبها فهو ممن صافوا فصفت نفوسهم وتواضعوا فعلت رؤسهم .

إنه واحد من المؤمنين ذويّ التسليم المطلق للإله الخالق المدبر قيوم الأرض والسموات ، إنه واحد من المتوكلين فى كل أمورهم على ربهم الراضين بما قسمه لهم أو حكم به عليهم ، إنه يرى أن الإيمان لا تحصل حقيقته للمرء إلا بأمرين :

أحدهما الإمتثال لأمره تعالى .

وثانيهما الاستسلام لقهره سبحانه .

ولمولانا ابن عطاء الله السكندرى منهج خاص فى تفكيره وسلوكه وحكم ابن عطاء تمضى بين الناس فى رحلة خالدة وكأنها شمس تنير للحيارى ظلام الطريق .

والكتاب الذى تقدمه الأمانة العامة لمجمع البحوث الاسلامية (التنوير فى اسقاط التدبير) لابن عطاء الله السكندرى هو واحد من كتب السادة الصوفية التى لها وزنها وقد قام اثنان من أبنائها هما : الشيخ موسى محمد على الموشى ، والشيخ عبد العال احمد

العرابى - بتحقيقه تحقيقا علميا عميق البحث واسع الاطلاع بعد الاطلاع على نسخه المختلفة المخطوط منها والمطبوع تلبية لنداء الضمير واستجابة لهتاف الروح . وقد جهد جهدا واضحاً مشكوراً ومأجوراً بإذن الله فى اخراجه على هذه الصورة التى بين أيدى القراء استخلاصا مما رجاه وتحرياه .

نسأل الله سبحانه أن ينفع به المسلمين ويوفقهم فى الدنيا والدين ليقتدوا فيهتدوا وليتبعوا فيسعدوا ، إنه سبحانه وتعالى على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير ؟

الأمين العام لمجمع البحوث الاسلامية

دكتور محمد عبد الرحمن بيصار

بسم الله الرحمن الرحيم

« وبه نستعين »

مقدمة

اللهم إنا نضرع إليك ، ونهرول نحوك ونجاهد نفوسنا فى خدمتك وطاعتك ، ونركب الصراط القويم الذى رسمته لنا إلى مرضاتك ، فقونا بقوتك ، وأعزنا بعزتك ، واحفظنا بقدرتك ، وألهمنا رشدك وتوفيقك وبلغنا الدرجة العليا ، وارحمنا برحمتك التى وسعت بها كل شيء علما .

وامنحنا اللهم برك وجودك ، وإحسانك وإنعامك ، واجعلنا من القاصدين إليك ، ومن المتوكلين عليك ، ومن الداعين بدعوتك ، والسالكين صراطك المستقيم ،صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين .

اللهم لك الحمد حمدا يوازى نعمك، ويليق بكمالك ، ونسألك اللهم أن تصلى وتسلم على خير أحبابك ، وخاصة أنبيائك ، عبدك ونبيك ،

وخيرتك من خلقك ورسولك، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم الذى أرسلته بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا .

فكان صلوات الله وسلامه عليه، للعالمين رحمة ،وبالمؤمنين رءوفا.

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين آمنوا به، وعزروه، ونصروه، واتبعوا النور الذى أنزل معه ، فسلكوا طريقه ، وكرعوا من بحر شريعته ، وارتووا من نهر حقيقته ، حتى صاروا بصفاتهم فى صفاء ، وبخوفهم من مولاهم فى أمن وأمان ،وسلام وتسليم ، وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين .

فـ « الحمد لله الذى خلع على أوليائه خلع إنعامه فهم بذلك له حامدون واختصهم بمحبته ، وأقامهم فى خدمته ، فهم على صلاتهم يحافظون ، ودعاهم إلى حضرته ، وأظهر فيها مراتبهم ، فالسابقون السابقون ، أولئك المقربون ، وفتح لهم أبواب حضرته ، ورفع عن قلوبهم حجاب بعده فهم بين يديه متأدبون .

ولاطفهم بوده ، وأمنهم من إعراضه وصده ، « ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون »

ونور بصائرهم بفضله، وطهر سرائرهم ،وأطلعهم على السر المصون. وصانهم عن الأغيار ،وسترهم عن أعين الفجار ، لأنهم عرائس »

ولا يرى العرائس المجرمون .

فإذا مرّ عليهم ولى من أولياء الله ينسبونه إلى الزندقة والجنون ،

وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون .

فمنهم المفكر لكراماتهم ، ومنهم المنتقص لمقاماتهم ، ومنهم الثالب لأعراضهم ومنهم المعترضون يعترضون على أحوالهم ، ويخوضون بجهلهم فى مقالهم ، وبهم يستهزئون .

« الله يستهزىء بهم ويمدهم فى طغيانهم يعمهون »

فسبحان من قرب أقواماً ، واصطفاهم لخدمته ، فهم على بابه لا يبرحون .

وسبحان من جعلهم نجوما فى سماء الولاية ، وجعل أهل الأرض بهم يهتدون .

وسبحان من أباحهم حضرة قربه ، والمنكرون عليهم عنها مبعدون .

فالأولياء فى جنة القرب متنعمون ، والمنكرون فى نار الطرد والبعد معذبون ، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، شهادة شهد بها المؤمنون ،

وأشهد أن سيدنا ونبينا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله النور المخزون والسر المصون .

اللهم فصل وسلم عليه وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ، وصحبهم أجمعين [1] .

وبعد : فيقول صلوات الله وسلامه عليه ،فيما رواه البخارى ومسلم :

« . . . ألا وإن فى الجسد مضغة ، إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ، ألا وهى القلب » .

ويقول أيضا فيما رواه البخارى :

« الإيمان بضع وسبعون شعبة ،أعلاها قول : لا إله إلا الله ، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق ، والحياء شعبة من الإيمان » .

ويقول الفقيه العالم ابن عابدين فى حاشيته :

« إن علم الاخلاص والعجب ، والحسد ، والرياء ، فرض عين ، ومثلها غيرها من آفات النفوس ، كالكبر، والشح ، والحقد، والغش والغضب ، والعداوة ، والبغضاء ، والطمع ، والبخل ، والبطر ، والخيلاء، والخيانة ، والمداهنة ، والاستكبار عن الحق ، والمكر ، والمخادعة ، والقسوة ، وطول الأمل ، ونحوها مما هو مبين فى ربع المهلكات من الإحياء . قال فيه :

---

(١) مقتبس من الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى رضى الله عنه .

« ولا ينفك عنها بشر ، فيلزمه أن يتعلم منها ما يرى نفسه محتاجا إليه[1] » اهـ.

ويقول صاحب الهدية العلائية أيضا :

وقد تظاهرت نصوص الشرع والإجماع على تحريم الحسد ، واحتقار المسلمين ، وإرادة المكروه بهم ، والكبر ، والعجب ، والرياء ، والنفاق وجملة الخبائث ، من أعمال القلوب ، بل السمع ، والبصر ، والفؤاد ، كل ذلك : كان عنه مسئولا مما يدخل تحت الاختيار[2] » اهـ.

أما صاحب مراقي الفلاح ، فإنه يقول :

« لاتنفع الطهارة الظاهرة إلا مع الطهارة الباطنة ، بالإخلاص ، والنزاهة عن الغل والغش والحقد ، والحسد ، وتطهير القلب عما سوى الله من الكونين ، فيعبده لذاته لا لعلة ، مفتقرا إليه ، وهو يتفضل بالمن لقضاء حوائجه المضطر بها ، عطفا عليه ، فتكون عبدا فردا للمالك الأحد الفرد ، لايسترقك شيء من الأشياء سواه ، ولايستملك هواك عن خدمتك إياه » اهـ.

---

(١) حاشية ابن عابدين المسماة رد المحتار على الدر المختار شرح تنوير الأبصار جـ ١ ص ٣١ .

(٢) الهدية العلائية : علاء الدين عابدين ص ٣١٥

ها هى نصوص وآثار ، تبين بحق : أن صلاح القلب صلاح الجسد كله ، وفساد القلب ، فساد للجسد كله ،وأن ذكر الله تعالى — يعنى قول لا إله إلا الله ـ أعلا شعب الإيمان ، وأن العجب ، والحسد، والرياء ، والكبر ، والشح ، والحقد ، والغش والغضب ، والعداوة . . . الخ من الخصال الذميمة ، والخبائث الممقوته المحرمة ، التى نهى الله عنها ، وأمرنا باجتنابها ، والكف عنها ، وجهاد النفس من أجلها ، وتنقية القلب من أوضارها .

كما تبين لنا كذلك : أن الطهارة الظاهرة لا تنفع إلا مع الطهارة الباطنة.

وأن الطهارة الباطنة لا تكون إلا بالإخلاص والنزاهة عن الغلّ والغش ، والحقد والحسد وتطهير القلب عما سوى الله تعالى .

تبين لنا ذلك كله : بل إنه تبين لنا أن الإجماع ،ونصوص الشرع الحكيم ، تظاهرت على تحريم الحسد ، واحتقار المسلمين . . . الخ .

ولما كان علم التصوف هو الذى اختص بمعالجة هذه الأمراض القلبية ، وتزكية النفس والتخلص من هذه الخصال الذميمة الناقصة المرذولة.

لما كان علم التصوف كذلك، بل لما كان علم التصوف هو الذى اهتم بهذا الجانب القلبى ، فضلا عما يقابله من العبادات البدنية ، والمالية

الأخرى ، آثرنا أن يكون عملنا الذى نبتغى به وجه الحق سبحانه ، إبراز أحد كنوز علم من أعلام التصوف الذى يعالج ذلك كله .

هذا الكنز الذى جمع بين علمى الشريعة والحقيقة ، والذى يُعدّ بحق : دليلا واضحا للحائرين ، ومنهجا قويما للسالكين ، ودربا واسعا يسير فيه العارفون بالله رب العالمين، هو كتاب . « التنوير فى اسقاط التدبير » .

الذى يقول الشيخ ابن عباد فى وصفه ، وفى وصف الحكم العطائية :
« . . وهما أخوان من أب واحد ، وأم واحدة » اهـ .

والذى قال عنه ابن عجيبة حينما أراد ، أن يتحدث عن ابن عطاء الله ، وعدم تدبيره :

« ... وقد ألف الشيخ رضى الله عنه فيه كتابا سماه « التنوير فى اسقاط التدبير » أحسن فيه وأجاد » اهـ .

وكتاب التنوير الذى بين أيدينا الآن ، انفرد بهذا الإعجاب العجيب ، حتى افتتن به الكثير من رجال القلوب والبصائر ، وأسلموا قيادهم لله سبحانه فى أمورهم ، بسبب ما كشف لهم فيه عن غوامض سر عدم تدبيرهم ، وسقوط اختيارهم ، وذلك لما اشتمل عليه من فوائد

مفيدة ، فى التوجيه والإرشاد إلى التسليم ، وعدم منازعة المقادير ، والتزام الخلق بإسقاط التدبير مع الخالق .

من هذه الفوائد المفيدة :

« اعلم أن الأشياء إنما تذم وتمدح بما تؤدى إليه ، فالتدبير المذموم : ما شغلك عن الله ، وعطلك عن القيام بخدمة الله ، وصدّك عن معاملة الله .

والتدبير المحمود : هو الذى يؤديك إلى القرب من الله ، ويوصلك إلى مرضاة الله » اهـ .

ثم اقرأ من فوائده إن شئت ما به يسقط تدبيرك :

« اعلم أن الحق سبحانه تولاك بتدبيره على جميع أطوارك ، وقام لك فى كل ذلك بوجود إبرازك .

فقام لك بحسن التدبير يوم المقادير : «يوم ألست بربكم؟ قالوا : بلى» .

ومن حسن تدبيره لك : أن عرفك به فعرفته ، وتجلى لك فشهدته ، واستنطقك وألهمك الاقرار بربوبيته فوحدته ؛ ثم إنه جعلك نطفة مستودعة فى الأصلاب ، تولاك بتدبيره هنالك ؛ حافظاً لك ، وحافظاً لما أنت فيه ، موصلا لك المدد بواسطة ما أنت فيه من الآباء ، إلى أبيك آدم .

ثم قذفك فى رحم الأم فتولاك بحسن التدبير ، وجعل الرحم لك أرضاً ، يكون فيها نباتك ، ومستودعاً تعطى فيها حياتك ، ثم جمع بين النطفتين ، وألف بينهما ، فكنت عنهما لما بنيت عليه الحكمة الإلهية من أن الوجود كله مبنى على سرّ الازدواج ؛

ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد سبحانه أن ينقلها إليه ، ثم بعد العلقة مضغة ، ثم فتق سبحانه فى المضغة صورتك ، وأقام فيها بنيتك ، ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ، ثم غذاك بدم الحيض فى رحم الأم ، فأجرى عليك رزقه ، من قبل أن يخرجك إلى الوجود .

ثم أبقاك فى رحم الأم حتى قويت أعضاؤك ، واشتدت أركانك ، ليهيئك إلى البروز إلى ما قسم لك أو عليك ، وليبرزك إلى دار يتعرف فيها بفضله وعدله إليك ، ثم لما أنزلك إلى الأرض ، علم سبحانه أنك لا تستطيع أن تتناول خشونات المطاعم وليس لك أسنان ولا أرحى ، تستعين بها على ما أنت طاعم ، فأجرى الثديين بالغذاء اللطيف ، ووكل بهما مستحث الرحمة التى جعلها فى قلب الأم ، فكلما وقف اللبن على البروز ، استحثته الرحمة التى جعلها لك فى قلب الأم ، مستحثا لا يفتر ، ومستنهضا لا يقصر .

ثم إنه شغل الأب والأم بتحصيل مصالحك ، والرأفة عليك ،

والرحمة والنظر بعين المودة منهما إليك ، وما هى إلا رأفته ساقها للعباد فى مظاهر الآباء والأمهات ، تعريفا بالوداد. وفى حقيقة الأمر : ما كفلتك إلا ربوبيته ، وما حضنتك إلا ألوهيته .

ثم ألزم الأب القيام بك إلى حين البلوغ ، وأوجب عليه ذلك رأفة منه بك ، ثم رفع قلم التكليف عنك ، إلى أوان تكمل الأفهام ، وذلك عند الاحتلام ، ثم إلى أن صرت كهلا لم يقطع عنك نوالا ، ولا فضلا ، ثم إذا انتهيت إلى الشيخوخة ، ثم إذا قدمت عليه ، ثم إذا حشرت إليه ، ثم إذا أقامك بين يديه ، ثم إذا سلمك من عقابه ، ثم إذا أدخلك دار ثوابه ، ثم إذا كشف عنك وجود حجابه ، وأجلسك مجالس أوليائه وأحبابه ، قال سبحانه :

« إن المتقين فى جنات ونهر ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

فلأى إحسانه تشكر ؟ ولأى أياديه تذكر ؟ واسمع قوله سبحانه :

« وما بكم من نعمة فمن الله » تعلم أنك لم تخرج عن إحسانه ، ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه » اهـ .

بهذه الدرر الغالية الثمينة ، ولهذه الأسرار البالغة العجيبة ، اقتطفنا من كنوز كتاب التنوير ، ما اقتطفنا لنثبت عن اقتناع ، صدق ما قلنا

عن تفرد هذا الكتاب بالعجب العجاب وحده ، والسر المصون الذى انطوى عليه سجله النافع لمن تصفحه وقرأه :

وحسب ما جاء من كتاب التنوير فى إسقاط التدبير ، تأييداً قول الرسول صلى الله عليه وسلم :

« إن الله جعل الروح والراحة فى الرضى واليقين »

وقول أحمد بن مسروق :

« من ترك التدبير فهو فى راحة »

وقول سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

« لا تختر من أمرك شيئاً ، واختر أن لا تختار ، وفر من ذلك المختار ، ومن فرارك ومن كل شىء ، إلى الله تعالى ، وربك يخلق ما يشاء ويختار » اهـ

أما الشيخ أبو محمد عبد العزيز المهدوى رضى الله عنه ، فله فى هذا المعنى كلام نفيس أيضاً يقول فيه :

« من لم يكن فى دعائه تاركاً لاختياره ، راضياً باختيار الحق تعالى له ، فهو مستدرج ، وهو ممن قيل فيه .

اقضوا حاجته ، فإنى أكره أن أسمع صوته .

فإن كان مع اختيار الله تعالى ، لا مع اختياره لنفسه كان مجابا ، وإن لم يعط ، والأعمال بخواتيمها » اهـ .

ها هو كتاب « التنوير فى إسقاط التدبير » الذى اخترنا ابرازه فى صورة واضحة المعالم ، جيدة الفكرة ، عامة الفائدة ، محببة للنفوس ، طيبة فى القلوب .

وقد اخترنا هذا الكتاب بالذات : نظراً لما له من أهمية يعجز الوصف عن توضيحها ، لما احتوى عليه من تنوير الأذهان ، وتهذيب النفوس ، وتوطين القلوب على الإذعان لله ، والتسليم لأحكامه ، واسقاط التدبير فى أى شىء معه سبحانه ، وعدم منازعة مقاديره تعالى :

« فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما » .

* * *

أما العلم العالم العامل ، الولى الزاهد العارف ، القطب الشهير الواصل ، الذى عرف ربه فهرول إليه ، ورغب فى الحق سبحانه وتعالى ، فأعرض عن كل شىء دونه .

إنه العلم التقى الصافى ، الذى عرف مولاه فجد وشد المئزر فى خدمته سبحانه ، لا لشىء سوى مشاهدته ، حتى فنى من أجله فى ذاته لا عن ذاته ، وشاهد بعين البصيرة جلاله سبحانه .

ذلك العَلَمَ الوضاء ، والقبس المضيء فى سماء الولاية ، هو مؤلف : « التنوير فى إسقاط التدبير » وهو :

الشيخ الإمام تاج الدين ، وترجمان العارفين ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، بن عبد الرحمن ، بن عبد الله بن أحمد بن عيسى ، بن الحسين ، بن عطاء الله الجذامى نسبا ، المالكى مذهبا ، الإسكندرى دارا ، القاهرى مزارا ، الصوفى حقيقة ، الشاذلى طريقة.

أعجوبة زمانه ، ونخبة عصره وأوانه ، المتوفى فى جمادى الآخرة سنة تسع وسبعمائة .

مكانته العلمية :

أما مكانة صاحب « التنوير فى إسقاط التدبير » العلمية ، فإن صاحب الديباج المذهب يقول :

« كان جامعا لأنواع العلوم من تفسير ، وحديث ، وفقه ، ونحو ، وأصول ، وغير ذلك .

كان رحمه الله متكلما على طريق أهل التصوف ، واعظا انتفع به خلق كثير ، وسلكوا طريقه » اهـ

ومما يؤيد مكانة ابن عطاء الله السكندرى ، العلمية ، على نحو

ماذكر صاحب الديباج ، أن شيخه أباالعباس المرسى رضى الله عنهما ، شهد له بالتقديم ، كما ذكر فى كتاب « لطائف المنن » ، قائلا :

قال لى الشيخ :

« الزم فو الله لئن لزمت لتكونن مفتيا فى المذهبين» يريد مذهب أهل الشريعة أهل العلم الظاهر ، ومذهب أهل الحقيقة أهل العلم الباطن» اه

وقال فيه أيضا :

« والله لايموت هذا الشاب حتى يكون داعيا يدعو إلى الله » اه

وقال فيه كذلك :

« والله ليكونن لك شأن عظيم ، والله ليكونن لك شأن عظيم ،قال: فكان بحمد الله مالا أنكره » (١) ه.

وازدادت مكانة ابن عطاء الله العلمية ، وقوى شأنه فيها ، حتى ألف من الكتب مايعد قمة فى التصوف ومرجعا لمن قصد الأخذ منه ، والاستدلال به .

وله فى هذا الفن مؤلفات مشهورة ، حازت السبق فى ميدان العلماء والتقدير الفائق من المحققين ، والاعجاب الفذ من الأدباء .

ومن مؤلفاته رضى الله عنه :

(١) ايقاظ الهمم لابن عجيبه ص ٩

١ — «التنوير فى إسقاط التدبير» الذى بين أيدينا نقدمه الآن .

٢ — «الحكم العطائية» الذى أجاد تحقيقها أيما إجادة ، وأخلص فى توضيحها أيما إخلاص ، شيخنا العارف بالله تعالى فضيلة الدكتور عبد الحليم محمود ، الدكتور محمود بن الشريف .

٣ — «لطائف المنن» الذى يعتبر بحق من المراجع الهامة ، والكتب القيمة النادرة فى هذا الفن .

٤ — «تاج العروس» الذى استفاض فيه عن عوامل تهذيب النفوس ، استفاضة تامة .

٥ — «مفتاح الفلاح» الذى نال شرف حديث الشيخ عن الذكر ، وكيفية السلوك .

٦ — «القول المجرد فى الاسم المفرد» وهذا الكتاب يُعدّ من السموّ الروحى بمكانة يقف الوصف دونها .

مع التنوير فى إسقاط التدبير :

حينما عقدنا العزم ، وصممنا الإرادة ، على تحقيق هذا الكتاب النفيس ، وإبرازه فى صورة طيبة ، ووضوح واضح لأصحاب الحال والقال خاصة ، وللشغوفين بأعمال القلوب والجوارح عامة ، أخلصنا النية ،

ووجهنا القلب إلى العلى الأعلى ، أن يهبنا التوفيق والسداد ، وأن يمنحنا النجاح والرشاد ، وأن يتم علينا نعمته الكبرى ، ويبسط يده ليأخذ بأيدينا فى انجاز هذا العمل الجاد الذى لن يتحقق إلا لمن ذاق فعرف ، وشاهد فوصل .

والحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله .

لقد قمنا بالبحث والتنقيب فى دور الكتب والمكتبات ، نبحث عن الأصول المخطوطة ، وننقب عن النسخ الدقيقة ، وبعد جهد وزمن ، وصلنا بفضل الله تعالى ، إلى ما أحببنا أن نصبوا إليه ، فوجدنا مخطوطات عدة : بدار الكتب بالقاهرة — ومكتبة الأزهر — ومكتبة سيدى احمد البدوى .

عملنا فى كتاب التنوير :

١ — بعد أن قمنا بالبحث والتنقيب كما أشرنا ، قرأنا مخطوطات عدة ، ثم أخذنا نراجع أصول الكتاب على كل مخطوط على حدة ، نثبت النقص ، وننبه على المزيد ، ونصحح الأخطاء اللغوية والمطبعية التى لا بد من تصحيحها .

٢ — كان جل اعتمادنا فى التحقيق والمراجعة على نسخة فرونية

المخطوطة والموجودة بمكتبة الأزهر ، بعد مراجعتها على جميع النسخ المخطوطة ، والتيقن الكامل بدقة صحتها عن كل ما عداها ، فضلا عن أنها أسبق النسخ أجمع زمانا ، وأقرب إلى المؤلف رضى الله عنه ، عن غيرها .

٣ — كان من الملاحظ وجود سقط كبير تجاوز الصحيفتين فى نسخة (ا) المخطوطة ، وتكرر السقط مرة أخرى فى موضع آخر فى نفس النسخة ، إلا أن هذا السقط لم يوجد فى نسخة فروينة الذى ارتضيناها أصلا ، لذا أثبتناه ونبهنا عليه فى موضعه كما سيأتى إن شاء الله تعالى .

٤ — ورد فى الأصل المطبوع تجاوز فى بعض العبارات التى لم يؤد إسقاطها إلى خلل فى المعنى مثل قوله : « سبحانه وتعالى » عند ذكر لفظ الجلالة ، ومثل قوله : « صلى الله عليه وسلم » عند ذكر لفظ الرسول ، وكذلك فى بعض النسخ المخطوطة ، إلا أن نسخة فروينه التى اعتمدناها لدقتها ، ولسبق زمنها ، وقربها من المؤلف ، توجد بها هذه العبارات . وحيث أن ذكر هذه العبارات لم يضر فى الدين بشىء وحيث أن ذكرها يتضمن الثناء لمستحق الحمد والشكر والثناء ، وهو

الله سبحانه وتعالى ، والثناء كذلك على رسوله ، صلى الله عليه وسلم ، أثبتناها ، ونبهنا عليها .

٥ — خرّجنا كل ما ورد بهذا الكتاب من أحاديث تخريجاً صحيحاً بعد الرجوع إلى مصادرها المعتمدة كصحيح البخارى ، وصحيح مسلم ، وغيرهما من بقية الكتب الستة .

٦ — أثبتنا ضمن التعليقات بالهامش رقم الآية ، واسم السورة لكل آية وردت فى هذا الكتاب من القرآن الكريم .

٧ — كتبنا ترجمة خفيفة تكفى للتعريف بكل عَلَم ذكر بهذا الكتاب النفيس .

٨ — فهرسنا الكتاب بعناوين مناسبة ونبهنا على ذلك فى مواضعه بالهامش .

٩ — نقدم هذا الكنز الثمين ، ونحن نضرع إلى الله العلى القدير ، أن يجعله عملا خالصاً ابتغاء وجهه سبحانه ، وأن ينفع به ، وأن يقدر له الخير والعمل به ، وأن يجازى مؤلفه الجزاء المشكور عنده ، إنه سميع مجيب ، وهو حسبنا عليه توكلنا ، وإليه أنبنا ، وإليه المصير ؟

موسى محمد على الموشى

بسم الله الرحمن الرحيم

[قال الشيخ ، الإمام ، العارف ، القدوة ، المحقق ، تاج العارفين ، لسان المتكلمين ، إمام وقته ، وأوحد عصره ، حجة السلف ، وإمام الخلف ، قدوة السالكين ، وحجة المتقين ، تاج الدين ، أبو الفضل ، أحمد بن محمد بن عبد الكريم ، بن عطاء الله السكندرى ، رضى الله عنه وأرضاه ، ونفعنا به ، ونفع به كافة المسلمين ، إنه سميع قريب مجيب]*

الحمد لله المنفرد بالحق والتدبير ، الواحد فى الحكم والتقدير ، الملك[1] [الذى ليس كمثله شىء وهو السميع البصير[2]] ، ليس له فى ملكه وزير .

المالك : الذى لا يخرج عن ملكه كبير ولا صغير[3] .

(*) ما بين القوسين من نسخة فروينه ، وكلام المؤلف يبدأ بقوله : بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله المنفرد بالحق . . .

(١) وفى نسخة (١) المالك .

(٢) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

المقدس فى كمال وصفه عن الشبيه والنظير .

[المنزه فى كمال ذاته عن التمثيل والتصوير] [١] .

العليم الذى لايخفى عليه ما فى الضمير [٢] :

« ألا يَعْلم من خَلَقَ وهُو اللطيف الخبير [٣] » .

العالم : الذى أحاط علمه [٤] بمبادى الأمور ونهاياتها [٥] .

السميع الذى لايفضل فى سمعه بين جهر الأصوات وإخفاتها .

الرازق [٦] : وهو المنعم على الخليقة بإيصال [٧] أقواتها .

القيوم : وهوالمتكفل بها فى جميع حالاتها .

الواهب : وهو الذى منّ على النفوس ، بوجود حياتها .

---

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه

(٢) وفى فروينه : خافى الضمير .

(٣) الآية : ١٤ من سورة الملك .

(٤) كلمة « علمه » غير موجودة فى فروينه

(٥) وفى نسخة نهايتها .

(٦) وفى نسخة (١) الرازق وكذلك فى فروينه .

(٧) وفى (١) باتصال .

القدير : وهو المعيد لها بعد وجود فاتها.

الحسيب : وهو المجازى لها يوم قدومها عليه بحسناتها وسيئاتها .

فسبحانه [١] من إله منّ على العباد بالجود قبل الوجود ، وقام لهم بأرزاقهم مع كلتا [٢] حالتيهم من إقرار وجحود ، وأمدّ [٣] كل موجود بوجود عطائه ، وحفظ (وجوده [٤]) وجود العالم بامداد بقائه ، وظهر بحكمته فى أرضه ، وبقدرته فى سمائه .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لاشريك له ، شهادة عبد مفوض لقضائه ، مستسلم له فى حكمه وإمضائه .

وأشهد أن سيدنا محمد عبده ورسوله ، المفضل على جميع أنبيائه المخصوص بجزيل فضله وعطائه ، الفاتح الخاتم ، وليس ذلك لسوائه ، الشافع فى كل العباد حين يجمعهم الحق لفصل قضائه ، صلى الله عليه

---

(١) وفى فروينه : سبحانه .
(٢) وفى فروينه : على كلتى حالتهم، وفى (١) مع كلتى حالتيهم .
(٣) وفى نسخة أخرى : أمد .
(٤) كلمة وجوده لم توجد فى فروينه

وعلى سائر[1] أنبيائه ، وعلى آله وصحبه المستمسكين بولائه ، وسلم تسليما[2] كثيرا.

أما بعد[3] : اعلم يا أخي[4] جعلك الله من أهل حبه ، وأتحفك بوجود قربه ، أذاقك من شراب أهل وده ، وأمنك بدوام وصلته من إعراضه وصدّه ، ووصلك بعباده الذين خصهم بمراسلاته ، وجبر كسر قلوبهم لما علموا أنه لا تدركه الأبصار بأنوار تجلياته ، وفتح رياض القرب ، وأهب منها على قلوبهم ، واردات نفحاته وأشهدهم[5] سابق تدبيره فيهم ، فسلموا إليه القياد ، وكشف لهم[6] عن خفي لطفه في صنعه ، فخرجوا عن المنازعة والعناد .

---

(١) وفي (١) لم توجد كلمة : سائر .
(٢) كلمة : « تسليما » غير موجودة في فروينه
(٣) أما بعد : لم توجد في فروينه .
(٤) وفي فروينه. اعلم أخي
(٥) وفي فروينه : أشهدهم بدون واو
(٦) وفي فروينه : وكشف عن خفي لطفه

فهم مستسلمون إليه، ومتوكلون فى كل الأمور عليه ، علما منهم أنه لايصل عبد[1] إلى الرضا إلا بالرضا ، ولا يبلغ إلى صريح العبودية إلا بالاستسلام إلى القضا ، فلم تطرقهم الاغيار ،ولم ترد عليهم الأكدار كما قال قائلهم :

لا تهتدى نوب الزمان إليهم ولهم على الخطب الشديد لجام

يجرى[2] عليهم أحكامه وهم لجلاله خامدون،ولحكمه مستسلمون، كما قال :

تجرى عليك صروفه وهموم سرك مطرقه

وإن من طلب الوصول إلى الله تعالى ، فحقيق عليه أن يأتى الأمر من بابه ، وأن يتوصل[3] إليه بوجود أسبابه .

وأهم ما ينبغى تركه[4] والخروج عنه ، والتطهر منه ، وجود

---

(١) وفى (١) لايصل إلى الرضا إلا بالرضا

(٢) وفى (١) تجرى ، وكذلك فى فروينه

(٣) وفى فروينه : أن يتوسل

(٤) وفى فروينه : وأهم ما ينبغى لك الخروج عنه

التدبير ومنازعة المقادير، فصنفت هذا الكتاب مبينا لذلك ، ومظهرا لما هنالك ،

وسميته : « التنوير فى إسقاط التدبير » ليكون اسمه موافقا لمسماه، ولفظه مطابقا[1] لمعناه ، والله[2] أسأل أن يجعله خالصا لوجهه الكريم ، وأن يتقبله بفضله العميم ، وأن ينفع به الخاص والعام ، بمحمد عليه (أفضل الصلاة[3]) والسلام ، إنه على مايشاء قدير ،وبالإجابة جدير.

« التسليم وعدم التدبير[4] »

قال الله سبحانه[5] وتعالى :

« فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ، ويسلموا تسليما[6] »

وقال تعالى :

---

(١) وفى نسخة أخرى: ولفظه طباق معناه

(٢) وفى فرينه : وأسأل الله أن يجعله لوجهه الكريم .

(٣) وفى فرينه لم يوجد ما بين القوسين .

(٤) العنوان من عمل المحقق

(٥) كلمة سبحانه لم توجد فى فروينه

(٦) سورة النساء آية : ٦٥

« وربك يخلق ما يشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون[١] » .

وقال تعالى :

« أم للإنسان ما تمنى ، فلله الآخرة والأولى[٢] » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« ذاق طعم الإيمان : من رضى بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا »[٣]

وقال صلى الله عليه وسلم :

« اعبد الله بالرضا ، فإن لم تستطع ففى الصبر على ما تكره خير كثير »

إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الدالة على ترك التدبير ، ومنازعة المقادير ، إما نصا صريحا[٤] ، وإما إشارة وتلويحا.

وقد قال أهل المعرفة :

---

(١) الآية ٦٨ من سورة القصص

(٢) الآية (٢٤) و (٢٥) من سورة النجم .

(٣) الحديث رواه الإمام مسلم عن العباس بن عبد المطلب، ورواه أحمد فى مسنده والترمذى .

(٤) وفى (١) إما تصريحا وإما نصا صريحا .

« من لم يدبر دُبر له »

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه :

« إن كان ولابد من التدبير ، فدبروا أن لا تدبروا » .

وقال أيضا :

« لاتختر من أمرك شيئاً ، واختر أن لاتختار ، وفرّ من ذلك المختار ، ومن فرارك ومن كل شىء إلى الله تعالى ، وربك يخلق مايشاء ويختار »

فقوله[1] تعالى فى الآية الأولى : « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم » فيه دلالة على أن الإيمان الحقيقى ،لايحصل إلا لمن حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، على نفسه ، قولا وفعلا ، وأخذاً وتركا ، وحبا ، وبغضا ، ويشمل ذلك حكم[2] التكاليف ، وحكم التصريف[3] والتسليم ، والانقياد واجب على كل مؤمن فى كليهما .

---

(١) وفى فروينه . قوله

(٢) وفى لسخة أخرى . ويشمل ذلك التكليف

(٣) وفى فروينه . التعريف وكذلك فى (أ)

فأحكام التكليف : الأوامر والنواهى ، المتعلقة باكتساب العباد ، وأحكام التصريف ، هو ماأورده عليك [١] من قهر المراد .

فتبين من هذا أنه لايحصل لك حقيقة الإيمان إلا بأمرين :

بالإمتثال [٢] لأمره ، والاستسلام لقهره .

ثم إنه سبحانه وتعالى ، لم يكتف بنفى الإيمان عمن لم يحكم ، أو حكم ووجد الحرج فى نفسه (على ماقضى [٣]) حتى أقسم على ذلك بالربوبية الخاصة برسوله صلى الله عليه وسلم ، رأفة وعناية ، وتخصيصا ورعاية ، لأنه لم يقل :

« فلا والرب » . وإنما [٤] قال : « فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم »

ففى ذلك تأكيد بالقسم ، وتأكيد [٥] فى المقسم عليه ، علما منه

(١) وفى فروينه . ما أورده عليه

(٢) وفى نسخة أخرى . الإمتثال بأمره .

(٣) مابين القوسين غير موجود فى فروينه

(٤) وفى فروينه . إنما قال

(٥) وفى فروينه . تأكيد بالقسم وتأكيده فى المقسم

سبحانه ، بما النفوس منطوية عليه ، من حب الغلبة، ووجود النصرة ، سواء كان الحق عليها أولها ، وفى ذلك إظهار لعنايته برسوله صلى الله عليه وسلم ، إذ جعل حكمه ، حكمه ، وقضاءه قضاءه[1] فأوجب[2] على العباد : الاستسلام لحكمه ، والانقياد لأمره ؛

ولم يقبل منهم الإيمان بالإلهيته، حتى يذعنوا لأحكام رسوله صلى الله عليه وسلم ، لأنه كما وصفه ربه :

« وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى[3] » .

فحكمه حكم الله ، وقضاؤه[4] قضاء الله ، كما قال :

« إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله » .

وأكد ذلك بقوله :

« يد الله فوق أيديهم[5] » .

---

(١) وفى فروينه : قضاه قضاه .
(٢) وفى فروينه : أوجب بدون فاء
(٣) الآية ٣ ، ٤ من سورة النجم .
(٤) وفى فروينه فحكمه حكم الله ، وقضاه قضاه .
(٥) الآية : ١٠ من سورة الفتح .

وفى الآية إشارة أخرى لعظيم [١] قدره ، وتفخيم أمره صلى الله عليه وسلم ، وهى قوله تعالى : « فلا وربك [٢] » .

فأضاف نفسه تعالى إليه كما قال فى الآية الأخرى :

« كهيعص ، ذكر رحمة ربك عبده ذكريا [٣] »

فأضاف الحق سبحانه اسمه [٤] إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، وأضاف زكريا إليه ، ليعلم العباد ، فرق ما بين المنزلتين ، وتفاوت ما بين الرتبتين .

ثم إنه تعالى ، لم يكتف بالتحكيم [٥] الظاهر ، فيكونوا به مؤمنين ، بل اشترط فقدان الحرج وهو الضيق من نفوسهم فى أحكامه [٦] صلى الله عليه وسلم ، سواء كان الحكم بما يوافق أهواءهم أو يخالفها .

---

(١) وفى نسخة أخرى إلى تعظيم قدره

(٢) بعض النسخ المخطوطة ذكر الآية كاملة، والبعض الآخر ذكر: «فلا وربك لا يؤمنون »

(٣) الآية : ١ ، ٢ من سورة مريم .

(٤) وفى فروينه : «فأضاف الحق سبحانه نفسه إلى محمد صلى الله عليه وسلم .

(٥) وفى فروينه : بالتحكم .

(٦) وفى نسخه : من أحكامه .

وإنما تضيق النفوس ، لفقدان الأنوار ، ووجود الأغيار ، فعنه[١] يكون الحرج ، وهو الضيق ، والمؤمنون ليسوا كذلك .

إذ نور الإيمان ملأ قلوبهم ، فاتسعت وانشرحت ، فكانت واسعة بنور الواسع العليم ، ممدودة بوجود فضله العظيم ، مهيأة[٢] لواردات أحكامه ، مفوضة إليه فى نقضه وإبرامه .

« تقوية الحق سبحانه لعبده على مايورده عليه »*

فائـــدة :

اعلم أن الحق سبحانه ، إذا أراد أن يقوى عبدا على ما يريد أن يورده عليه من وجود حكمه ، ألبسه من أنوار وصفه ، وكساه من وجود نعته ، فتنزلت الأقدار ، وقد سبقت إليه الأنوار ، فكان بربه لابنفسه ، فقوى لأعبائها[٣] ، وصبر لِلأوائها .

وإنما يعينهم على حمل الأقدار ، ورود الأنوار .

---

(١) وفى نسخه (١) ففيه .

(٢) وفى فروينه : مهيات .

* العنوان من عمل المحقق .

(٣) وفى نسخة (١) لإعيائها .

وإن شئت قلت :

وإنما يعينهم على حمل الأحكام ، فتح باب الأفهام .

وإن شئت قلت :

وإنما يعينهم[١] على حمل[٢] البلايا ، واردات العطايا .

وإن شئت قلت:

وإنما يقويهم على حمل أقداره [٣] ، شهود حسن اختياره[٤] .

وإن شئت قلت :

وإنما يصبرهم على وجود حكمه ، علمهم بوجود علمه .

وإن شئت قلت :

وإنما صبرهم على ما جرى ، علمهم بأنه يرى .

[وكلامه فيما يأتى يدل عليه [٥]]

وإن شئت قلت :

---

(١) وفى فروينه : يقويهم .

(٢) وفى نسخة(١)على حمل أحكام البلايا .

(٣) وفى فروينه : الأقدار .

(٤) وفى فروينه : الإختيار .

(٥) ما بين القوسين غير موجود فى فروينه . وكذلك فى نسخه (١)

وإنما يصبرهم على أفعاله ، ظهوره عليهم بوجود جماله[1] .

وإن شئت قلت :

وإنما صبرهم على القضا ، علمهم بأن الصبر يورث الرضا .

وإن شئت قلت :

وإنما صبّرهم على الأقدار ، كشف الحجب والأستار .

وإن شئت قلت :

وإنما قواهم على حمل أثقال التكليف[2]، وورود أسرار التصريف[3].

وإن شئت قلت :

إنما صبرهم على أقداره ، علمهم بما أودع فيها من لطفه وابراره .

فهذه عشرة أسباب ، توجب صبر العبد و ثبوته لأحكام سيده ، وقوته عند ورودها ، وهو المعطى لكل ذلك بفضله ، والمان بذلك على ذوى العناية من أهله .

---

(١) وفى فروينه : « إنما صبرهم على أفعاله ظهوره عليهم بوجود جماله

(٢) وفى فروينه : أثقال التكاليف .

(٣) وفى نسخه (١) أسرار التعريف

ولنتكلم الآن على كل قسم منها لتكمل[1] الفائدة وتحصل الجدوى والفائدة .

فأما الأول وهو : « إنما يعينهم على حمل الأقدار ، ورود الأنوار » .

وذلك : أن الأنوار ، إذا وردت كشفت للعبد عن قرب الحق سبحانه وتعالى منه ، وأن هذه الأحكام ، لم تكن إلا عنه ، فكان علمه بأن الأحكام : إنما هي من سيده ، سلوة له ، وسبب لوجود صبره ؛

ألم تسمع لما قال الله سبحانه ، لنبيه صلى الله عليه وسلم :

« واصبر لحكم ربك ، فإنك بأعيننا[2] ؟ » .

أي ليس هو حكم غيره ، فيشق عليك ، بل هو حكم سيدك القائم بإحسانه إليك ، ولنا في هذا المعنى :

وخفف عني ما ألاقي من العنا[3] بأنك أنت المبتلي والمقدر

وما لامرىء عما قضى الله معدل وليس له منه الذي يتخير

---

(١) وفي نسخه (ا) لتكميل .

(٢) الآية : ٤٨ ، ٤٩ من سورة الطور .

(٣) وفي فروينه : من العنى .

ومثال [١] ذلك . لو أن إنسانا فى بيت مظلم ، فضرب بشىء [٢]
ولا يدرى من الضارب له ، فلما أدخل عليه مصباح [٣] نظر ، فإذا هو
شيخه ، أوأبوه [٤] ، أوأميره .

فإن علمه بذلك [٥] مما يوجب [٦] صبره على ما هنالك .

الثانى : وهو قوله : « إنما يعينهم على حمل الأحكام ، فتح باب
الأفهام » .

[اعلم أنه [٧]] إذا أورد [٨] الله تعالى على عبده حكما ، وفتح له
باب الفهم عنه فى ذلك الحكم ، فأعلم أنه أرادسبحانه ،أن يحمله عنه ،

---

(١) وفى فروينه : ومثل ذلك ، وكذلك فى (أ)
(٢) وفى نسخة أخرى : فضرب بشىء وهو لايدرى .
(٣) وفى فروينه : المصباح .
(٤) أوأبوه : لم توجد فى فروينه .
(٥) وفى فروينه : لذلك .
(٦) وفى نسخة أخرى : مما يورث
(٧) مابين القوسين لم يوجد فى فروينه.
(٨) وفى نسخة : إذا أراد الله سبحانه وتعالى بعبده...

وذلك : أن الفهم يرجعك إلى الله ، ويحثك إليه ، ويجعلك متوكلا عليه ، وقد قال تعالى :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه [١] » .

أى كافيه وواقيه ، وناصره على الأغيار ، وراعيه ، لأن الفهم عن الله [٢] تعالى يكشف لك عن سر [٣] العبودية فيك ، وقد قال سبحانه وتعالى :

« أليس الله بكاف عبده [٤] » .

وكل هذه الوجوه العشرة ، ترجع [٥] إلى الفهم عنه ، وإنما هى أنواع فيه .

الثالث : وهو قوله « إنما يعينهم [٦] على حمل البلايا ، واردات العطايا » :

---

(١) الآية : ٣ من سورة الطلاق .
(٢) وفى (ا) من الله .
(٣) وفى (ا) يكشف لك عن العبودية .
(٤) الآية ٣٦ من سورة الزمر .
(٥) وفى فروينه : مرجعها .
(٦) وفى فروينه : يقويهم .

وذلك : أن واردات العطايا السابقة من الله إليك ، تذكرك لها مما يعينك على حمل أحكام الله ، إذ كما قضى لك بما تحب ، اصبرله على مايحب فيك . ألم تسمع قوله تعالى :

« أو لما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها[1] ؟ » .

فسلاهم الحق فيما أصيبوا بما أصابوا ؛ هذا من العطايا السابقة ؛ وقد يقترن بالبلايا فى حين ورودها ، مايخففها على العباد المقربين من ذلك :

أن يكشف لهم عن عظيم الأجر ، الذى ادخره لهم[2] ، فى تلك البلية.

ومنها : ما ينزله على قلوبهم[3] من التثبيت ، والسكينة .

ومنها : ما يورده عليهم من دقائق اللطف ، وتنزلات المنن ، حتى كان بعض الصحابة رضى الله عنهم ، يقول فى بعض[4] مرضه :

« أشدد حنقك[5] » . وحتى قال بعض العارفين :

---

(١) الآية : ١٦٥ من سورة آل عمران .

(٢) وفى فروينه : إليهم .

(٣) وفى نسخة أخرى ماينزله على القلوب من التثبت .

(٤) وفى فروينه : يقول فى مرضه .

(٥) وفى فروينه : أشدد خنقك — وهو خطاب لعزرائيل .

« لقد مرضت مرضة [١] ، فأحببت أن لا تزول، لما ورد على [٢] فيها من امداد الله تعالى ، وانكشف فيها من وجود غيبته » اهـ .

والكلام فى سبب ذلك موضع غير هذا .

الرابع ؛ وهو: «إنما يقويهم على حمل أقداره،شهود حسن اختياره».

وذلك ، أن العبد ، إذا شهد حسن اختيار الله تعالى له ، علم أن الحق سبحانه ، لايقصد ألم عبده ، لأنه به رحيم ؛ « وكان بالمؤمنين رحيما » .

وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم، امرأة معها ولدها ، فقال : أترون هذه طارحة ولدها فى النار ؟

قالوا : لا يا رسول الله .

فقال صلى الله عليه وسلم :

« الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها [٣] »

---

(١) وفى نسخة (ا) لقد مرضت مرض .

(٢) وفى قرينه لما ورد فيها من امداد الله .

(٣) وفى رواية أخرى تشهد لصحة هذا الحديث: أخرج الطبرانى ـ فى المعجم الصغير ـ عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بسبي ، فإذا امرأة من السبي تسعى إذا وجدت صبيا فى =

غير أنه سبحانه وتعالى، يقضى عليك بالآلام ، لما يترتب عليها من الفضل والإنعام ، ألم تسمع قوله تعالى :

« إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب »[١]

ولو وكل الحق سبحانه العباد إلى اختيارهم، لحرموا وجود منته[٢]، ومنعوا الدخول إلى جنته ، فله الحمد على حسن الاختيار ؛ ألم تسمع قوله تعالى :

« وعسى أن تكرهوا شيئاً وهو خيرا لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ؟»[٣]

وإن الأب المشفق[٤] ، يسوق لابنه الحجام ، لا يقصد الإيلام .

= الدى فأخذته ، فألصقته ببطنها وأرضعته ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أترون هذه المرأة طارحة ولدها فى النار ؟ قلنا لا والله ، وهى تقدر على أن لا تطرحه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الله عز وجل أرحم بعباده من هذه المرأة بولدها » .

(١) الآية : ١٠ من سورة الزمر

(٢) وفى نسخة (١) لحرموا وجود منته .

(٣) الآية : ٢١٦ من سورة البقرة .

(٤) وفى قروينه : وإن الأب الشفيق يسوق ولده للحجام.

وكالطبيب الناصح ، يعانيك بالمراهم الحادة، وإن كانت مؤلمة لك ، ولو طاوع اختيارك لبعد الشفاء عليك ؛

ومن منع وعلم أن المنع إنما هو إشفاق عليه ، فهذا المنع في حقه عطاء .

وكالأم المشفقة ، تمنع ولدها كثرة المأكل خشية التخمة. ولذلك ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى :

« اعلم أن الحق سبحانه وتعالى ، إذا منعك ، لم يمنعك عن بخل ، وإنما يمنعك[٢] رحمة لك ؛ فمنع الله تعالى عطاء ، ولكن لا يفهم العطاء (فى المنع[٣]) إلا صديق » .

وفى كلام أثبتناه فى غير هذا الكتاب :

« إنه[٤] ليخفف عنك ألم البلايا ، علمك بأنه سبحانه وتعالى ، هو

---

(١) من هنا يبدأ السقط الذى سبق أن أشرنا إليه فى المقدمة ، وينتهى عند نهاية الحديث عن السبب التاسع كما سيأتى بعد.

(٢) وفى قروينه : اعلم أن الحق سبحانه لم يمنعك من بخل وإنما منعك ....

(٣) وفى قرينه : لم توجد كلمة : فى المنع .

(٤) وفى نسخة أخرى لم توجد كلمة إنه .

المبتلى لك[1] فالذى واجهتك منه الأقدار ، هو الذى له فيك حسن الاختيار » اهـ

الخامس : وهو قوله : « إنما صبرهم على وجود حكمه، علمهم بوجود عله[2] »

وذلك : أن علم العبد ، بأن الحق سبحانه ، مطلع عليه ، فيما ابتلاه ، يخفف عنه أعباء البلايا ، ألم تسمع قوله تعالى :

« واصبر لحكم ربك ، فإنك بأعيننا[3] ؟ »

أى ما تلقاه يا محمد ، من كفار قريش ، من المعاندة ، والتكذيب فليس بخاف علينا .

والحكاية المشهورة :

أن إنسانا ضرب تسعة وتسعين سوطا ، ولم يتأوه ، فلما ضرب السوط الذى هو تمام المائة[4] تأوه ، فقيل له فى ذلك ، فقال :

---

(١) وفى نسخة أخرى : هو المبلى لك .

(٢) وفى نسخة أخرى : إنما صبرهم على وجود حكمه عليهم ،وجود عله . وفى (١) إنما صبرهم على وجود محكمه ....

(٣) الآية : ٤٨ من سورة الطور .

(٤) وفى فروينه : الذى هو كمال المائة .

كان الذى ضربت من أجله فى الحلقة ، فى التسعة والتسعين ، فلما ولى عنى أحسست بالألم[1] ، اهـ

السادس : وهو « إنما صبرهم على أفعاله ، ظهوره عليهم بوجود جماله » وذلك : أن الحق سبحانه وتعالى، إذا تجلى على عبده فى حين ملاقاته لمر غلبة[2] البلايا ، حمل حرارتها عنه لما أذاقه من حلاوة التجلى ، فربما غيبهم ذلك عن الإحساس بالألم ، ويكفيك فى ذلك قوله تعالى :

« فلما رأينه أكبرنه ، وقطعن أيديهن[3] »

السابع : وهو « إنما صبرهم على القضاء ، علمهم بأن الصبر يورث الرضا» وذلك : أن من صبر على أحكام الله ، أورثه ذلك الرضا من الله، فتحملوا حرارتها[4] طلبا لرضاه ، كما يتحسى[5] الدواء المر ، لما يرجى فيه من عاقبة الشفاء .

---

(١) وفى نسخة فروينه : أحسست بالآلام .

(٢) وفى فروينه : لمر البلايا - يعنى مرارتها . وفى (ا) لمر غلبة البلايا .

(٣) الآية : ٣١ من سورة يوسف .

(٤) وفى فروينه : فتحملوا مرارتها طلبا فى رضاه .

(٥) وفى نسخة أخرى . يتجرع الدواء لما يرجى من عاقبة الشفاء .

الثامن : وهو « إنما صبرهم على الأقدار ، كشف الحجب والأستار .

وذلك : أن الحق سبحانه وتعالى ، إذا أراد أن يحمل عن عبد[1] ما يورده عليه ، كشف الحجاب عن بصيرة قلبه ، فأراه[2] قربه منه ، فغيّبه أنس القرب ، عن إدراك المؤلمات ؛

ولو أن الحق سبحانه وتعالى تجلى لأهل النار بجماله وكماله ، لغيبهم ذلك[3] عن إدراك العذاب ، كما أنه لو احتجب عن أهل الجنه لما طاب لهم النعيم ؛

فالعذاب إنما هو : وجود الحجاب ، وأنواع العذاب مظاهره ؛

والنعيم إنما هو : بالظهور والتجلى ، وأنواع النعيم مظاهره .

التاسع : وهو[4] « إنما قواهم على حمل أثقال التكليف ، ورود أسرار التصريف[5] » .

---

(١) وفى فروينه : عن عبده

(٢) وفى نسخة أخرى : فأتاه قربه .

(٣) وفى فروينه : لغيبهم عن إدراك العذاب ...

(٤) وفى نسخة : وهو قوله .

(٥) وفى فروينه . التعريف .

وذلك : لأن التكاليف شاقة على العباد ، ويدخل فى ذلك امتثال الأوامر ، والانكفاف عن الزواجر ، والصبر على الأحكام ، والشكر عند وجود الأنعام .

فهى إذن أربعة : طاعة ، ومعصية ، ونعمة ، وبلية .

وهى أربع لا خامس لها : ولله عليك فى كل واحدة من هذه الأربع عبودية يقتضيها منك بحكم الربوبية .

فحقه عليك فى الطاعة : شهود المنة منه عليك فيها .

وحقه عليك فى المعصية : الاستغفار مما ضيعت فيها .

وحقه عليك فى البلية : الصبر معه عليها .

وحقه عليك فى النعمة : وجود الشكر منك فيها .

(ويحمل عنك أعباء ذلك كله[1]) : الفهم . وإذا فهمت أن الطاعة راجعة إليك وعائدة بالجدوى عليك ؛ صبرك ذلك على القيام بها .

وإذا علمت أن الاصرار على المعصية والدخول فيها ، يوجب

---

(١) وفى فروينه : ويخفف عليك حمل أعباء ذلك كله .

العقوبة من الله آجلا ، وانكشاف نور الإيمان عاجلا ، كان ذلك سببا للترك منك لها .

وإذا[1] علمت أن الصبر اتعود عليك ثمرته ، وتنعطف عليك بركته ، سارعت إليه ، وعوّلت عليه .

وإذا علمت أن الشكر يتضمن المزيد من الله لقوله تعالى : «لئن شكرتم لأزيدنكم» كان ذلك سببا لمثابرتك عليه ، ونهوضك إليه .

وسنبسط الكلام على هذه الأربع فى آخر الكتاب ، ونفرد لها فصلا ان شاء الله تعالى[2] .

العاشر : وهو « إنما صبرهم على أقداره ، علمهم بما أودع فيها من لطفه وابراره »

وذلك أن المكاره، أودع الحق تعالى فيها وجود الألطاف، ألم تسمع قوله تعالى :

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم »

وقوله عليه الصلاة والسلام :

(١) وفى نسخه : فإذا

(٢) الى هنا ينتهى السقط الذى لاحظناه فى نسخة (١) المخطوطة والذى نبهنا عليه عند أوله وفى المقدمة .

« حفت الجنة بالمكاره ، وحفت النار بالشهوات »[١]

وفى البلايا والأسقام والفاقات من أسرار الألطاف[٢] مالايفهمه إلا أولوا البصائر :

ألم تر أن البلايا تخمد النفس وتذلها ، وتدهشها عن طلب حظوظها ويقع مع البلايا وجود الذلة ، ومع الذلة تكون النصرة :

« ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة »[٣]

وبسط القول فى ذلك ، يخرجنا عن قصد الكتاب .

« فقدان الحرج ووجود التسليم[٤] »

إنعطاف : لنرجع الآن إلى الآية ، وهى قوله سبحانه وتعالى :

« فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ، ثم لايجدوا فى أنفسهم حرجا مما قضيت ، ويسلموا تسليما »[٥]

---

(١) حديث صحيح أخرجه الإمام مسلم فيما رواه أبو هريرة وأنس رضى الله عنهما ، والإمام أحمد فى مسنده والترمذى

(٢) وفى نسخة قروية : من أسرار اللطف .

(٣) الآية : ١٢٣ من سورة آل عمران

(٤) العوان من عمل المحقق

(٥) الآية ٦٥ من سورة النساء

إعلم أن الأحوال [1] ثلاثة :

قبل التحكيم ، وفيه ، وبعده .

فأما قبل التحكيم [2] : فعبوديتهم التحكيم وأما فى الحكم ، وبعده فعبوديتهم [3] عدم وجدان الحرج فى أمورهم .

فإن قلت : إن ذلك لازم من قوله تعالى : « حتى يحكموك » قيل: (ليس كل من حكم فقد الحرج عنه ، إذ قد يحكم ظاهرا والكراهة عنده موجودة) [4] فلابد أن ينضم إلى التحكيم ، فقدان الحرج ، (ووجود التسليم [5]) .

فإن قال [6] القائل :

إذا لم يجدوا الحرج فقد سلموا تسليما، فما فائدة الاتيان بقوله : « ويسلموا تسليما » بعد نفى الحرج المستلزم لقبول التسليم ، الذى من [7] صفته وجود التأكيد؟

---

(١) وفى فروينه . الأوقات . (٢) وفى فروينه . الحكم .

(٣) وفى نسخة أخرى . فبعبوديتهم .

(٤) مابين القوسين يوجد فى فروينه هكذا [ليس كل حكم فقد الحرج منه، أى قد يحكم ظاهرا، والكزازة عنده موجودة]

(٥) مابين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٦) وفى نسخة أخرى . فإن قال له القائل .

(٧) وفى فروينه . لثبوت التسليم الذى هو صفته .

فالجواب عنه : أن قوله تعالى : « ويسلموا تسليما » أى فى جميع أمورهم .

فإن قلت : إن ذلك لازم من قوله « حتى يحكموك ؟ »

فالجواب : أن التحكيم ما أطلقه بل قيده بقوله تعالى : « فيما شجر بينهم » فصارت الآية : تتضمن ثلاثة أمور [١] :

أحدها : التحكيم فيما اختلفوا فيه .

الثانى . عدم وجدان الحرج فى التحكيم .

والثالث : وجود التسليم المطلق ، فيما شجر بينهم ، وفيما نزل بينهم فى أنفسهم . فهو عام بعد خاص ، فافهم .

الآية الثانية ، وهى قوله تعالى :

« وربك يخلق مايشاء ويختار ، ما كان لهم الخيرة ، سبحان الله وتعالى عما يشركون [٢] » . تتضمن فوائده .

الفائدة الأولى ، قوله تعالى : « وربك يخلق مايشاء ويختار » (يتضمن ذلك الالزام للعبد بترك التدبير [٣]) مع الله ، لأنه إذا كان يخلق مايشاء فهو يدبر مايشاء ، فمن لا خلق له ، لا تدبير له :

---

(١) وفى فروينه : ثلاثة أمور منها .

(٢) الآية : ٦٨ من سورة القصص .

(٣) مابين القوسين يوجد فى فروينه [يتضمن ذلك الزام العبد ترك التدبير]

« أفمن يخلق كمن لايخلق ، أفلا تذكرون »[1]

ويتضمن قوله :« ويختار » انفراده بالإختيار وأن أعماله ليست على

الالجاء[2] والاضطرار ، بل هو[3] على نعت الإرادة والإختيار ، وفى

ذلك الزام للعبد باسقاط[4] التدبير والاختيار مع الله تعالى ، إذ ماهو له

لاينبغى أن يكون لك .

وقوله : « ما كان لهم الخيرة » يحتمل الوجهين[5] .

أحدهما : لاينبغى أن تكون الخيرة لهم ، وأن يكونوا[6] أولى

بها منه سبحانه وتعالى .

وثانيهما : ما كان لهم الخيرة ، أى ما أعطيناهم ذلك ، ولا جعلناهم

أولى بما هنا لك .

---

(١) الآية : ١٧ من سورة النحل .
(٢) وفى فروينه : ليست على نعت الالجاء .
(٣) كلمة «هو» لم توجد فى فروينه .
(٤) وفى نسخة : إسقاط .
(٥) وفى فروينه : يحتمل وجهين .
(٦) وفى نسخة (ا) أن يكون ، والأصح أن يكونوا .

وقوله : « سبحان الله وتعالى عما يشركون[1] » أى تنزيها لله أن يكون لهم الخيرة معه .

وبينت الآية : أن من ادعى الاختيار مع الله ، فهو مشرك مدعى للربوبية ، بلسان حاله ، وإن تبرأ من ذلك بما قاله .

الآية الثالثة : وهى قوله تعالى : « أم للإنسان ما تمنى ، فلله الآخرة والأولى[2] » فيها دلالة على إسقاط التدبير مع الله بقوله : أم للإنسان ما تمنى (أى لا يكون ، ولا ينبغى له ، لأنا ما جعلناه له[3]) وأكد ذلك بقوله : « فلله الآخرة والأولى » .

ففى ذلك أيضا[4] الزام العبد ، ترك التدبير مع الله تعالى .

أى إذا كان لله الآخرة والأولى (فليس فيهما للإنسان شىء ، فلا ينبغى له التدبير فى ملك غيره[5]) ، وإنما ينبغى أن يدبر فى الدارين من هو مالكهما وهو الله سبحانه وتعالى .

---

(١) الآية : ٦٨ سورة القصص .

(٢) الآية ٢٤ ، ٢٥ من سورة النجم .

(٣) ما بين القوسين فى فروينه [أى لا ينبغى أيضا أن يكون له إلا ما جعلناه له .

(٤) كلمة أيضا لم توجد فى فروينه .

(٥) ما بين القوسين يوجد فى فروينه [وليس للإنسان فيهما شىء ، فلا ينبغى أن يدبر الإنسان فى ملك غيره] .

وقوله صلى الله عليه وسلم : « ذاق [١] طعم الإيمان من رضى بالله ربا [٢] . . . » فيه دليل على أن من لم يكن كذلك ، لايجد حلاوة الإيمان ، ولايدرك مذاقه ، وإنما يكون إيمانه صورة لاروح فيها ، وظاهرا لاباطن له ، ورسما لاحقيقة تحته .

وفيه إشارة : إلى أن القلوب السليمة من أمراض الغفلة والهوى ، تتنعم بملذات المعانى ، كما تنعم النفوس بملذوذات الأطعمة .

وإنما ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا ، لأنه لما رضى بالله ربا ، استسلم له ، وانقاد لحكمه ، وألقى قياده إليه خارجا عن تدبيره واختياره ، إلى حسن تدبير الله واختياره ، فوجد لذاذة العيش، وراحة التفويض .

ولما رضى بالله ربا ، كان له الرضا من الله ، كما قال الله تعالى :

« رضى الله عنهم ورضوا عنه [٣] » .

---

(١) من هنا يبدأ السقط — للمرة الثانيه — الذى لاحظناه فى نسخه (ا) المخطوطه والذى أشرنا إليه سابقا .

(٢) وفى فروينه : « وبالإسلام دينا ، وبمحمد نبيا ، يتضمن الحديث فوائد : الاولى ، قوله عليه الصلاة والسلام : ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا . . . »

(٣) الآية : ١١٩ من سورة المائدة .

وإذا كان له الرضا من الله : أوجده الله حلاوة ذلك ، ليعلم ما من به عليه ؛ وليعلم[1] إحسان الله إليه .

ولا يكون الرضا بالله ، إلا مع الفهم .

ولا يكون الفهم ، إلا مع النور .

ولا يكون النور ، إلا مع الدنو .

ولا يكون الدنو ، إلا مع العناية.

فلما سبقت لهذا العبد العناية ، خرجت له العطايا من خزائن المنن ، فلما واصلته أمداد الله وأنواره ، عوفى قلبه من الأمراض والأسقام ، فكان سليم الإدراك ، فأدرك لذاذة الإيمان وحلاوته؛لصحة إدراكه ولسلامة ذوقه .

ولو سقم قلبه بالغفلة عن الله ، لم يدرك ذلك، لأن المحموم ربما وجد طعم السكر مرًّا ، وليس هو فى نفس الأمر كذلك .

فإذا زالت أسقام القلوب ، أدركت الأشياء على ما هى عليه ، فتدرك حلاوة الإيمان ولذاذة الطاعة ، ومرارة القطيعة[2] والمخالفة .

فيوجب إدراكها لحلاوة الإيمان اغتباطها به ، وشهود المنة من الله

---

(١) وفى فروينه : وليعرف .

(٢) وفى فروينه : مرارة القطعة .

عليها فيه ، وتطلب الأسباب الحافظة للإيمان ، والجالبة له .

ويوجب إدراك لذاذة الطاعة ، المداومة عليها، وشهود المنة من الله فيها.

ويوجب إدراكها لمرارة الكفران والمخالفة ، الترك لهما ، والنفور عنهما ، وعدم الميل إليهما .

(فيحمل على الترك للذنب [1]) ، وعدم التطلع إليه [2] .

وليس كل متطلع [3] تاركا ، ولا كل تارك غير متطلع .

وإنما كان كذلك [4] ، لأن نور البصيرة، دال [5] على أن المخالفة لله ، والغفلة عنه ، سم للقلوب مهلك ، فنفرة قلوب المؤمنين عن مخالفة الله تعالى ، كنفرتك عن الطعام المسموم .

وقوله صلى الله عليه وسلم . « وبالإسلام دينا »

لأنه من رضى بالإسلام دينا ، فقد رضى بما رضى به المولى واختاره لقوله تعالى :

---

(١) ما بين القوسين يوجد فى فروينه : [فيكمل الترك للذنب] .
(٢) كلمة : « إليه » غير موجودة فى نسخة فروينه .
(٣) وفى فروينه : وليس كل تارك نافرا .
(٤) وفى فروينه : ذلك .
(٥) وفى نسخة أخرى : « دله » .

« إن الدين عند الله الإسلام » [1]

ولقوله تعالى :

« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه [2] »

ولقوله :

« إن الله اصطفى لكم الدين ، فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون [3] »

وإذا رضى بالإسلام دينا ، فمن لازم ذلك : امتثال الأوامر [4] ، والانكفاف عن وجود الزواجر ، والأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكر ، والغيرة إذا رأى ملحدا يجادل [5] أن يدخل فيه ماليس منه ، فيدمغه ببرهانه ، ويقمعه بتبيانه .

وقوله صلى الله عليه وسلم ، (وبمحمد نبيا) : فاللازم من رضى بمحمد نبيا ، أن يكون له وليا ، وأن يتأدب بآدابه ، وأن يتخلق بأخلاقه زهدا فى الدنيا ، وخروجا عنها ، وصفحا عن الجناية [6] ، وعفوا عمن

---

(١) الآية : ١٩ من سورة آل عمران

(٢) الآية : ٨٥ من آل عمران

(٣) الآية : ١٣٢ من سورة البقرة

(٤) وفى فروينه : أوامره والانكفاف عند وجود ...

(٥) وفى فروينه : ملحدا يحاول .

(٦) وفى فروينه : وصفحا عن الجناة .

أساء إليه ، إلى غير ذلك من تحقق [١] المتابعة ، قولا ، وفعلا ، وأخذا، وتركا ، وحبا ، وبغضا ، وظاهرا ، وباطنا .

فمن رضى بالله : استسلم له .

ومن رضى بالإسلام : عمل له .

ومن رضى بمحمد صلى الله عليه وسلم : تابعه .

ولا تكون واحدة [٢] منها إلا بكلها ، إذ محال أن يرضى بالله ربا، ولا يرضى بالإسلام دينا[٣]) أو يرضى بالإسلام دينا ، ولا يرضى بمحمد نبيا ، وتلازم ذلك ، بين لا خفاء فيه .

(مقامات اليقين*)

وإذ قد تبين هذا فاعلم أن مقامات اليقين تسعة ، وهى :

التوبة ـ والزهد ـ والصبر ـ والشكر ـ والخوف ـ والرضا [٤] والرجاء ـ والتوكل ـ والمحبة .

---

(١) وفى فروينه : من تحقيق المتابعة .

* العنوان من عمل المحقق .

(٢) وفى فروينه : ولا يكون واحدا منها .

(٣) إلى هنا ينتهى السقط الذى سبق أن نبهنا عليه والذى وجدناه فى مخطوطه (ا)

(٤) وفى فروينه : يوجد لفظ « الرضا » بعد لفظ « المحبة » .

(ولا تصح كل واحدة [١]) من هذه المقامات إلا بإسقاط التدبير مع الله ، والاختيار ؛

وذلك أن التائب كما يجب عليه أن يتوب من ذنبه ، كذا يجب عليه أن يتوب عن التدبير مع ربه .

لأن التدبير والإختيار من كبائر [٢] القلوب والأسرار ، والتوبة هى : الرجوع إلى الله تعالى ، (من كل ما لا يرضاه لك [٣]) لأنه شرك بالربوبية [٤] ، وكفر لنعمة العقل ، ولا يرضى لعباده الكفر .

وكيف يصح [٥] توبة عبد مهموم بتدبير دنياه ، غافل عن حسن رعاياه ؟

وكذلك لا يصح الزهد : إلا بالخروج عن التدبير ، لأن مما أنت مخاطب بالخروج عنه ، والزهد فيه : تدبيرك .

إذ الزهد ، زهدان : زهد ظاهر جلى ؛ وزهد باطن خفى .

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينه [ولا يصح واحد من هذا .]
(٢) وفى نسخة : من كبائر ذنوب القلوب والأسرار .
(٣) ما بين القوسين نصه فى فروينه (من كل شىء لا يرضاه لك)
(٤) وفى نسخة . للربوبية .
(٥) وفى نسخه فروينة : وكيف تصح .

فالظاهر الجلى : الزهد فى فضول الحلال، من المأ كولات والملبوسات وغير ذلك.

والزهد الخفى : الزهد فى الرياسة ، وحب الظهور ، ومنه الزهد فى التدبير مع الله .

وكذلك لا يصح صبر ، ولا شكر ، إلا بإسقاط التدبير ؛

وذلك : لأن [1] الصابر ، من صبر عما لايحبه الله ؛ ومما لايحبه الله تعالى التدبير معه والاختيار .

لأن الصبر على أقسام :

صبر عن المحرمات .

وصبر عن [2] الواجبات .

وصبر عن التدبيرات والاختيارات.

وإن شئت قلت :

صبر عن الحظوظ [3] البشرية

وصبر على لوازم العبودية [4]

---

(١) وفى نسخة أخرى : أن الصابر .
(٢) وفى فروينه : وصبر على الواجبات ولعل ذلك هو الأصح .
(٣) وفى نسخة أخرى : عن حظوظ البشرية .
(٤) وفى فروينه : على لوازم العبوديات .

ومن لوازم العبودية : إسقاط التدبير مع الله تعالى ؛

وكذلك لا يصح الشكر إلا لعبد ترك التدبير مع الله ؛ لأن الشكر كما قال الجنيد [1] رحمه الله تعالى :

« الشكر أن لا تعصى [2] الله بنعمه » .

ولولا العقل الذى ميزك الله به على أشكاله ، وجعله سببا لكمالك : لم تكن من المدبرين [3] معه ؛

---

(١) هو أبو القاسم الجنيد بن محمد الزجاج رضى الله عنه ، كان أبوه يبيع الزجاج فلذلك يقال له القواريرى ، أصله من نهاوند ، مولده ومنشؤه بالعراق ، وكان فقيها يفتى الناس على مذهب ابى ثور صاحب الإمام الشافعى ، وراوى مذهبه القديم ، صحب خاله السرى السقطى والحارث المحاسبى ، ومحمد بن على القصاب ؛ وكان من كبار أئمة القوم وساداتهم ، وكلامه مقبول على جميع الألسنة ، مات رضى الله عنه يوم السبت سنة سبع وتسعين ومائتين وقبره ببغداد ظاهر يزوره الخاص والعام .

ومن كلامه رضى الله عنه : إن الله يخلص إلى القلوب من بره ، على حسب ما تخلص إليه القلوب من ذكره ، فانظر ماخالط قلبك ، اهـ . أنظر الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى جـ ١ ص ٧٢ .

(٢) وفى فروينه : أن لا يعصى الله . . . . وكذلك فى نسخة (١) .

(٣) وفى لنسخة (ا) من المتدبرين .

إذ الجمادات والحيوانات ، لاتدبير لها مع الله ، لفقدان العقل الذى من شأنه النظر إلى العواقب [1] والاهتمام بها .

ويناقض أيضا : مقام الخوف ، والرجاء ، إذ الخوف إذا توجهت سطواته إلى القلوب، منعها أن تستروح إلى وجود التدبير والرجاء أيضا كذلك

إذ الراجى قد امتلأ قلبه فرحا بالله ، ووقته مشغول بمعاملة الله تعالى؛ فأى وقت يسعه التدبير مع الله تعالى ؟ .

ويناقض أيضا : مقام التوكل ، وذاك أن المتوكل على الله ، من ألقى قياده إليه ، واعتمد فى كل أموره [2] عليه ؛

فمن لازم ذلك : عدم التدبير والاستسلام ؛ لجريان المقادير .

وتعلق إسقاط التدبير بمقام التوكل والرضا ، أبين من تعلقه بسائر المقامات .

ويناقض أيضا : مقام المحبة ، إذ المحب مستغرق فى حب محبوبه، وترك الإرادة معه ، هى . عين مطلوبه ، وليس يتسع وقت المحب للتدبير مع الله ، لأنه قد (شغله عن ذلك حبه لله ، ولذلك [3]) قال بعضهم :

---

(١) وفى نسخة (ا) العقوبات .

(٢) وفى فروينه : فى كل الأمور عليه ، وكذلك فى نسخة (ا)

(٣) ما بين القوسين فى نسخة (ا) هكذا ! (شغله ذلك عن حبه لله وكذلك . . .)

« من ذاق شيئا من خالص محبة الله ، ألهاه ذلك عما سواه »

ويناقص أيضا : مقام الرضا ، وهو بين لا إشكال فيه ، وذلك: (أن الراضى قد اكتفى بسابق تدبير الله فيه ، فكيف يكون مدبرا معه [١]) وهوقد رضى بتدبيره ؟ ألم تعلم أن نور الرضا يغسل من القلوب غثاء التدبير ؟

فالراضى عن الله ، بسطه نور الرضا لأحكامه [٢] ، فليس له تدبير مع الله ، وكفى بالعبد حسن اختيار سيده له ، فافهم .

«من أسباب إسقاط التدبير* »

فصل : اعلم أن الذى يحملك على إسقاط التدبير مع الله والاختيار أمور:

الأول : علمك بسابق تدبير الله فيك ، وذلك أن تعلم أن الله كان لك قبل أن تكون لنفسك ، فكما كان لك مدبرا قبل أن تكون ولاشىء من تدبيرك معه ، كذلك هو سبحانه (وتعالى مدبر لك [٣]) بعد وجودك .

---

(١) ما بين القوسين فى نسخة فروينه هكذا [ولأن الراضى قد اكتفى بتدبير الله ، فكيف يدبر معه ؟]

(٢) وفى فروينه : لاحكام الله .

* العنوان من عمل المحقق

(٣) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

فكن له كما كنت له ، يكن لك كما كان لك .

ولذلك قال الحسين [1] الحلاج :

« كن لى كما كنت لى ، فى حين لم أكن »

فسأل من الله أن يكون له بالتدبير بعد وجوده ، كما كان له بالتدبير قبل وجوده ، لأنه قبل وجود العبد كان العبد [2] مدبرا بعلم

---

(١) الحسين الحلاج هو أبو مغيث الحسين بن منصور الحلاج رحمه الله تعالى وهو من أهل بيضاء فارس ، ونشأ بواسط العراق ، صحب الجنيد والنورى وعمرو بن عثمان المكى ، والفوطى وغيرهم رحمهم الله أجمعين . يقول فيه محمد بن حنيف :

« الحسين بن منصور عالم ربانى » . ومن كلامه رضى الله عنه : « إذا تخلص العبد إلى مقام المعرفة أوحى الله إليه بخواطره ، وحرس سره أن يسبح فيه غير خاطر الحق ، وعلامة العارف أن يكون فارغا من الدنيا والآخرة » . قتل رحمه الله ببغداد بباب الطاق يوم الثلاثاء لست بقين من ذى القعدة سنة تسع وثلاثمائة . وقد ذكر ابن خلكان فى تاريخه عنه ما نصه :

« قتل الحسين الحلاج ، ولم يثبت عليه ما يوجب القتل رضى الله عنه » . أنظر الطبقات الكبرى للامام الشعرانى ترجمة الحلاج

(٢) كلمة : العبد غير موجودة فى فروينه .

الله ، وليس هناك (للعبد [١] وجود) فتقع الدعوى منه لتدبير نفسه ، فيقع الخذلان لأجل ذلك .

فإن قلت : فإنه فى حين لم يكن عدم ، فكيف يتعلق التدبير به [٢] ؟

فاعلم أن للأشياء وجودا فى علم الله ، وإن لم يكن لها وجـود فى أعيانها ، فالحق سبحانه وتعالى يتولى تدبيرها من حيث أنها موجودة فى علمه ، وفى هذه المسألة غور عظيم ليس هذا الموضوع محلا لبسطه .

«بيان وإعلام*»

اعلم أن الحق سبحانه وتعالى ، تولاك بتدبيره على جميع أطوارك ، وقام لك فى كل ذلك بوجـود إبرازك ، فقام لك بحسن التـدبير يوم المقادير ، يوم . « ألست بربكم ؟ قالوا . بلى »

ومن حسن تدبيره لك [٣] حينئذ ، أن عرفك به فعرفته ، وتجلى لك فشهدته ، واستنطقك وألهمك الإقرار بربوبيته فوحدته ، ثم إنه جعلك نطفة مستودعة فى الأصلاب ، وتولاك بتدبيره هنالك ، حافظا لك ،

(١) ما بين القوسين جاء فى نسخة (أ) « للعبد قبل الوجود

(٢) به : غير موجودة فى نسخة (أ)

* العنوان من عمل المحقق.

(٣) وفى فروينه : تدبيره بك

وحافظا لما أنت فيه . مواصلا لك المدد بواسطة من أنت فيه من الآباء إلى أبيك آدم ، ثم قذفك فى رحم الأم ، فتولاك بحسن التدبير حينئذ وجعل الرحم قابلة [١] لك أرضا يكون فيها نباتك ومستودعا تعطى فيها[٢] حياتك ، ثم جمع بين النطفتين ، وألف بينهما فكنت عنهما ، لما بنيت عليه الحكمة الإلهية من أن الوجود كله . مبنى على سر الازدواج ، ثم جعلك بعد النطفة علقة مهيأة لما يريد سبحانه وتعالى ، أن ينقلها إليه ، ثم بعد العلقة مضغة ، ثم فتق سبحانه وتعالى ، فى المضغة صورتك ، وأقام بنيتك ، ثم نفخ فيك الروح بعد ذلك ، ثم غذاك بدم الحيض فى رحم الأم فأجرى عليك رزقه من قبل أن يخرجك إلى الوجود ، ثم أبقاك [٣] فى رحم الأم حتى قويت أعضاؤك ، واشتدت أركانك ليهيئك[٤] إلى البروز إلى ما قسم لك أو عليك ، وليبرزك إلى دار يتعرف [٥] فيها بفضله وعدله إليك .

---

(١) وفى فروينه : وجعل الرحم لك أرضا ولعل ذلك هو الأصح .
(٢) وفى فروينه : تعطى فيه . ولعله الأصح .
(٣) وفى فروينه : ثم بقاك .
(٤) وفى فروينه : ليهبك وكذلك فى نسخة (ا) ولعل الأصح ليهيئك .
(٥) وفى فروينه : تتعرف وكذلك فى نسخة (ا)

ثم لما أنزلك إلى الأرض (١) علم سبحانه وتعالى ، أنك لاتستطيع تناول خشونات المطاعم ، وليس لك أسنان ولاأرحاء (٢) تستعين بها على (ما أنت طاعم (٣)) فأجرى الثديين بغذاء لطيف (٤) ، ووكل بهما مستحث الرحمة فى قلب الأم كلما وقف اللبن عن البروزا ستحثته (٥) الرحمة التى جعلها الله فى الأمم (مستحثا لايفتر ، ومستنهضا لايقصر ، ثم إنه شغل الأب والأم (٦)) بتحصيل مصالحك، والرأفة عليك، والنظر بعين المودة منهما إليك، وما هى إلا (رأفة ساقها إليك، وإلى العباد (٧)) فى مظاهر الآباء والأمهات ، تعريفا بالوداد ، وفى حقيقة الأمر ، ما كفلك الا ربوبيته ، وما حضنك إلاهيته .

ثم ألزم الأب القيام بك إلى حين البلوغ، وأوجب عليك ذلك، رأفة

---

(١) وفى نسخة أخرى : إلى الأرض لما علم سبحانه وتعالى .

(٢) وفى نسخة : ولا أرجاء ولعل الأصح ولاأرحاء .

(٣) وفى نسخة (ا) ماأنت عليه طاعم .

(٤) وفى فروينه : بالغذاء اللطيف ، وكذلك فى نسخة (ا)

(٥) وفى نسخة (٤) استحثه الرحمه .

(٦) مابين القوسين غير موجود فى نسخة (ا) .

(٧) مابين القوسين فى فروينه هكذا « رأفته ساقها للعباد »

منه بك ، ثم رفع قلم التكليف عنك إلى أوان تكمل الأفهام، وذلك عند الاحتلام، ثم إلى أن صرت كهلا لم ينقطع عنك نوالا، ولا فضلا ، ثم إذا انتهيت إلى الشيخوخة ، ثم إذا قدمت عليه ، ثم اذا حشرت إليه ثم إذا أقامك بين يديه، ثم إذ اسلمك من عقابه، ثم إذا أدخلك دار ثوابه، ثم إذا كشف عنك وجوه حجابه ، (وأجلسك مجالس [1]) أوليائه وأحبابه، قال سبحانه وتعالى:

« إن المتقين فى جنات ونهر، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر [2] » .

فلأى إحسانه تشكر ، وأى آلائه وأياديه تذكر ؟ .

واسمع [3] قوله تعالى :

« وما بكم من نعمة فمن الله [4] » . تعلم أنك لم تخرج ، ولن تخرج عن إحسانه ، ولن يعدوك وجود فضله وامتنانه ، وإن أردت البيان فى تقلبات [5] أطوارك فاسمع ما قاله سبحانه :

---

(١) وفى فروينه : « ثم أجلسك فى مجالس .

(٢) الآية ٥٤، ٥٥ من سورة القمر

(٣) وفى فروينه : اسمع ، وفى نسخة (ا) تسمع .

(٤) الآية : ٥٣ من سورة النحل .

(٥) وفى فروينه . تنقلات ، وفى نسخة (ا) انتقالات

« ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين ، ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين ، ثم خلقنا النطفة علقة ، فخلقنا العلقة مضغة ، فخلقنا المضغة عظاما ، فكسونا العظام لحما ، ثم أنشأناه خلقا آخر ، فتبارك الله أحسن الخالقين، ثم إنكم بعد ذلك لميتون ، ثم إنكم يوم القيامة تبعثون[1] » . تبدو لك بوارقها ، وتبسط عليك شوارقها ، وفى ذلك ما يلزمك أيها العبد ، الإستسلام إليه ، والتوكل عليه ، ويضطرك إلى[2] اسقاط التدبير ، وعدم منازعة المقادير . والله الموفق .

الثانى : أن تعلم[3] أن التدبير منك لنفسك جهل منك بحسن النظر لها ، فإن المؤمن قد علم أنه إذا ترك التدبير مع الله ، كان له بحسن التدبير منه[4] ، لقوله تعالى :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه[5] »

فسار التدبير فى إسقاط التدبير ، والنظر للنفس ، ترك النظر لها .

---

(١) الآية : ١٢ — ١٦ من سورة المؤمنون .

(٢) وفى فروينه . ويضطرك إلى ذلك إسقاط التدبير

(٣) وفى فروينه . اعلم أن .

(٤) وفى فروينه : له .

(٥) الآية ٣ من سورة الطلاق .

فافهم[1] هاهنا قوله تعالى :

« وأتوا البيوت من أبوابها [2] »

فباب التدبير من الله لك ، هو إسقاط التدبير منك لنفسك .

الثالث : علمك بأن القدر لا يجرى على حسب تدبيرك ، بل أكثر مايكون ، مالا تدبر ، وأقل ما يكون ماأنت له مدبر والعاقل لايبنى بناء على غير قرار .

فمتى تتم مبانيك والأقدار تهدمها ؟

وعن التمام قصدها شعرا :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه .·. إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم

وإذا كان التدبير منك ، والقدر يجرى (على خلاف ماتدبر ، فما فائدة تدبير [3]) لاتنصره الأقدار ؟ وإنما ينبغى أن يكون التدبير لمن بيده أزمة المقادير ، ولذلك قيل شعر [4] .

ولما رأيت القضا جاريا .·. بلاشك فيه ولامرية

---

(١) وفى نسخة أخرى . وافهم هاهنا .

(٢) الآية ١٨٩ من سورة البقرة .

(٣) وفى فروينه . [على خلافه فما فائدة تدبير .

(٤) كلمة شعر غير موجودة فى نسخة (ا)

توكلت حقـا على خالقى .·. وألقيت نفسى مـع الجرية

الرابع . علمك بأن الله تعالى ، هـو المتولى لتدبير مملـكته ، علوها وسفلها ، غيبها وشهادتها

وكما سلمت له [١] تدبيره فى عرشه ، وكرسيه ، وسمواته وأرضه ، فسلم له تدبيره فى وجودك (إلى هذه العوالم [٢]) ، فإن نسبة وجودك إلى هذه العوالم نسبة توجب تلاشيك ، كما أن نسبة السموات السبع ، والأرضين السبع ، بالنسبة إلى الـكرسى ، كحلقة ملقاة فى فلاة من [٣] الأرض والـكرسى ، والسموات السبع ، والأرضون [٤] السبع ، بالنسبة إلى العرش كالحلقة [٥] الملقاة فى فلاة من الأرض ، فماذا عسى أن تكون [٦] أنت فى مملـكته ؟

فاهتمامك بأمر نفسك ، وتدبيرك لها منك جهل بالله ، بل الأمر كما قال سبحانه

---

(١) وفى لنسخة (١) وكما سلمت له فى تدبيره .
(٢) مابين القوسين لم يوجد فى فروينه ولا فى نسخة (١)
(٣) من : لم توجد فى نسخة (١)
(٤) وفى نسخة أخرى : والأرضين
(٥) وفى (١) كحلقة ملقاة .
(٦) وفى فروينه :أن يكون .

« وما قدروا الله حق قدره [١] »

فلو أن العبد عرف ربه ، لاستحى أن يدبر معه ، ولاقذف بك فى بحر التدبير إلا حجبتك عن الله ، لأن الموقنين ، لما كشف عن بصائر قلوبهم ، شهدوا أنفسهم مدبرين لامدبرين ، ومصرفين لا متصرفين ، ومحركين لا متحركين .

وكذلك عمار الصفيح الأعلى، مشاهدون لظهور القدرة، ونفوذ الإرادة. وتعلق القدرة بمقدورها ، والإرادة بمرادها ، والأسباب معزولة فى مشهدهم ، فلذلك طهروا من الدعوة ، لما هم عليه من وجود المعاينة ، وثبوت المواجهة ، فلذلك [٢] قال سبحانه :

« إنا نحن نرث الأرض ومن عليها ، وإلينا يرجعون [٣] »

ففى هذا تزكية للملائكة، وإشارة إلى أنهم لم يكونوا مع الله مدعين لما خولهم، ولا منتسبين لما نسب إليهم [٤] ، إذ لو كان كذلك [٥] لقال :

---

(١) الآية ٦٧ من سورة الزمر

(٢) وفى فروينه ولذلك .

(٣) الآية ٤٠ من سورة مريم .

(٤) وفى فروينه . لما نسب لهم .

(٥) وفى فروينه . إذ لو كانوا كذلك .

إنا نحن نرث الأرض والسماء .

بل نسبتهم [١] إليه ، وهيبتهم له ، وولهم من عظمته ، منعهم أن يركنوا لشيء دونه .

فكما سلمت لله تدبيره فى سمائه وأرضه ، فسلم له تدبيره فى وجودك.

« لخلق السموات والأرض أكبر من خلق الناس [٢] »

الخامس : علمك بأنك ملك لله ، وليس لك تدبير ماهو لغيرك ؟ فما ليس لك [٣] ملكه ، ليس لك تدبيره .

وإذا كنت أيها العبد لاتنازع فيما تملك ،ولا ملك لك إلا بتمليكه إياك ، وليس لك ملك حقيقى ، وإنما هى نسبة شرعية ، أوجبت الملك لك من غير شيء قائم بوصفك تستوجب به أن تكون مالكا ، فأن لاتنازع لله فيما يملكه أولى وأحرى.

لاسيما [٤] وقد قال سبحانه وتعالى .

---

(١) وفى نسخة (١) نسبهم إليه ، وكذلك فى فروينه .

(٢) الآية ٥٧ من سورة غافر

(٣) وفى نسخة (١) فما ليس لك فى ملكه.

(٤) وفى نسخة فروينه . لم توجد كلمة : لاسيما .

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة»[1].

فلا ينبغى لعبد بعد المبايعة ، تدبير ولا منازعة ، لأن ما بعته وجب عليك تسليمه ، وعدم المنازعة فيه ، فالتدبير فيه نقض لعقد المبايعة .

ودخلت على الشيخ أبى العباس المرسى رحمه الله يوما، فشكوت إليه بعض أمرى فقال :

إن كانت نفسك لك فاصنع بها ما شئت ، ولن تستطيع ذلك أبدا، وإن كانت لبارئها فسلمها له يصنع بها ما شاء » . ثم قال :

« الراحة فى الاستسلام إلى الله، وترك التدبير معه، وهو العبودية».

قال ابراهيم بن أدهم[2] رحمه الله :

(١) الآية : ١١١ من سورة التوبة .

(٢) هو أبو إسحاق ابراهيم بن أدهم بن منصور ، من كورة بلخ، رضى الله عنه يقول عنه صاحب الحلية .

ومنهم الحازم الأحزم ، والعازم الألزم ، أبو اسحاق ابراهيم من أدهم أيد بالمعارف فوجد ، وأمد بالملاطف فعبد . . .

كان شرع الرسول نهجه ، واختياره عليه السلام مرجعه) ه

كان عامة دعائه : « اللهم انقلنى من ذل معصيتك إلى عز طاعتك » .

ومن كلامه رضى الله عنه : « من علامة العارف بالله أن يكون أكبر همه الخير والعبادة ، وأكثر كلامه الثناء والمدحة » ومن كلامه أيضاً . « اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات :

أولاها . تغلق باب النعمة ، وتفتح باب الشدة ، والثانية ، تغلق باب العز ، وتفتح باب الذل ، والثالثة . تغلق باب الراحة وتفتح باب الجهد ، والرابعة تغلق باب النوم وتفتح باب السهر ، والخامسة :

نمت ليلة عن وردى فاستيقظت فندمت ، فنمت بعد ذلك ثلاثة أيام عن الفرائض ، فلما استيقظت سمعت هاتفاً يقول شعراً :

كل شىء لك مغفور سوى الإعراض عنا
قــــد غفرنا لك ما فات بقى ما فات منا

ثم قيل لى يا إبراهيم :
كن عبداً ، فكنت عبداً[1] فاسترحت » اهـ .

السادس : علمك بأنك فى ضيافة الله ، لأن الدنيا دار الله ، وأنت نازل فيها[2] عليه ، ومن حق الضيف أن لا يعول همًّا مع رب المنزل .

قيل للشيخ أبى مدين[3] رحمه الله :

═ تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت » اهـ وصادف رضى الله عنه راعيا لأبيه فأخذ جبة للراعى من صوف ، ولبسها وأعطاه فرسه وما معه ، ثم إنه دخل البادية ، ثم دخل مكة ، وصحب بها سفيان الثورى والفضيل بن عياض ودخل الشام ومات بها رضى الله عنه ورحمه رحمة واسعه .

(١) وفى فرونيه . فكنت عبداً لله فاسترحت

(٢) وفى نسخة أخرى . وأنت نازل بها .

(٣) هو الشيخ أبو مدين المغربى رضى الله تعالى عنه ورحمه ، كان من أعيان مشايخ المغرب ، وصدور المربين ، وشهرته تغنى عن تعريفه ، واسمه شعيب ، وولده مدين ، وهو المدفون بمصر بجامع الشيخ عبد ═

يا سيدى : ما لنا نرى المشايخ يدخلون فى الأسباب ، وأنت لا تدخل فيها ؟ فقال[1] :

يا أخى أنصفونا :

الدنيا دار الله ، ونحن ضيوفه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

« الضيافة ثلاثة أيام »[2] .

فلنا عند الله ثلاثة أيام ضيافة ، وقد قال تعالى :

= القادر الدشطوطى ببركة الفرع ، خارج السور مما يلى شرقى مصر عليه قبة عظيمة وقبره يزار . وأما والده فهو مدفون بتلمسان بأرض المغرب فى جبانة العباد له وقد ناهز الثمانين وقبره ظاهر ثم يزار ، وكان أبو مدين ظريفا جميلا متواضعا ، زاهدا ورعا محققا مشتملا على كرم الأخلاق رضى الله عنه ، ومن كلامه رضى الله عنه : ليس للقلب إلا وجهة واحدة ، متى توجه إليها حجب عن غيرها ». انظر الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى .

(١) وفى نسخة فرونه . قال . (٢) روى البخارى عن أبى شريح، وروى أحمد فى مسنده ، وأبو داود عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الضيافة ثلاثة أيام فما كان وراء ذلك فهو صدقة ، (٣) الآية : ٤٧ الحج .

« وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون »[1] .

فلنا عند الله ثلاثة آلاف سنة ضيافة ، مدة إقامتنا فى الدنيا منها ، وهو مكمل ذلك بفضله فى الدار الآخرة ، وزائد على ذلك[2] الخلود الدائم » .

السابع . « نظر العبد إلى قيومية الله تعالى فى كل شىء » . ألم تسمع قوله تعالى :

« الله لا إله إلا هو الحى القيوم[3] ؟ » .

فهو سبحانه وتعالى ، قيوم الدنيا والآخرة ،
قيوم الدنيا بالرزق والعطاء ، والآخرة بالأجر والجزاء .

فإذا علم العبد قيومية ربه به ، وقيامه عليه ، ألقى قياده إليه ، وانطرح بالاستسلام بين يديه ، فألقى نفسه بين يدى ربه مسلما ؛ ناظرا لما يرد عليه من الله حكما .

الثامن : هو اشتغال العبد بوظائف العبودية التى هى منياة بالعمر ، لقوله :

---

(١) وفى نسخة . وزائد ذلك الخلود الدائم .

(٢) الآية : ٢٥٥ من سورة البقرة . أو الآية : ٢ من آل عمران .

« واعبد ربك حتى يأتيك اليقين[١] » .

فإذا توجهت همته إلى رعاية عبوديته ، شغله ذلك عن التدبير لنفسه والاهتمام لها .

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى :

اعلم أن لله تعالى عليك فى كل وقت سهما فى العبودية ، يقتضيه الحق سبحانه وتعالى ، منك[٢] بحكم الربوبية والعبد مطالب بذلك كله ، ومسئول عنه ، وعن أنفاسه التى هى أمانة الحق عنده ، فأين الفراغ لأولى البصائر عن حقوق الله حتى يمكنهم التدبير لأنفسهم ، والنظر فى مصالحها باعتبار حظوظها ومآربها ، ولا يصل[٣] أحد إلى منة الله إلا بغيبته عن نفسه ، وزهده فيها ، مصروفة همته إلى محاب الله تعالى ، متوفرة دواعيه على موافقته ، دائبا على خدمته ومعاملته .

فبحسب غيبتك عن نفسك ، فناء عنها[٤] ، يبقيك الله به ، لذلك قال الشيخ أبو الحسن :

---

(١) الآية : ٩٩ من سورة الحجر .
(٢) وفى نسخة (١) لم توجد كلمة : منك .
(٣) وفى فروينه : وما يصل أحد وكذلك فى (١) .
(٤) وفى نسخة (١) وما يصل أحد .

أيها السابق إلى سبيل نجاته ، الشائق[1] إلى حضرة جنابه، أقلل[2] النظر إلى ظاهرك ، إن أردت فتح باطنك لأسرار ملكوت ربك».

التاسع : وهو أنك عبد مربوب ، وحق العبد أن لا يعول هما مع سيده[3] ، مع اتصافه[4] بالإفضال ، وعدم الإهمال ، فإن روح[5] مقام العبودية : الثقة بالله ، والاستسلام إلى الله تعالى ، وكل واحد منهما[6] يناقض التدبير مع الله تعالى (والاختيار[7] معه) ، بل على العبد أن يقوم بخدمته ، والسيد يقوم له بمنته ، وعلى العبد القيام بالخدمة، والسيد يقوم له بوجود القسمة ، فافهم[8] قوله تعالى :

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها، لا نسألك رزقا، نحن نرزقك[9] »

---

(١) وفى فروينه : التائق .
(٢) وفى نسخة أخرى : فلك النظر .
(٣) وفى نسخة : مع المولى .
(٤) وفى نسخة (١) مع إنصافه بالإفضال .
(٥) وفى فروينه : وإن روح .
(٦) وفى فروينه : وكل واحد منها الأصح منهما .
(٧) ما بين القوسين غير موجود فى فروينه .
(٨) وفى فروينه : وافهم .
(٩) الآية : ١٣٢ من سورة طه .

أى قم بخدمتنا ، و نحن نقوم لك بإيصال قسمتنا.

العاشر : عدم علمك بعواقب الأمور :

فربما دبرت أمرا ظننت أنه لك ، فكان عليك .

وربما أتت الفوائد من وجوه الشدائد ،والشدائد من وجوه الفوائد والأضرار من وجوه المسارّ ، والمسارّ من وجوه الأضرار [١] .

وربما كمنت المنن فى المحن ، والمحن فى المنن .

وربما انتفعت [٢] على أيدى الأعداء، وأرديت [٣] على أيدى الأحباب.

فإذا كان الأمر كذلك : فكيف يمكن عاقلا [٤] أن يدبر مع الله ، ولايدرى المسار فيأتيها ، ولا المضار فيتقيها ؟ .

ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله:

اللهم إنا قد عجزنا عن دفع الضر عن أنفسنا ، من حيث نعلم بما نعلم، فكيف لانعجز عن ذلك من حيث لا نعلم ، بما لا نعلم ؟ .

ويكفيك قوله تعالى :

---

(١) وفى فروينه : من وجوه المضار .

(٢) وفى فروينه : نفعت .

(٣) وفى فروينه : وأوذيت وكذلك فى (١) .

(٤) وفى (١) فكيف يمكن عاقل .

« وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم ، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ، والله يعلم وأنتم لا تعلمون [١] » .

وكم مرة أردت أيها العبد أمرا فصرفه عنك فوجدت لذلك غما فى قلبك ، وحرصا فى نفسك حتى إذا كشف لك عن عاقبة [٢] ذلك علمت أنه [٣] سبحانه ، نظر لك بحسن النظر من حيث لا تدرى ، وخار لك [٤] من حيث لا تعلم ، وما أقبح مريد الا فهم له ، وعبيدا لا استسلم له ، فكن كما [٥] قيل :

وكم رمت أمرا خرت لى فى انصرافه	فلا زلت بى منى أبر وأرحما
عزمت على أن لا أحس [٦] بخاطر	على القلب إلا كنت أنت المقدما
وأن لا ترانى عند ماقد نهيتنى	لكونك فى قلبى كبيرا معظما

---

(١) الآية : ٢١٦ من سورة البقرة .
(٢) وفى فروينه : عن حقيقة ذلك .
(٣) وفى فروينه : علمت أن الله سبحانه .
(٤) وفى نسخة : وخار لك ولعل ذلك أصح .
(٥) وفى فروينه : وكنت كما قيل .
(٦) وفى فروينه : أن لا أجتر بخاطرى .

ويحكى : أن بعضهم (كان إذا أصيب بشيء ، أو ابتلى به[1]) يقول : خيرة .

فاتفق ليلة أن[2] جاء ذئب فأكل ديكاله ، فقيل له به[3] فقال: خيرة.
ثم ضرب فى تلك الليلة كلبه فمات ، فقيل له[4] ، فقال : خيرة .
ثم نهق حماره فمات ، فقال . خيرة .

فضاق أهله بكلامه هذا ذرعا ، فاتفق أن نزل فى تلك الليلة عرب أغاروا عليهم ، فقتلوا كل من بالمحلة ، ولم يسلم غيره وأهل بيته .

استدل العرب[5] النازلون (على الناس ، بصياح الديك[6]) ونباح الكلب ، ونهيق الحمير ، وهو قد مات له كل ذلك ، فكان هلاك هذه الأشياء سببا لنجاته ، فسبحان المدبر الحكيم .

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينه (كان أى شيء قيل له إنه ابتلى به أو أصيب فيه)
(٢) وفى فروينه : فاتفق ليلة جاء ذئب .
(٣) به : غير موجوده فى فروينه .
(٤) له : غير موجودة فى فروينه .
(٥) وفى فروينه : استدلوا العرب والأصح استدل العرب .
(٦) ما بين القوسين نصه فى فروينه (على أهل المحلة بصياح الديكه)

وإن العبد [١] لا يشهد حسن تدبير الله ، الا إذا انكشفت له العواقب ، وليس هذا من مقام أهل الخصوص فى شىء ، لأن أهل الفهم عن الله ، شهدوا حسن تدبير الله (قبل أن تنكشف لهم العواقب [٢]) ، وهم فى ذلك على أقسام ومراتب :

فمنهم من حسن ظنه بالله فاستسلم له لما عوده من جميل صنعه ، ووجود لطفه .

ومنهم من حسن ظنه بالله علما منه ، أن الاهتمام والتدبير والمنازعة ، لا تدفع عنه ، ما قدر عليه ، ولا تجلب له ما لم يقسم له.

ومنهم من حسن [٣] الظن بالله تعالى ، لقوله عليه السلام ، حاكيا عن ربه :

« أنا عند ظن عبدى بى » [٤] .

---

(١) وفى فروينه : أف لعبد وكذلك فى نسخة (١).

(٢) ما بين القوسين نصه فى فروينه (قبل أن تنكشف العواقب لهم).

(٣) وفى نسخة (ا) : أحسن . (٤) هذا الحديث القدسى رواه الشيخان عن ابى هريرة ونصه : يقول عز وجل فيما يرويه رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أنا عند ظن عبدى بى، وأنا معه حين يذكرنى،

فكان متعاطيا بحسن الظن بالله وأسبابه ، رجاء أن يعامل بمثل ذلك ، فيكون الله[1] له عند ظنه .

ولقد يسر الله للمؤمنين سبيل المن إذ كان عند ظنونهم :

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر »[2] .

وأرفع من هذه المراتب كلها ، الاستسلام إلى الله تعالى ، والتفويض له ،[3] بما يستحقه الحق من ذلك لا لأمر يعود على العبد ، فإن المراتب الأول [لم تخرج العبد عن رق العلل ، إذ من استسلم له بحسن عوائده[4]] استسلامه معلول بعوائد الألطاف السابقة ؛ .

= إن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه ، وإن تقرب إلى شبراً تقربت منه ذراعا ، وإن تقرب إلى ذراعاً تقربت منه باعا ، وإن أتاني يمشي أتيته هرولة ، متفق على صحته . رواه الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه .

(١) وفي فروينه : فيكون له عند ظنه .

(٢) الآية : ١٨٥ من سورة البقرة .

(٣) وفي نسخة أخرى : لما يستحقه الحق .

(٤) ما بين القوسين نصه في فروينه (لم تخرج عن رق إذ من استسلم لحسن عوائده) .

فلو لم تكن لم يكن استسلامه ، والثانى أيضا كذلك ، لأن ترك التدبير مع الله لكونه [1] لايجدى شيئاليس هو تركا لأجل الله ، لأن هذا العبد ، لو علم أن تدبيره يجدى شيئا (فلعله كان غير تارك للتدبير [2]) وأما الذى استسلم إلى الله تعالى ، وحسن ظنه به ليكون له عند ظنه ، فهو إنما يسعى [3] فى حظ نفسه مشفقا عليها ، أن يفوتها الفضل بعدوله عن الاستسلام (وحسن الظن بالله ومن استسلم إلى الله ، وحسن ظنه به [4]) لما هو عليه من عظمة الألوهية ، ونعوت الربوبية ، فهذا هو العبد الذى دل على حقيقة الأمر ، وحرى أن يكون هذا من الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم .

« إن لله عبادا التسبيحة الواحدة منهم مثل جبل أحد »

---

(١) لم توجد فى فروينه كلمة : لكونه .

(٢) مابين القوسين نصه فى فروينة [فلعله كان يتخير ترك التدبير وفى (١) فلعله غير تارك للتدبير]

(٣) وفى نسخة . سعى .

(٤) مابين القوسين نصه فى فروينه [وحسن الظن بالله دو من استسلم إلى الله وأحسن ظنه به]

ولقد عاهد الله سبحانه وتعالى العباد أجمع ؛ على اسقاط التدبير [1] معه ، بقوله تعالى:

« وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم ،وأشهدهم على أنفسهم ، ألست بربكم ؟ قالوا : بلى [2] »

لأن إقرارهم بأنه ربهم ، يستلزم ذلك اسقاط التدبير معه ، فهذه معاقدة كانت قبل أن تكون النفس التى هى محل الاضطراب المدبرة مع الله تعالى،ولو بقى العبدعلى تلك [3] الحالة الأولى التى هى كشف الغطاء ووجود الحضرة ، لما أمكنه أن يدبر مع الله ؛

فلما أسدل الحجاب ، وقع التدبير والاضطراب ؛ فلأجل ذلك أهل المعرفة بالله ، المشاهدون لأسرار الملكوت ، لاتدبير لهم مع الله .

إذ وجود المواجهة أبى [4] لهم ذلك ، وفسخ عزائم تدبيرهم، وكيف يدبر مع الله عبد هو فى حضرته ، ومشاهد لكبرياء عظمته ؟

---

(١) كلمة : معه لم توجد فى فروينه .
(٢) الآية : ١٧٢ من سورة الأعراف .
(٣) وفى فروينه : على الحالة الأولى .
(٤) وفى نسخه : أنالهم ذلك .

(وبال التدبير والاختيار وخطره) *

فائدة : اعلم أن التدبير والاختيار ، وباله عظيم ، وخطره جسيم ، وذلك : أنا نظرنا فوجدنا أن آدم عليه السلام ، إنما حمله على أكل الشجرة تدبيره لنفسه ، وذلك : أن الشيطان قال لآدم [1] وحواء ، عليهما السلام ، كما قال الله تعالى :

« وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة ، إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين [2] »

ففكر آدم عليه السلام فى نفسه ، فعلم أن الخلود فى جوار الحبيب هو المطلوب الأسنى ، وانتقاله من الآدمية إلى وصف الملكيه [3] ، إما أن يكون [4] لأن وصف الملكيه [5] أفضل ، أو ظن [6] آدم عليه السلام ، أن ذلك أفضل .

---

* العنوان من عمل المحقق

(١) وفى فروينة . أن الشيطان قال له ولحواء .

(٢) الآيه : ٢٠ من سورة الأعراف

(٣) وفى نسخه (١) إلى وصف الملائكه .

(٤) وفى فروينه : إما أن يكون إجلال

(٥) وفى نسخه (١) الملائكة .

فلما دبر عليه [1] السلام فى نفسه هذا التدبير ، أكل من الشجرة (فما أتى إلا من عين وجود التدبير [2]) ، وكان مراد الحق منه ذلك لينزله إلى الأرض ، ويستخلفه فيها ، فكان هبوطا فى الصورة، وترقيا [3] فى المعنى . ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

« والله ما أنزل الله آدم إلى الأرض ، لينقصه ، وإنما أنزله إلى الأرض ليكمله »

فلم يزل آدم عليه السلام راقيا إلى الله تعالى ، تارة على معراج التقريب والتخصيص ، وتارة على معراج الذلة والمسكنة ، وهو فى [4] التحقيق أتم .

. . ويجب على كل مؤمن أن يعتقد أن النبى والرسول ، لا ينتقلان من حالة إلا إلى حالة [5] أكمل منها .

وافهم ههنا قوله سبحانه وتعالى :

---

(١) وفى فروينه . فلما دبر آدم عليه السلام نفسه .

(٢) ما بين القوسين نصه فى فروينه [فما أتى عليه إلا من وجود التدبير] .

(٣) وفى فروينه . ورقيا . وفى نسخة (١) ترقا .

(٤) وفى فروينة . وهى فى التخصيص أتم .

(٥) وفى فروينه : إلا إلى أكل .

وللآخرة خير لك من الأولى [١] » .

قال ابن عطية[٢] :

« وللحالة الثانية ، خير لك من الأولى » .

وإذ قد عرفت هذا فاعلم أن الحق سبحانه وتعالى له التدبير والمشيئة وكان قد سبق من تدبير مشيئته ، أنه لابد أن يعمر الأرض ببنى[٣] آدم ، وأن يكون منهم كما شاء .

« منهم محسن . وظالم لنفسه مبين [٤] » .

وكان من تدبير حكمته : أن لابد من تمام ذلك ، وظهوره إلى عالم الشهادة ، فأراد الحق سبحانه أن يكون تناول آدم للشجرة سبباً لنزوله

---

(١) الآية : ٣ من سورة الضحى .

(٢) وابن عطية هو محمد بن على بن عطيه الحارثى أبو طالب : واعظ فقيه اشتهر بمكة ورحل إلى بغداد ، فتوفى بها سنة ٣٨٦ هـ - ٩٩٦ م . انظر الأعلام للزركلى ج ٣ ص ١٤٤ . ووفيات الأعيان لابن خلكان

(٣) وفى نسخة (١) أن يعمر الأرض بنى آدم ، ولعل الأصح ببنى آدم .

(٤) وهذا اقتباس من قول الله سبحانه وتعالى فى سورة الصافات : [ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين] .

إلى الأرض ، ونزوله إلى الأرض سبباً لظهور مرتبة الخلافة التي من عليه بها .

ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه :

« أكرم بها معصية أورثت الخلافة [وسنت التوبة لمن بعده إلى يوم القيامة [1]] .

وكان نزوله إلى الأرض بحكم قضاء الله تعالى ، قبل أن يخلق السموات والأرض .

قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه :

« والله لقد أنزل الله آدم إلى الأرض ، قبل أن يخلقه ، كما قال سبحانه :

« إنى جاعل فى الأرض خليفة [2] » .

فمن حسن تدبير الله تعالى لآدم ، أكله من الشجرة ، ونزوله إلى الأرض ، وإكرام الله تعالى إياه بالخلافة والإمامة .

وإذ قد انتهى بنا المقال إلى ها هنا ، فلنتبع الفوائد والخصائص التى منحها آدم عليه السلام فى هذه الواقعة ، لنعلم [3] أن لأهل الخصوص

---

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٢) الآية : ٣٠ من سورة البقرة .

(٣) وفى فروينه لم توجد كلمه لنعلم وذكرها أصح ليستقيم المعنى .

مع الله حالا ليست لمن [1] سواهم ، ولله فيهم تدبير لايتوجه به لما [2] عداهم .

ففي أكل آدم من الشجرة ، ونزوله الى الأرض فوائد ، منها :

أن آدم وحواء عليهما السلام كانا فى الجنة فتعرفا اليهما بالرزق والعطايا ، والإحسان ، والنعماء فأراد الحق سبحانه وتعالى ، من خفى لطفه فى تدبيره أن يأكلا من الشجرة ، ليتعرف لهما [3] بالحلم والستر والمغفرة والتوبة والاجتبائية .

أما الحلم [4] : فلأنه لم يعاجلهما بالعقوبة حين فعلا [والحليم هو الذى لايعاجل [5]] بالعقوبة على ما صنعت ، بل يمهلك ، إما الى عفوه وانعامه ، وإما الى سطوته [6] وانتقامه .

---

(١) لمن غير موجود فى فروينه وذكرها أصح ليستقيم المعنى .

(٢) وفى فروينه : لمن .

(٣) وفى نسخة : ليتعرف إليهما .

(٤) وفى فروينه : الثانى الحلم ، فإنه سبحانه وكذلك فى (١) وهو الأصح .

(٥) ما بين القوسين من نصه فى فروينه [والحليم هو الذى لايعاجلك]

(٦) وفى فروينه . وإما إلى عقوبته .

الثانى[1] : هو أن الله سبحانه وتعالى ، تعرف لهما بالستر ، وذلك أنهما[2] لما أكـلا منها ، وبدت لهما سوآتهما بزوال ملابس الجنة ، سترهما بورقها ، كما قال الله تعالى :

« وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة [3] »

فـكان ذلك من وجود ستره .

الثالث [4] : هو أنه أراد الحق سبحانه وتعالى ، أن يعلمه باجتبائه له ، وينشأ عن اجتبائه [5] مقامان .

التوبة إليه ، والهدايه من عنده .

فأراد الحـق سبحانه ، أن يعرف آدم عليـه السلام باجتبائه له ، وسابق عنايته فيه ، فقضى عليه بأكل الشجرة ، ثم لم يجعـل أكله إياها سببيلا [6] لإعراضه عنه ، ولالقطـع مدده منه ، بل كان [7] فى ذلك

(١) وفى فروينه والثالث وهو أنه

(٢) وفى فروينه أنه ولـكن الأصح أنهما .

(٣) الآية ٢٢ من سورة الإعراف

(٤) وفى فروينه : الرابع وهو أنه لما أراد سبحانه أن يعرفه باجتبائه له .

(٥) وفى فروينه : وينشا عن الاجتبائية وكذلك فى (ا)

(٦) وفى نسخة فروينه : سببا

(٧) وفى فروينه بل فكان فى ذلك .

اظهار لوده سبحانه وتعالى فيه ، وعنايته به ، كما قالوا :

« من سبقت له العناية ، لم تضره الجناية »

ورب ود تقطعه المخالفة ، والود الحقيقي : هـو الذي يدوم لك من الواد لك ، موافقا كنت أو مخالفا ، وليس فى قوله تعالى : « ثم اجتباه ربه دليل على حدوث اجتبائية [1] الحق فيه بل كان [2] قبل وجـوده ، وإنما الذى حدث بعد الذنب ، ظهور أثر الاجتبائية من الله له ، فهـو الذى قال فيه الحق سبحانه وتعالى :

« ثم اجتباه ربه [3] »

أى [4] أظهر له أثر الاجتبائية فيه ، والعناية به [بتيسيره للتوبة إليه ، والهداية [5]] من عنده ، فصار فى قوله تعالى :

« ثم اجتباه ربه ، فتاب عليه وهدى » تعريفات ثلاث :

---

(١) وفى نسخة اجتبابية الحق فيه.

(٢) كان غير موجودة فى فروينه

(٣) الآية ١٢٢ من سورة طه

(٤) وفى فروينه ثم أظهر

(٥) وردت هذه العبارة فى فروينه فيسره للتوبه والهدى

الاجتبائيـة ، والتوبة التي هي نتيجتها ، والهـدى الذى [١] هو نتيجة[٢] التوبة ، فافهم.

ثم أنزله إلى الأرض فتعرف له بحكمته[٣] كما تعرف له فى الجنة ببواهر قدرته ، وذلك : لأن الدنيا محل الوسائط والأسباب ، فلما نزل آدم عليه الصلاة والسلام إلى الأرض . علم الحراثة ، والزراعة ، وما يحتاج إليه من أسباب عيشته ليحققه الله تعالى بما أعلمه به من قبل أن ينزل بقوله :

« فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى »[٤]

والمراد بقوله تعالى . « فتشقى » تعب الظواهر ، لا الشقاوة التى هى ضد السعادة .

والدليل على ذلك قوله تعالى : « فتشقى » ولم يقل فتشقيا .

لأن المتاعب والـكلف ، إنما هى على الرجـال دون النساء ، كما قال تعالى :

« الرجال قوامون على النساء ، بما فضل الله »[٥]

(١) الذى ساقط من (أ)
(٢) وفى فروينه الذى هو ينتج
(٣) وفى فروينه فتعرف له فيها
(٤) الآية ١١٧ من سورة طه
(٥) الآية ٣٤ من سورة النساء .

ولو كان المراد شقاء بالقطيعة (١) ، أو وجود الحجبة لقال : « فتشقيا » فدل الإفراد على أنه ليس الشقاء هنا بقطيعته (٢) ولا إبعاده مع أنه لو ورد كذلك لحملناه على الظن الجميل وأرجعناه إلى المتاعب الظاهرة على التأويل .

(أكل آدم للشجرة عليه السلام لم يكن عنادا *)

فائدة جليلة :

اعلم أن أكله (٣) عليه السلام للشجرة لم يكن عناداً ولا خلافا ، فإما أن يكون نسى الأمر فتعاطى الأكل وهو له غير ذاكر وهو قول بعضهم ، ويحمل عليه قوله تعالى :

« ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما » (٤) .

أو إن كان تناوله (٥) ذاكراً للأمر ، فهو إنما تناوله لأنه قيل له :

---

(١) وفى فرونيه بالقطعه ووجود الحجبه ، وكذلك فى نسخه (أ)
(٢) وفى فرونيه ليس الشقاء هنا بقطعه
* من عمل المحقق .
(٣) وفى نسخة : أكل آدم عليه السلام للشجرة .
(٤) الآية : ١١٥ من سورة طه .
(٥) وفى فرونيه : يتناول .

« ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة[1] إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين » .

فاحبه فى الله ، وشغفه به ، أحب ما يؤديه إلى الخلود فى جواره ، والبقاء عنده ، أو ما يؤديه إلى الملكية[2] .لأن آدم صلى الله عليه وسلم عاين قرب الملكية من الله ، فأحب أن يأكل من الشجرة لينال رتبة الملكية التى هى أفضل ، أو التى هى فى ظنه كذلك على اختلاف أهل العلم وأهل المعرفة أيضاً ، أيهما أفضل ؟ الملكية ، أم النبوة[3] لاسيما وقد قال سبحانه وتعالى :

« وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين »[4] .

قال آدم عليه السلام :

« ما ظننت أن أحداً يحلف بالله كاذبا » . فكان كما قال تعالى:

« فدلاهما بغرور » .

---

(١) من الآية ٢٠ سورة الأعراف .

(٢) كل ماذكر فى هذا الفصل بكلمة . « الملكية ورد فى النسخ المخطوطة بلفظ الملائكة .

(٣) وفى فروينة . « الأنبياء وكذلك نسخة (١)

(٤) الآية ٢١ من سورة الأعراف .

فائدة :

اعلم أن آدم عليه السلام [لم يكن لشيء مما كان يأكله[1]] أثى ، بل كان رشحا كرشح المسك ، كما يكون أهل الجنة في الجنة ، إذا دخلوها ، لكنه لما أكل من الشجرة المنهى عنها ، أخذته بطنه ، فقيل له : يا آدم أين ؟

على الأسرة ، أم على الحجال ، أم على شاطئ الأنهار ؟

إنزل إلى الأرض التي يمكن ذلك فيها ، فإذا كان ما به المعصية ، وصلت إليه آثارها ، فكيف لا تؤثر المعصية في الفاعل بها[2] فافهم .

(تنبيه واعتبار)*

اعلم أن كل شيء نهى عنه ، فهو شجرة ، والجنة هي حضرة الله ، فيقال لآدم قلبك ، ولحواء نفسك ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين .

لكن آدم عليه السلام ، محفوف[3] بالعناية ، لما أكل من الشجرة

---

(١) ما بين القوسين ورد في (ا) [لم يكن شيئا مما يأكله]

(٢) وفي فروينه . الفاعل لها .

* العنوان من عمل المحقق

(٣) وفي فروينه محفوظ

أنزل إلى الأرض ، للخلافة ، وأنت إذا أكلت من شجرة[1] النهى ، أنزلت إلى أرض القطيعة[2] ، فافهم .

فإن تناولت شجرة النهى ، أخرجت من جنة الموافقة ، إلى وجود أرض القطيعة ، فيشقى قلبك : وإنما يلاقى الشقاء وقت القطيعة القلب لا النفس ، لأن وقت القطيعة يكون فيه ملائمات النفوس من ملذوذاتها وشهواتها ، وانهما كها فى غفلاتها .

(ترتيب وبيان[3])

اعلم أن الله تعالى تعرف لآدم عليه السلام ، بالإيجاد فناداه ياقدير
ثم تعرف له بتخصيص[4] الإرادة ، فناداه يامريد .
ثم تعرف له بحكمه[5] فى نهيه عن أكل الشجرة ، فناداه ياحاكم[6]
ثم قضى بأكلها ، فناداه يا قاهر .

---

(١) وفى نسخة (ا) أكلت من الشجرة أنزلت

(٢) كل ما ورد فى هذا الفصل بلفظ القطيعه ، ورد فى جميع المخطوطات بلفظ القطعه .

(٣) وفى قرينه . تنبيه .

(٤) وفى قرينه : بتخصيصه .

(٥) وفى نسخة . بحكمته لما نهاه .

(٦) وفى قرينه : ياحكيم .

ثم يعاجله بالعقوبة إذ أكلها ، فناداه ياحليم .

ثم لم يفضحه فى ذلك فناداه يا ستار .

ثم تاب عليه بعد ذلك ، فناداه يا تواب .

ثم أشهده أن أكله من الشجرة (١) لم يقطع عنه وده فيه (٢) ، فناداه يا ودود .

ثم أنزله إلى الأرض ، ويسر له أسباب المعيشة ، فناداه يا لطيف .

ثم قواه على ما اقتضاه منه ، فناداه يا معين (٣) .

ثم أشهده سر الأكل والنهى والنزول ، فناده يا حكيم .

ثم نصره على العدو ، والمكائد له ، فناداه يا نصير .

ثم ساعده على أعباء تكاليف (٤) العبودية ، فناداه يا ظهير .

فما أنزله إلى الأرض إلا ليكمل له وجود التصريف (٥) ، ويقيمه بوظائف التكليف ، فتكملت فى آدم عليه السلام العبوديتان :

---

(١) وفى فروينه . أكله للشجرة .

(٢) كلمة : فيه لم توجد فى نسخه (١)

(٣) وفى فروينه . ياقوى .

(٤) وفى فروينه : تكليف .

(٥) كل ما ذكر فى هذا الفصل من لفظ التصريف فإنه ذكر

عبودية التصريف ، وعبودية التكليف ، فعظمت منة الله عليه ، وتوفر إحسانه إليه ، فافهم .

(مقام العبودية *)

انعطاف :

اعلم أن أجل مقام أقيم العبد [١] فيه : مقام العبودية ، وكل المقامات ، إنما هي كالخدمة لهذا المقام ، والدليل على أن العبودية أشرف مقام ، قول الله سبحانه وتعالى :

« سبحان الذى أسرى بعبده ليلا [٢] » .

« وما أنزلنا على عبدنا [٣] » .

« كهيعص ذكر رحمة ربك عبده ذكريا [٤] » .

---

* من عمل المحقق .

(١) وفى فروينه : أقيم فيه العبد .

(٢) الآية الأولى من سورة الإسراء .

(٣) الآية : ٤١ من سورة الأنفال .

(٤) الآية : ٢،١ من سورة مريم .

« وأنه لما قام عبد الله يدعوه [١] » .

ولما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بين أن يكون نبياً ملكاً أو نبياً عبداً ، اختار [٢] العبودية ، لله تعالى ، فى ذلك أدل دليل على أنها من أفضل المقامات ، وأعظم القربات .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« إنما أنا عبد لا آكل متكئا ، إنما أنا عبد الله ، آكل كما يأكل العبيد » [٣]

---

(١) الآية : ١٩ من سورة الجن .

(٢) وفى فروينه : فاختار .

(٣) الحديث حديث صحيح أخرجه الترمذى ، ورواه البخارى عن أبى جحيفة رضى الله تعالى عنهما بلفظ (أما أنا فلا آكل متكئا . وفى رواية البزار عن ابن عمر رضى الله عنهما وأبو بكر الشافعى فى فوائده من حديث البراء رضى الله عنه : (إنما أنا عبد آكل كما يأكل العبيد » . ومما يؤيد أفضلية مقام العبودية قول العلماء : لو كان للنبى صلى الله عليه وسلم اسم أشرف منه لسماه به فى الحالة العليه) وقول القشيرى رضى الله عنه : (لما رفعه الله تعالى إلى حضرته السنيه ، وأرقاه فوق الكواكب العلوية ، ألزمه اسم العبودية تواضعا للأمه ، انظر تفسير القرطبى ج ١٠ ص ٢٠٥ . وقول العلماء أيضا : (لما كانت

وقال صلى الله عليه وسلم :

« أنا سيد ولد آدم ولا فخر » (١)

سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول :

« ولا فخر : أى لا أفتخر بالسيادة إنما الفخر لى بالعبودية لله تعالى، ولأجلها كان الإيجاد »

وقال تعالى :

« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (٢)

والعبادة ظاهر العبودية ، والعبودية روحها .

وإذ قد (٣) فهمت هذا فروح العبودية وسرها إنما هو ترك الإختيار ، وعدم منازعة الأقدار ، فتبين من هذا أن العبودية ترك التدبير والاختيار (٤) مع الربوبية، فإذا كان لا يتم مقام العبودية الذى

---

(١) الحديث أخرجه مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه . وفى رواية لأبى داود ومسلم عن أبى هريرة قال : ز أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر ، وأول شافع وأول مشفع ،

(٢) الآية : ٥٦ من سورة الذاريات .

(٣) وفى نسخة (ا) إذا فهمت .

(٤) وفى فروينه لم توجد كلمة : والاختيار .

هو أشرف المقامات إلا بترك التدبير ، لحقيق على العبد أن يكون له تاركا ، وللتسليم لله تعالى وللتفويض له سالكا ، ليصل إلى مقام الأكمل ، والمنهج الأفضل .

وسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أبا بكر [١] رضى الله عنه ، يقرأ ، ويخفض [٢] صوته ، وعمر [٣] رضى الله عنه يقرأ ويرفع صوته ، فقال لأبى بكر .

---

(١) وهو أبو بكر الصديق الخليفة الأول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، ورضى الله عنه . واسمه عبد الله ، ولقب بعتيق وبالصديق . وكنيته أبو بكر : وجمهور أهل النسب على أن اسمه الأصلى عبد الله سماه به النبي صلى الله عليه وسلم ، لما أسلم ، وكان اسمه من قبل عبد الكعبة . وهو أشهر من أن يعرف . وتاريخه الحافل بالمجد والفخار وسيرته العطرة بالثناء عليه من رسول الله ، وصحبته الشريفه للنبي الكريم كل ذلك يجعله دائما فى وضوح واضح وشهرة مشهورة رضى الله عنه وأرضاه ، وإن أردت معرفة الكثير عنه فاقرأ كتب السيرة والتاريخ الإسلامى ، وأبو بكر الصديق للخطيب .

(٢) وفى فروينه : يخفى .

(٣) هو ثانى الخلفاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو أمير المؤمنين أبو حفص عمر بن الخطاب ، وهو أول من سمى أمير المؤمنين =

لما خفضت صوتك ؟ فقال :

قد أسمعت من ناجيت .

وقال لعمر :

لما رفعت صوتك ؟ فقال :

أوقظ (١) الوسنان ، وأطرد الشيطان .

فقال لأبى بكر : ارفع قليلا . وقال لعمر : اخفض قليلا .

فكان شيخنا أبو العباس رحمه الله تعالى يقول :

ها هنا أراد النبى صلى الله عليه وسلم ، أن يخرج كل واحد منهما عن مراده لنفسه ، لمراده صلى الله عليه وسلم .

= وقد كناه عليه الصلاة والسلام بأبى حفص ، أسلم سنة ست من البعثة ، وهاجر إلى المدينة قبل قدومه صلى الله عليه وسلم وشهد المشاهد كلها . وفتح الشام ومصر والعراق والموصل وغيرها والكوفة والبصرة ، وولى القضاء فى الأمصار ودون الدواوين وتزوج النبى صلى الله عليه وسلم ابنته حفصة . ومات شهيدا قتله أبو لؤلؤة ، وهو يصلى صلاة الفجر رضى الله تعالى عنه .

(١) وفى قروينه : أوقظ الوسنان .

تنبيه : تفطن رحمك الله لهذا الحديث ، تعلم [١] منه أن الخروج عن الإرادة ، هي أفضل العبادة ، لأن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما كل واحد منهما قد أبان لما سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن صحة قصدهما وبعد ذلك أخرجهما رسول الله عليه الصلاة والسلام ، عما أرادا لأنفسهما مع صحة قصده [٢] إلى اختيار رسول الله عليه الصلاة والسلام [٣] .

(بنوا إسرائيل والتيه*)

فائدة :

اعلم أن بني إسرائيل لما دخلوا التيه . ورزقوا المن والسلوى ، واختار الله تعالى لهم ذلك رزقا رزقهم إياه ، يبرز من عين المنة من غير تعب منهم ولا نصب ، فرجعت نفوسهم الكثيفة لوجود إلف العادة والغيبة ، عن شهود تدبير الله تعالى إلى طلب ما كانوا يعتادونه ، فقالوا : «ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها ، وقثائها ، وفومها ، وعدسها ، وبصلها ، قال :

أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير ؟

(١) وفي قرونية : تعلّم .
(٢) وفي نسخة : مع صحة قصدهما وذلك هو الصحيح .
(٣) وفي قرونيه : اختيار رسول الله له .
* العنوان من عمل المحقق

اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم ، وضربت عليهم الذلة والمسكنة ، وباءوا بغضب من الله »[١]

وذلك[٢] لأنهم تركوا ما اختار الله لهم مما يليق[٣] ، لما اختاروه لأنفسهم ، فقيل لهم على طريق التوبيخ لهم :[٤]

« أتستبدلون الذى هو أدنى بالذى هو خير ؟ اهبطوا مصرا »

فظاهر التفسير : أتستبدلون الثوم والبصل والعدس ، بالمن والسلوى وليس النوعان سواء فى اللذة[٥] ، ولا فى سقوط المشقة ؟

وسر الاعتبار : أتستبدلون مرادكم لأنفسكم بمراد الله لكم ؟

أتستبدلون الذى هو أدنى ، وهو ماأردتموه ، بالذى هو خير ، وهو ماأراد الله لكم ؟

اهبطوا مصرا فإن ماأنتم[٦] اشتهيتموه لايليق أن يكون إلا فى الأمصار .

---

(١) البقره آيه : ٦١

(٢) وذلك : غير موجودة فى فروينه .

(٣) وفى نسخة : مايليق وكذلك فى نسخة (١)

(٤) لهم غير موجودة فى فروينه :

(٥) وفى فروينه : فى اللذاذة .

(٦) أنتم : لم توجد فى فروينه

وفى سر الاعتبار : اهبطوا عن سماء التفويض ، وحسن الاختيار[١] والتدبير منا لكم إلى أرض التدبير والاختيار منكم لأنفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة ، لاختياركم مع الله ، وتدبيركم لأنفسكم مع تدبير الله .

ولو أن هذه الأمة هي السكائنة فى التيه ، لمافاتت مقال بنى إسرائيل لشفوف أنوارهم ، ونفوذ أسرارهم .

ألا ترى (أن بنى إسرائيل فى ابتداء الأمر قالوا لموسى عليه السلام: وهو كان سبب التيه لهم[٢])

« إذهب أنت وربك فقاتلا ، إنا هاهنا قاعدون[٣] »

وقالوا فى آخره :

« ادع لنا ربك[٤] »

فأبوا فى الأول عن امتثال أمر الله ، وفى الآخر ، اختاروا لأنفسهم غير مااختار الله بهم ، وكثيرا ما تكرر منهم مايدل على بعدهم عن مصدر الحقيقة .

---

(١) وفى نسخة : وحسن التدبير منا لكم .

(٢) ما بين القوسين نصه فى فروينه (أن بنى إسرائيل قالوا فى إبتداء هذا الأمر وهو كان سبب التيه لموسى صلوات الله عليه)

(٣) هذه الآية رقم : ٢٤ من سورة المائدة .

(٤) فى آية : ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ من سورة البقرة .

وسواء الطريقة فى قولهم : « أرنا الله جهرة [١] » وفى قولهم لموسى عليه السلام بعد[٢] ، ولم ينشف بلل البحر من أقدامهم ، حين فرق لهم لما عبروا على قوم يعكفون على أصنام لهم ، فقالوا [٣] :

« اجعل لنا إلها كما لهم آلهة [٤] »

فكانوا كما قال موسى عليه السلام :

« قال إنكم قوم تجهلون [٥] »

وكذلك قوله تعالى :

وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة ، وظنوا أنه واقع بهم ، خذوا ما آتيناكم بقوة [٦] »

وهذه الأمة نتق فوق قلوبها جبال الهيبة والعظمة ،(فأخذوا الكتاب

---

(١) الآية ١٥٣ من النساء .
(٢) وفى فروينه . وبعد .
(٣) وفى فروينه . قالوا ياموسى .
(٤) آية ١٣٨ من الأعراف
(٥) آية ١٣٨ من الأعراف
(٦) الأعراف آية ١٧١

بقوة الإيمان ، فثبتوا لذلك وأيدوا لما هنالك ، وحفظوا من عبادة العجل وغير ذلك [١]) لأن الله تعالى ، اختار هـذه الأمة واختار لها وأثنى عليها بقوله :

« كنتم خير أمة أخرجت للناس [٢] »

وقوله تعالى :

« وكـذلك جعلناكم أمة وسطا [٣] » . أى عدولا [٤] خيارا

(أفضل الكرامات وأجل القربات*)

فقد [٥] تبين لك من هذا أن التدبير والاختيار ؛ من أشد الذنوب والأوزار

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينه (فأخذوا الكتاب بذلك الإيمان لذلك أيدوا لما هنا لك ، وحفظوا من عبادة من عبد منهم العجل وغير ذلك)

* العنوان من عمل المحقق

(٢) الآية ١١٠ من سورة آل عمران

(٣) الآية ١٤٢ من سورة البقرة .

(٤) وفى فروينه : عدولا . (٥) وفى نسخة : يتبين

فإذا أردت أن يكون لك من الله اختيار فاسقط معه الإختبار .

وإن أردت أن يكون لك حسن التدبير ، فلا تدع معه وجود التدبير

وإن أردت الوصول إلى المراد ، فذلك بأن لا يكون [١] معه مراد

ولذلك لما قيل لأبي يزيد [٢]

ماتريد ؟ قال :

« أريد أن لاأريد » اهـ

---

(١) وفى فروينه : بأن لايكون لك معه مراد .

(٢) هو أبو يزيد بن طيفور بن عيسى البسطامى . كان جده مجوسيا أسلم . وكانوا ثلاثة اخوة : آدم ، وطيفور ، وعلى ، وكلهم كانوا زهادا عبادا : وكان أبو يزيد أجلهم حالا . ومن كلامه يقول : لو نظرتم إلى رجل أعطى من الكرامات حتى يرتقى فى الهواء فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف تجدونه عند الأمر والنهى ، وحفظ الحدود ، وأداء الشريعة . وعن الحسن بن على قال سئل أبو يزيد بأى شىء وجدت هذه المعرفه؟ فقال ببطن جائع ، وبدن عار ، قيل إنه مات سنة إحدى وستين ومائتين ، وقيل أربع وثلاثين ومائتين رضى الله عنه . انظر الرسالة القشيرية تحقيق شيخنا العارف بالله تعالى الدكتور عبد الحليم محمود ، الدكتور محمود بن شريف ج ١ ص ٨٠

فلم تكن أمنيته من الله ، ولا طلبته [١] منه إلا سقوط الإرادة معه ، اعلمه أنها أفضل الكرامات ، وأجل القربات .

وقد يتفق للمخصص الكرامات الظاهرة ، وبقايا التدبير كامنة فيه .

فالكرامة الكامنة الكاملة [٢] الحقيقية ، إنما هي : ترك التدبير مع الله ، والتفويض لحكم لله .

ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى :

إنما هما كرامتان جامعتان محيطتان :

كرامة الإيمان لمزيد [٣] الإيقان ، وشهود العيان ، وكرامة العمل على الاقتداء والمتابعة ، ومجانبة الدعاوى والمخادعة .

فمن أعطيهما ثم جعل يشتاق إلى غيرهما فهو عبد مفتر [٤] كذاب أوذو خطأ بالعلم [٥] والعمل بالصواب ، وكل كرامة لا يصحبها الرضا

---

(١) وفى فروينه : ولا طلبة .
(٢) كلمة الكاملة : غير موجودة فى فروينة .
(٣) وفى فروينة : بمزيد الإيقان .
(٤) وفى نسخة (ا) مفتر كذاب
(٥) وفى فروينة : فى العلم والعمل .

من الله تعالى ، وعن الله ، فصاحبها مستدرج مغرور ، أو نا قص ، أو هالك مثبور » اهـ.

فاعلم [1] أن الكرامة لاتكون كرامة حتى يصحبها الرضا عن الله ، ومن لازم الرضا عن الله ، ترك التدبير معه ، وإسقاط الاختيار بين يديه .

واعلم أنه قد قال بعضهم :

« إن أبا يزيد رحمه الله ، لما أراد أن لايريد ، فقد أراد » اهـ

وهذا قول من لامعرفة عنده ، وذلك : لأن أبا يزيد إنما أراد أن لايريد ، لأن الله تعالى اختار له وللعبد أجمع ، عدم [2] الإرادة معه ، فهو فى إرادته أن لايريد ، موافق لإرادة الله تعالى له.

ولذلك [3] قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى :

« وكل مختارات الشرع ، وترتيباته ، ليس لك منها [4] شيىء . واسمع وأطع .

---

(١) وفى فروينه : فاعلمك .

(٢) يشهد لهذا قوله تعالى : « وماتشاءون إلا أن يشاء الله .

(٣) وفى فروينه لذلك قال الشيخ .

(٤) وفى نسخة . ليس لك منه شىء .

وهذا موضع الفقه الربانى ، والعلم اللدنى ، وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله ، لمن استوى » اه

فأفاد الشيخ بهذا الكلام : (أن كل مختار للشرع ، لايناقض[1]) اختياره مقام العبودية المبنى على ترك الاختيار ، لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك ، فيظن أن الوظائف[2] والأوراد ، ورواتب السنن ، وإرادتها ، يخرج بها العبد عن صريح العبودية ، لأنه قد اختار .

(فبين الشيخ رحمه الله تعالى ، أن كل مختارات[3]) الشرع ، وترتيباته ، ليس لك منها[4] شيىء ، وإنما أنت مخاطب أن تخرج عن تدبيرات لنفسك ، واختيارات لها ، لا عن تدبير الله ورسوله لك ، فافهم .

فقد علمت إذا أن أبا يزيد ، ماأراد أن لايريد ، إلا لأن الله تعالى أراد منه ذلك .

فلم تخرجه هذه الإرادة ، عن العبودية المقتضاة منه ، فقد علمت أن

---

(١) وفى نسخه (ا) كل مختارات الشرح لاتناقض .
(٢) وفى نسخه : الوضايف والأصح الوظائف
(٣) مابين القوسين نصه فى فروينه [قال الشيخ : إن كل مختارات]
(٤) وفى فروينة . ليس لك منه شيء

الطريق الموصلة إلى الله تعالى ، هي محو الإرادة [١] ، ورفض المشيئة [٢] ، حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى:

«ولن يصل الولى إلى الله ، ومعه تدبير من تدبيراته ، واختيار من اختياراته » اهـ .

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول :

«ولن يصل العبد [٣] إلى الله تعالى ، حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله تعالى» اهـ .

يريد والله أعلم :

أن [٤] تنقطع عنه انقطاع أدب ، لا انقطاع ملل .

أو لأنه يشهد إذا قرب إبان وصوله ، عدم استحقاقه لذلك ، واستحقاره لنفسه أن يكون أهلا لما هنالك ؛ فتنقطع عنه شهوة الوصول لذلك ، لا مللا ، ولا سلوا ، ولا اشتغالا عن الله تعالى بشيء دونه .

---

(١) وفى فروينه : الإرادات .

(٢) وفى نسخة : المشيئات .

(٣) وفى نسخة : الولى .

(٤) أن : لم توجد فى فروينه ولا فى (ا) .

فإذا أردت الإشراق والتنوير ، فعليك بإسقاط التدبير ، واسلك إلى الله كما سلكوا ، تدرك ما أدركوا .

[اسلك مسالكهم، وانهج مناهجهم، وألق عصاك فهذا جانب الوادي[1]]

ولنا في هذا المعنى في ابتداء العمر ، ما كتبت به لبعض إخواني :

أيا صاح هـــــذا الركب قد سار مسرعاً
ونحن قعــــود ما الذي أنت صانع

أترضى بأن تبـقى المخلف بعـــدهم
صريع الأماني والغــــرام ينازع

وهذا لسان الـــكون ينطق جهرة
بأن جميـــع الكائنات قــــواطع

وأن لا يرى وجه السبيل سوى امرئ
رمى بالســوى لم تختـــدعه المطامع

ومن أبصر الأشـــياء والحق قبلها
تغيب مصـنوعا بمن هـــو صانع

(١) ما بين القوسين جاء في فروينه : على نظم بيت من الشعر [اسلك مسالكهم وانهج مناهجهم .٠. والق عصاك فهذا جانب الوادي) وهو الأصح لاتفاق نظمه وانسجام قافيته .

بواده أنوار لمن كان ذاهبــاً
وتحقيق أسرار لمن هو راجــع
فقم وانظر الأكوان والنور عمها
فعجز التداني نحوك اليــوم طالع
وكن عبده والق القياد لحــكمه
وإياك تدبــيراً فمــا هو نافع
أتحــكم تدبيراً وغــيرك حاكم
أأنت لأحــكام الإله تنــازع
فمحــو إرادة وكل مشــيئة
هو الغرض الأقصى فهل أنت سامع
كذلك (١) سار الأولون فأدركوا
على إثرهم فليسر من هــو تابع
على نفسه فليبك من كان طالبــاً
ومــا لمعت ممن يحب لوامــع
على نفسه فليبك من كان باكيــاً
أيذهب وقت وهــو باللهو ضائع

(١) وفى فروينه : فانظر .
(٢) وفى فروينه : لذلك سار الأولون .

أهم مايلتزمه الموقنون وأشرف ما يطلبه العابدون

اعلم وفقك الله ، أن لله عبادا خرجوا عن [١] التدبير مع الله بتأديبه الذى ادبهم ، وبتعليمه الذى علمهم ، فقسخت [٢] الأنوار عزائم تدبيرهم ، ودكت المعارف والأسرار (جبال اختيارهم) [٣] فنزلوا منزل الرضا ، فوجدوا نعيم المقام ، فاستغاثوا بالله ، واستصرخوا به ، خشية أن يشغلهم حلاوة الرضا فيميلوا إليها بمساكنة ، أو يجنحوا لها بمراكنه .

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى :

كنت فى ابتداء أمرى ، أدبر ما أصنع من الطاعات وأنواع الموافقات .

فتارة أقول : إلزم البرارى والقفار وتارة أقول : ارجع إلى المدائن والديار، لصحبة العلماء والأخيار .

---

* العنوان من عمل المحقق .

(١) وفى نسخة أخرى : من التدبير .

(٢) وفى فروينه : فنسخت الأنوار .

(٣) وفى فروينه (وجود اختياراتهم) .

فوصف لى(ولى من أولياء الله بأرض المغرب [١] بجبل هنالك ،
فطلعت إليه ، فوصلت إليه ليلا ، فكرهت أن أدخل عليه حينئذ ،
فسمعته يقول :

اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فأعطيتهم ذلك ،فرضوا
منك بذلك.

اللهم وإنى أسألك اعوجاج الخلق على حتى لا يكون ملجىء إلا إليك.
فقلت : يانفس أنظرى من أى بحر يغترف هذا الشيخ ؟
فأقمت حتى إذا كان الصباح ، دخلت عليه ، فسلمت عليه ، ثم
قلت : ياسيدى ؟

كيف حالك ؟ فقال :

أشكو إلى الله من برد الرضا والتسليم ، كما تشكو أنت من حر
التدبير والاختيار . فقلت :

ياسيدى ؟ أما شكواى من حر التدبير والاختيار ، فقد ذقته ،

---

(١) وفى فروينه : ولى من الأولياء : والولى الذى وصف لسيدى
أبى الحسن الشاذلى : هو الشيخ عبد السلام بن مشيش شيخه وأستاذه .
أنظر شرح الحكم العطائية لابن عباد ،تحقيق شيخنا العارف بالله الدكتور
عبد الحليم محمود ، الدكتور محمود بن الشريف وكتاب معالم الطريق إلى
الله للسيد محمود أبو الفيض المنوفى

[وأنا الآن فيه[1]]، وأما شكواك من برد الرضا والتسليم ، فلم أفهمه؟ فقال « أخاف أن تشغلنى حلاوتهما عن الله »

فقلت : ياسيدى ؟ سمعتك البارحة تقول :

اللهم إن قوما سألوك أن تسخر لهم خلقك فأعطيتهم ذلك فرضوا منك بذلك ، اللهم وإنى أسألك اعوجاج الخلق[2] حتى لا يكون ملجئى إلا إليك » . فتبسم ثم قال :

« يابنى : عوض ما تقول : سخر لى خلقك ، قل :

« يارب كن لى »

[أترى إذا كانوا لك ، أيغنوك بشىء ؟ [3]] فما هذا الجبن » اه

فائـدة : اعلم أن هلاك ابن [4] نوح عليه السلام، إنما كان لأجل

---

(١) وفى فروينه : وأنا الآن أشتكى منه .

(٢) وفى نسخة : اعوجاج الخلق على

(٣) مابين القوسين نصه فى فروينه :(أترى إذا كان ذلك أيفوتك شىء ؟)

(٤) وهو الابن الرابع واسمه : « يام » وكان كافرا دعاه أبوه عند ركوب السفينة أن يؤمن ويركب معهم ولا يغرق مثل ما يغرق الكافرون قال : (ساوى إلى جبل يعصمنى من الماء). اعتقد بجهله أن الطوفان =

رجوعه إلى تدبير نفسه ، وعدم رضاه بتدبير الله ، الذى اختاره لنوح عليه السلام ، ومن كان معه فى السفينة ، فقال له نوح عليه السلام :

« يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين ,

قال : سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء .

قال : [1] لاعاصم اليوم من أمر الله ، إلا من رحم [2] »

= لايبلغ إلى رءوس الجبال ، وأنه لو تعلق فى رأس جبل لنجاه ذلك من الغرق ، فقال له أبوه نوح عليه السلام : لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ، أى ليس شىء يعصم اليوم من أمر الله : « وحال بينهما الموج فكان من المغرقين » . أنظر تفسير ابن كثير جـ٢ ص٤٤٦

يقول بعض المفسرين أن ابن نوح هذا اسمه كنعان

أما صاحب كتاب « قصص الأنبياء » فإنه يقول : ولما أراد نوح دخول السفينة ، نادى ابنه وكان فى معزل عنه وقال : (يابنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين) فأبى أن يلبى نداء والده المشفق لأنه لايثق بصدق والده من أن كل من كان خارجا عن السفينة هالك (قال سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء) فهلك ذلك الولد » اهـ قصص الأنبياء ص٢٥

(١) وفى قروينه : فقال له نوح ، والتزام نص القرآن أولى .

(٢) الآية : ٤٢، ٤٣ من سورة هود

فآوى فى المعنى إلى جبل عقله ، ثم كان الجبل الذى اعتصم[١] به صورة ذلك المعنى القائم به ، فكان كما قال الله :

« وحال بينهما الموج فكان من المغرقين [٢] »

فى الظاهر بالطوفان ، وفى الباطن بالحرمان ، فاعتبر أيها العبد بذلك فإذا تلاطمت عليك أمواج الأقدار ، فلا ترجع إلى جبل عقلك الباطل[٣] ، لئلا تكون من المغرقين فى بحر القطيعة[٤] ولكن ارجع إلى سفينة الاعتصام بالله ، والتوكل عليه[٥]

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم[٦] »

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه [٧] »

---

(١) وفى فروينه : استعصم به

(٢) الآيه ٤٣ من سورة هود .

(٣) وفى فروينه كلمة الباطل لم توجد .

(٤) سبق أن قلنا كل ماورد بلفظ القطيعة فهو فى فروينه : القطعة

(٥) وفى نسخة : والتوكل على الله.

(٦) الآية : ١٠١ من آل عمران .

(٧) من الآية ٣ من سورة الطلاق .

فإنك إذا[1] فعلت ذلك استوت بك سفينة النجاة على جودى الأمن، ثم تهبط بسلامة القربة وبركات الوصلة عليك، وعلى أمم ممن معك، وهى عوالم وجودك، فافهم ذلك ولا تكن من الغافلين، واعبد ربك ولا تكن من الجاهلين .

فقد علمت أن إسقاط التدبير والاختيار، أهم ما يلتزمه الموقنون، ويطلبه العابدون، وأشرف ما يتحلى به العارفون .

سألت بعض العارفين، ونحن تجاه الكعبة، فقلت له :

من أى الناحيتين يكون رجوعك ؟ فقال:

« لى مع الله عادة أن لا تجاوز إرادتى قدمى »

وقال بعض المشايخ :

« لو أدخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار، وبقيت أنا[2]، لم يقع عندى تمييز فى أى الدارين يكون قرارى » اهـ

فهذا حال عبد محيت اختياراته وإراداته، فلم يبق له مع الله مراد إلا ما أراد، كما قال بعض السلف[3] .

---

(١) وفى نسخة فإنك إن فعلت .

(٢) وفى فروينه : . وبقيت لم يقع .

(٣) وفى نسخة : كما قال بعضهم .

« أصبحت وهواى فى مواقع قدر الله »

قال أبو حفص[1] الحداد ، رحمه الله تعالى :

« لى منذ أربعين سنة ، ماأقامنى الله فى حال فكرهته ولانقلنى إلى غيره فسخطته » .

وقال بعضهم :

« لى منذ أربعين سنة أشتهى ، أن[2] لا أشتهى ،لأترك ما أشتهى فلا أجد ما أشتهى » .

---

(١) هو أبو حفص عمر بن مسلمة الحداد النيسابورى من قرية يقال لها : « كورد اباذى » على باب مدينة نيسابور ، على طريق « بخارى كان أحد الأئمة والسادة ، مات سنة نيف وستين ومائتين،ومن كلامه « المعاصى بريد الكفر ، كما أن الحمى بريد الموت » ومن كلامه : من لم يزن أفعاله وأحواله فى كل وقت بالكتاب والسنة ، ولم يتهم خواطره فلا تعده فى ديوان الرجال » أنظر الرسالة القشيرية.أما الامام الشعرانى فقد ذكر فى الطبقات الكثير من كلامه ، ومما ذكره عنه أنه كان رضى الله عنه يقول « من هوان الدنيا على أن لا أبخل بها على أحد » وكان يقول « ماا ستحق اسم السخاء من ذكر العطاء ، ولمحه بقلبه » اه وغير ذلك كثير فى الطبقات .

(٢) وفى فروينه : أشتهى أن أشتهى .

فهذه قلوب تولى الله رعايتها، وأوجب حمايتها ، ألم تسمع قوله تعالى:

« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان [١] ؟ » .

لأن تحققهم بمقام العبودية أبى لهم الاختيار مع الربوبية ، وأن يقارفوا ذنباً ، وأن [٢] يلابسوا عيباً .

وقال سبحانه وتعالى :

« إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون [٣] » .

فقلوب ليس للشيطان عليها سلطان ، من أين يطرقها وساوس التدبير؟ أو يرد عليها وجود التكدير .

وفى الآية بيان أن من صحح الإيمان بالله ، والتوكل على الله ، فلا سلطان للشيطان عليه ، لأن الشيطان إنما يأتيك من أحد وجهين :

إما بتشكيك فى الاعتقاد ، وإما بركون إلى الخلق والاعتماد [٤] .

فأما التشكيك فى الإعتقاد ، فالإيمان ينفيه .

---

(١) الآية : ٤٢ من الحجر .
(٢) وفى فروينة : أو يلابسوا عيبا .
(٣) الآية : ٩٩ من النحل .
(٤) وفى فروينة : واعتماد .

وأما السكون[1] إلى الخلق والاعتماد عليهم[2]، فالتوكل عليه[3] ينفيه.

«ولاية الله للمؤمنين وإخراجهم من ظلمات التدبير *»

تنبيه: اعلم أن المؤمن قد[4] ترد عليه خواطر التدبير، ولكن الله تعالى لا يدعه لذلك، ولا يتركه لما هنالك؛ ألم تسمع قوله تعالى:

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور[5] ».

فالحق سبحانه وتعالى، يخرج المؤمنين من ظلمات التدبير إلى إشراق[6] نور التفويض، ويقذف بحق تثبيته على باطل اضطرابهم، فيزلزل[7] أركانه، ويهدم بنيانه، كما قال الله تعالى:

---

(١) وفى فروينه. وأما الركون. ولعله الأصح.
(٢) كلمة عليهم غير موجودة فى فروينه.
(٣) وفى فروينه: فالتوكل على الله يفنيه. وفى نسخة (ا) ينفيه.
(*) العنوان من عمل المحقق.
(٤) قد: غير موجودة فى فروينه، وكذلك لم توجد فى نسخه (ا).
(٥) الآية: ٢٥٧ من سورة البقرة.
(٦) وفى فروينه: إلى شوارق.
(٧) وفى نسخة: فيزيل.

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه ، فإذا هو زاهق [١] » .

والمؤمن وإن [٢] وردت عليه خواطر الاضطراب والتدبير (فهى عابرة لا تثبت لها [٣]) ومضمحلة لا وجود لها ، لأن نور الإيمان قد استقر فى قلوب المؤمنين (وأخمدت أنواره نفوسهم ، وملأ إشراقهم قلوبهم ، وشرح ضياؤه صدورهم [٤]) ، فأبى الإيمان المستقر فى قلوبهم ، أن يسكن معه غيره ، وإنما هى سنة وردت على القلوب أمكن فيها ورود طيف التدبير ، ثم تتيقظ [٥] القلوب فيزول الطيف الذى لا يكون إلا مناما ، قال الله تعالى :

« إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون [٦] » .

---

(١) الآية :١٨ من سورة الأنبياء .

(٢) وفى نسخة (ا) والمؤمن إذا .

(٣) وفى فروينه : [فهى عارية لاثبت لها] .

(٤) ما بين القوسين نصه فى فروينه [وملأت أنواره قلوبهم ، وشرح ضياؤه صدورهم] .

(٥) وفى نسخة : تتيقض والأصح تتيقظ .

(٦) الآية : ٢٠١ من سورة الأعراف .

وفى هذه الآية فوائد :

الفائدة [1] الأولى : قوله سبحانه وتعالى : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذاهم مبصرون » ، دل ذلك على أن أصل أمرهم على وجود السلامة منه ، وإن عرض ذلك الطيف .

فى بعض الأحيان تعريفا بما أودع فيهم [2] من ودائع الإيمان .

الفائدة الثانية : قوله تعالى : « إذ مسهم طائف » ، ولم يقل : إذا أمسكهم ، أو أخذهم ؟ .

لأن المس ملامسة من غير تمكن ، فأفادت هذه العبارة :

أن طيف الهوى لايتمكن من قلوبهم ، بل يماسها مماسة ، ولايتمكن منها إمساكا ولا أخذا كما يصنع بالكافرين ؛ لأن الشيطان يستحوذ على الكافرين ، ويختلس إختلاساً من قلوب المؤمنين ، حتى تنام العقول الحارسة للقلوب .

فإذا استيقظوا انبعثت من قلوبهم جيوش الاستغفار والذلة والافتقار

---

(١) كلمة الفائدة : غير موجوده فى فروينه : وكذلك فى كل ما سيأتى عند شرح هذه الفوائد ، اكتفاء بقوله : وفى هذه الآية فوائد ..»

(٢) وفى فروينه : بما أودع فيك .

إلى الله تعالى، فاسترجعوا من الشيطان ما اختلسه، وأخذوا منه ما افترسه»

الفائدة الثالثة : قوله تعالى : « إذا مسهم طيف من الشيطان » :

فالإشارة ها هنا بالطيف إلى أن الشيطان لايمكنه أن يأتى إلى القلوب الدائمة اليقظة ، لأنه إنما يورد طيف الغفلة والهوى على القلوب فى حين منامها بوجود غفلتها ، ومن لا نوم له فلا طيف يرد عليه .

الفائدة الرابعة : قوله تعالى : « إذا مسهم طيف » ولم يقل إذا مسهم وارد من الشيطان ، أو نحوه ، لأن الطيف لاثبت له ، ولاوجود له ، إنما هو [1] صورة مثالية ؛ ليس لها حقيقة وجودية ، فأخبر سبحانه وتعالى بذلك ، أن ذلك غير ضار بالمتقين ، لأن ما يورده الشيطان على قلوبهم بمثابة الطيف الذى تراه فى منامك ، فإذا استيقظت فلا وجود له .

الفائدة الخامسة: قوله تعالى: «إذا مسهم طيف من الشيطان تذكروا». ولم يقل : ذكروا، إشارة إلى أن الغفلة لايطردها الذكر مع غفلة القلب، إنما يطردها التذكر والاعتبار ، وإن لم تكن [2] الأذكار ، لأن الذكر ميدانه اللسان ، والتذكر ميدانه القلب .

---

(١) وفى فروينه : إنما هى صورة مثاليه ... الخ .

(٢) وفى فروينه فإن لم يكن

وطيف الهوى لما ورد ، إنما ورد على القلوب لا على الألسنة ، فالذى ينفيه ، إنما هو التذكر الذى يحل محله ، ويمحق فعله .

الفائدة السادسة ، قوله تعالى : « تذكروا » حذف متعلقه ، ولم يقل تذكروا الجنة ، أو النار أو العقوبة ، أو غير ذلك .

وإنما حذف متعلق تذكروا ، لفائدة جليلة ، وذلك : أن التذكر الماحى لطيف الهوى من قلوب المتقين ، على حسب مراتب اليقين (١) ، ومرتبة التقوى ، (يدخل فيها الأنبياء والرسل والأولياء والصديقون والصالحون والمسلمون) (٢)

فتقوى كل أحد (على حسب حاله ومقامه ، وكذلك أيضا تذكر كل أحد) (٣) على حسب مقامه ؛ فلو ذكر قسما من أقسام التذكر ، لم يدخل فيه إلا أهل ذلك القسم .

فلو قال تعالى :

---

(٢) وفى فروينه : مراتب المتقين .

(٣) ما بين القوسين نصه فى فروينه : [يدخل فيها الأنبياء والرسل والصديقون ، والأولياء ، والصالحون] .

(٤) وفى فروينه : [على حسب مقامه كذلك أيضاً تذكر كل واحد]

« إن الذين اتقوا إذا مسهم طيف من الشيطان » تذكروا العقوبة فإذا هم مبصرون ، خرج عنه [١] الذين تذكروا المثوبة .

ولو قال: تذكروا سابق الإحسان لخرج منه الذين تذكروا لواحق [٢] الامتنان إلى غير ذلك .

فأراد الحق سبحانه وتعالى ، أن لا يذكر متعلق التذكر [٣] ليشمل المراتب كلها فافهم .

الفائدة السابعة : انه قال سبحانه : « فإذا هم مبصرون » ولم يقل : تذكروا وافأ بصروا ، أوتذكروا ثم أبصروا، أو تذكروا وأبصروا

فأما ترك [٤] التعبير بالواو :فلأنه كان لايفيد أن البصرى كانت عن التذكر ، والمراد أنها كانت مسببة عنه ، ترغيبا للعباد فيها .

وأما عدوله عن ثم ، لأن فيها ما فى الواو ، من عدم الدلالة على السببية [٥] ، وفيها أنها كانت تقتضى عكس المعنى [٦] لما فيها من المهلة .

---

(١) وفى فروينه :خرج منه.

(٢) وفى فروينة : سوابق الامتنان

(٣) وفى نسخة : متعلق الذكر

(٤) وفى فروينه : وأما تركه التعبير بالواو .

(٥) وفى نسخه : على التشبيه

(٦) وفى نسخة (١) عكس المعنى .

ومراد الحق سبحانه : أن هؤلاء العباد ، لا تتأخر أبصارهم عن تذكرهم ، ولم يعبر بالفاء لاقتضائها التعقيب، بل عبر الحق سبحانه بقوله : « تذكروا فإذاهم مبصرون » كأنهم لم يزالوا على ذلك البصرى ، ثناء منه سبحانه عليهم ، وإظهارا لوفور[1] المنة لديهم ، كما تقول :

تذكر زيد المسألة ، فإذا هى صحيحة ، أى أنها لم تزل صحيحة ، وانها ن صحيحة[2] ، كما وقع العلم بها .

كذلك المتقون : مازالوا مبصرين ، ولكن حين[3] ورد طيف الهوى عليهم ، غطى على بصيرتهم[4] الثبات نورها فيهم ، فلما استيقظوا ذهبت سحابة[5] الغفلة ، فأشرقت شمس البصيرة .

الفائدة الثامنة : فى هذه الآية ونظائرها توسعة على المتقين ؛ ولطف بالمؤمنين ، لأنه لو قال :

---

(١) وفى فروينه : لوافر المنة .
(٢) وفى فروينه : وإنما الآن كما وقع العلم بها .
(٣) وفى نسخة : ولكن كانوا فى حين .
(٤) وفى نسخة أخرى . أذهب سحابة الغفلة .

إن الذين اتقوا لايمسهم طيف من الشيطان ، لخرج من ذلك كل أحد إلا أهـل العصمة ، فأراد سبحانه وتعالى ، أن يوسع دوائر رحمته فقال : « إن الذين اتقوا إذا مسهم طيف » ليعلمك أن ورود الطيف عليهم ، لايخرجهم عن ثبوت (٢) حـكم التقوى لهم ، وجريان اسمه عليهم،إذا كانوا(٣) كما وصفهم مسرعين بالتذكر راجعين إلى الله بالتبصر

ومثل هذه الآية : فى بسط رجاء العباد والتوسعة عليهم ، قوله تعالى :

« إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين » . ولم يقل : يحب الذين لايذنبون (٥) لأنه لو قال ذلك لم يدخل فيه إلا قليل ، فعلم الحق سبحانه ، ماالعباد مركبون عليه من وجود الغفلة ،وماتقتضيه النشأة

---

(١) وفى فروينه . فأراد الحق سبحانه .

(٢) وفى فروينه : غطى عليهم بصراهم

(٣) وفى نسخة (ا) إذ كانوا .

(٤) الآية : ٢٢٢ من سورة البقرة .

(٥) وفى فروينه : الذين لم يذنبوا .

الأولى الإنسانية [١] لكونها [٢] ركبت من أمشاج من نوع [٣] المخالفة ، وقد قال سبحانه وتعالى :

« يريد الله أن يخفف عنكم، وخلق الإنسان ضعيفا » [٤]

قال بعض أهل العلم :

يعنى [٥] لا يتمالك عند قيام الشهوة [٦] به ، قال تعالى :

« هو أعلم بكم إذ أنشأكم من الأرض ، وإذ أنتم أجنة » [٧]

فلأجل ما علم من أن الخطأ غالب على الإنسان ، فتح له باب التوبة ودله عليها ، ودعاه إليها ووعده القبول إذا تاب ، والإقبال عليه ، إذا

---

(١) كلمة الإنسانية : لم توجد فى فروينه

(٢) لكونها غير موجودة فى فروينه ، والأصح ذكرها ليستقيم المعنى .

(٣) وفى نسخة وقوع .

(٤) الآية ٢٨ من سورة النساء .

(٥) يعنى : غير موجودة فى فروينه .

(٦) كلمة وقد غير موجودة فى فروينه .

(٧) الآيه ٣٢ من سورة النجم .

رجع إليه وآب [1] .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« كل ابن آدم خطاء ، وخير الخطائين التوابون [2] »

---

(١) وفى فروينه : وأناب .

(٢) الحديث رواه جماعة منهم الإمام أحمد فى مسنده ، والترمذى فى صحيحه ، والحاكم فى المستدرك عن أنس رضى الله عنه .
ويشرح هذا الحديث الشريف ماروا أبو هريرة رضى الله عنه ، عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : إن رجلا أذنب ذنبا فقال. رب إنى أذنبت ذنبا فاغفره لى ، فقال الله عز وجل . عبدى عمل ذنبا فعلم أن له ربا يغفر الذنب ، ويأخذ به ، قد غفرت لعبدى . ثم عمل ذنبا آخر فقال : رب إنى عملت ذنبا فاغفره فقال تبارك وتعالى . علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدى . ثم عمل ذنبا آخر فقال . رب إنى عملت ذنبا فاغفره لى ، فقال عز وجل علم عبدى أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، قد غفرت لعبدى . ثم عمل ذنبا آخر فقال . رب إنى عملت ذنبا فاغفره ، فقال الله عز وجل : عبدى علم أن له ربا يغفر الذنب ويأخذ به ، أشهدكم أنى قد غفرت لعبدى ، فليعمل ماشاء » . أخرجاه فى الصحيحين من حديث اسحاق بن عبد الله بن أبى طلحة عن عبد الرحمن ابن أبى عمر عن أبى هريرة رضى الله عنهم .

فأعلمك صلى الله عليه وسلم ، أن الخطأ لازم وجودك ، بل[1] عين وجودك .

وقال تعالى :

« والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ، ذكروا الله ، فاستغفروا لذنوبهم ، ومن يغفر الذنوب إلا الله ، ولم يصروا على مافعلوا وهم يعلمون[2] » . ولم يقل :

« والذين لايعملون[3] الفاحشة »

وقال سبحانه وتعالى :

« وإذا ما غضبوا هم يغفرون[4] » ولم يقل :

(والذين لايغضبون .

وقال سبحانه وتعالى :

---

(١) وفى فروينة : بل كأنه عين وجودك .
(٢) الآية : ١٣٥ من سورة آل عمران .
(٣) وفى فروينة : لايفعلون .
(٤) الآية : ٣٧ من سورة الشورى .

« والكاظمين الغيظ [١] » ، ولم يقل :) [٢] والذين لاغيظ لهم
فافهم ذلك [٣] رحمك الله ، فهذه أسرار بينة ، وأمور متعينة .

الفائدة التاسعة : تبيين [٤] مراتب المتذكرين من المتقين .

اعلم أن أهل التقوى ، إذا مسهم طيف من الشيطان ، لاتدعهم
تقواهم للإصرار على معصية مولاهم ، بل يرجعهم إليه تذكرهم ، وتذكرهم [٥]
على أقسام :

متذكر يتذكر الثواب .

ومتذكر يتذكر العقاب .

ومتذكر يتذكر الوقوف للحساب

ومتذكر يتذكر ما في ترك المعصية من جزيل الثواب .

ومتذكر يتذكر سابق الإحسان فيستحي من وجود العصيان .

---

(١) من الآية : ١٣٤ من آل عمران.
(٢) ما بين القوسين لم يوجد في فروينه، والأصح ذكره ليستقيم المعنى.
(٣) ذلك غير موجودة في فروينة .
(٤) وفي نسخة : بيان .
(٥) وفي فروينة : ويذكرهم .

ومتذكر يتذكر لواحق الامتنان فيستحى أن يقابل ذلك بالكفران

ومتذكر يتذكر قرب الله تعالى منه .

ومتذكر يتذكر إحاطة الحق [١] سبحانه .

ومتذكر يتذكر نظر الحق إليه [٢] .

ومتذكر يتذكر معاهدة الله له .

ومتذكر يتذكر فناء لذته وبقاء مطالبته .

ومتذكر يتذكر وبال المخالفة وذلها ، فيكون لها تاركا .

ومتذكر يتذكر فوائد الموافقة وعزها فيكون لها سالكا .

ومتذكر يتذكر قيومية الحق به .

ومتذكر يتذكر عظمة الحق وسلطانه .

إلى غير ذلك من تعلقات التذكر ، وهى : لا حصر لها ؛ وإنما ذكرنا ماذكرنا منها تأنيسا لك بأحوال المتقين ، وتنبيها على بعض مقامات المتبصرين ، فافهم .

---

(١) وفى فروينه : إحاطه الحق به سبحانه .

(٢) وفى فروينة : يتذكر نظر الحق له .

الفائدة العاشرة : يمكن أن يكون قوله سبحانه وتعالى: « إن الذين اتقوا إذا مسهم طيف » أن يكون المراد الطيف هاهنا طائف الهاجس أو الخاطر الوارد من وجود النفس بإلقاء الشيطان .

وسمى طيفا لأنه يطيف بالقلب ؛ وتفسره [١] القراءة الأخرى : « إذا مسهم طائف من الشيطان » .

فتكون إحدى القراءتين مفسرة الأخرى ؛ والهاجس يطيف ، بالقلب ، فإن وجد له مسلكا بثلمه ؛ يجدها فى سور مقام اليقين ، دخل وإلا ذهب .

رعاية الله تعالى لمن وجهوا هممهم إليه سبحانه

ومثل مقامات اليقين ، ونور اليقين ، الجامع لها كالأسوار المحيطة بالبلدة وقلاعها.

فالأسوار هى الأنوار ، وقلاعها هى مقامات اليقين التى هى دائرة بمدينة القلب ؛

فمن أحاط بقلبه سور يقينه ، وصحح مقاماته التى هى أسوار

---

(١) وفى قروينة : وتفسير القراءة الأخرى .

* العنوان من عمل المحقق .

الأنوار ، كالقلاع ؛ فليس للشيطان إليه سبيل ، ولا له فى داره مقيل .

ألم تسمع قوله تعالى :

« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان ؟ »

أى لأنهم قد صححوا العبودية لى ، فلاهم لحكمى منازعون[1] ، ولا فى تدبيرى متعرضون ، بل على متوكلون ، وإلى مستسلمون ، فلذلك قام لهم الحق سبحانه بالرعاية والنصر ، والحماية ، ووجهوا هممهم إليه ، فكفاهم من دونه .

قيل لبعض العارفين :

كيف مجاهدتك للشيطان ؟ قال :

وما للشيطان ؟

نحن قوم صرفنا هممنا إلى الله تعالى ، فكفانا من دونه .

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول .

« لما قال الحق تعالى :« إن الشيطان لكم عدوفا تخذوه عدوا[2] »

فقوم فهموا من هذا الخطاب :

---

(١) وفى فروينة فلاهم لحكمى ينازعون .
(٢) الآية : ٦ من سورة فاطر .

أن الله طالبهم بعداوة الشيطان ، فصر فواهممهم إلى عداوته ، فشغلهم ذلك عن محبة الحبيب .

وقوم فهموا من ذلك[١] : « إن الشيطان لكم عدو »

أى[٢] أنا لكم حبيب ، فاشتغلوا بمحبة الله فكفاهم من دونه » .

ثم ذكر الحكاية المتقدمة :

فإن[٣] استعاذوا من الشيطان، فلأجل أن الله تعالى أمرهم بذلك، لا لأنهم يشهدون أن لغير الله من الحكم شيئاً معه ، وكيف يشهدون لغيره حكما معه ، وهم يسمعونه ، يقول :

« إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه[٤] »

وقال[٥] سبحانه وتعالى :

« إن كيد الشيطان كان ضعيفا[٦] »

---

(١) وفى فروينه : فهموا من ذلك الخطاب . . . الخ

(٢) وفى نسخه :أى وأنا لكم حبيب .

(٣) وفى نسخة : وإن استعاذوا .

(٤) من الآية : ٤٠ من سورة يوسف .

(٥) وفى فروينه : وقد قال

(٦) الآيه :٧٦ من سورة النسا.

وقال عز وجل :

« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان[١] »

وقال سبحانه وتعالى :

« إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون[٢] »

وقال تعالى :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه[٣] »

وقال الله تعالى :

« الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور[٤] »

وقال :

« وكان حقا علينا نصر المؤمنين[٥] »

فهذه الآيات ونظائرها قوت قلوب المؤمنين ونصرتهم النصر المبين.

---

(١) الآية : ٤٢ من سورة الحجر

(٢) الآية : ٩٩ من سورة النحل.

(٣) من الآية ٣ من سورة الطلاق.

(٤) الآية : ٢٥٧ من سورة البقرة.

(٥) الآية : ٤٧ من سورة الروم

فإن استعاذوا من الشيطان فبأمره، وإن استولوا بنور الإيمان عليه فبوجود نصره، وإن سلموا من كيده لهم فبتأييده وبره.

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى:

« اجتمعت برجل في سياحتي فأوصاني، فقال لي [١].

ليس شيء في الأقوال أعون على الأفعال من لاحول ولاقوة إلا بالله، وليس في الأفعال أعون من الفرار إلى الله والاعتصام بالله [٢].

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم [٣] ». ثم قال.

بسم الله، فررت إلى الله، واعتصمت بالله، ولاحول ولاقوة إلا بالله، ومن يغفر الذنوب إلا الله [٤].

---

(١) وفي قروينه. كلمة لي غير موجودة

(٢) وفي نسخة: والاعتصام بالله. واعتصموا بالله.

(٣) الآية: ١٠١ من آل عمران.

(٤) يشهد لفضل هذا ماروا أبو داود عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من قال بسم الله، توكلت على الله ولاحول ولاقوة إلا بالله يقال له: كفيت، ووقيت، وهديت، وتنحى عنه الشيطان. فيقول لشيطان آخر. كيف لك برجل قد هدى وكفى، ووقى؟ » ه

بسم الله : قول باللسان ، صدر عن القلب .

ففروا إلى الله ، وصف الروح والسر .

واعتصمت بالله ، وصف العقل والنفس .

ولا حول ولا قوة إلا بالله ، وصف الملك والأمر .

ومن يغفر الذنوب إلا الله ؟ .

رب أعوذ بك من عمل الشيطان ، إنه عدو مضل مبين .

ثم يقول للشيطان :

هذا علم الله فيك ، وبالله آمنت ، وعليه توكلت ، وأعوذ بالله منك ، ولولا ما أمرنى ما استعذت منك [1] ، ومن أنت حتى أستعيذ بالله منك ؟ » اهـ .

فقد فهمت رحمك [2] الله ، أن الشيطان أحقر فى قلوبهم أن يضيفوا [3] إليه قدرة ، أو ينسبوا له إرادة .

وسر الحكمة فى إيجاد الشيطان : أن يكون مظهراً [4] ينسب إليه

(١) منك : غير موجودة فى فروينه .

(٢) وفى فروينه : يرحمك الله .

(٣) وفى نسخة : أن يصفوا .

(٤) وفى فروينه : مطهرا . ولعل الصواب مظهرا .

.سباب العصيان [١] ، وجود الـكفران والغفلة والنسيان ألم تسمع قوله:

« وما أنسانيه إلا الشيطان؟[٢] » .

« هذا من عمل الشيطان [٣] » .

فـكان سر [٤] إيجاده ليمسح [٥] فيه أوساخ النسب ، ولذلك قال بعض العارفين :

« الشيطان منديل هذه الدار ، [يمسح به وسخ المعاصى ، وكل قبيح وخبيث ، إن الله تعالى ، لو شاء أن لا يعصى، لما خلق إبليس [٦]]

وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله تعالى :

« الشيطان كالذكر ، والنّفس كالأنثى ، وحدوث الذنب بينهما كحدوث الولد بين الأب والأم ؛ لا أنهما أوجداه ، ولـكن عنهما كان ظهوره » اهـ .

---

(١) وفى نسخة (أ) المعاصى .
(٢) الآية : ٦٣ من سورة الـكهف .
(٣) الآية : ١٥ من سورة القصص .
(٤) وفى نسخة (أ) فـكان إيجاده .
(٥) فى فروينه : لتمسح فيه أوساخ النسب .
(٦) ما بين القوسين لم يرد فى فروينه .

ومعنى كلام [1] الشيخ هذا :

أنه كما لا يشك عاقل أن الولد ليس من خلق الأب والأم ، ولا من إيجادهما ونسب إليهما لظهوره عنهما ، كذلك لايشك مؤمن ، أن المعصية ليست من خلق الشيطان والنفس ، بل كانت عنهما لامنهما ، فلظهورها عنهما نسبت اليهما .

فنسبة المعصية إلى الشيطان والنفس ، نسبة إضافية وإسناد ، ونسبتها إلى الله نسبة خلق وإيجاد ، كما أنه خالق الطاعة بفضله ، كذلك هو خالق المعصية بعدله .

« قل كل من عند الله ، فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا [2] »

وقال سبحانه وتعالى :

« الله خالق كل شيء » [3] .

وقال سبحانه وتعالى :

« هل من خالق غير الله ؟ » [4]

وقال سبحانه وتعالى : .

---

(١) وفي نسخه (أ) ومعنى الشيخ وهذا خطأ والصواب ومعنى كلام الشيخ .

(٢) الآية : ٧٨ من سورة النساء .

(٣) الآية : ٦٢ من سورة الزمر .

« أفمن يخلق ، كمن لا يخلق ، أفلا تذكرون »[1]

والآية القاصمة للمبتدعة المدعين ، أن الله يخلق الطاعة ، ولا يخلق المعصية ، قوله تعالى :

« والله خلقكم وما تعملون »[2].

فإن قالوا :[3] قد قال الله تعالى :

« إن الله لا يأمر بالفحشاء؟ »[4]

الجواب][5] فالأمر غير القضاء.

فإن قالوا : قد قال الله تعالى .

« ما أصابك من حسنة فمن الله ، وما أصابك من سيئة فمن نفسك ؟ »[6]

---

(١) الآية : ١٧ من سورة النحل.

(٢) الآية: ٩٦ من سورة الصافات .

(٣) وفى فروينه : فقد قال.

(٤) الآية : ٢٨ من سورة الأعراف .

(٥) أضفنا كلمة الجواب تيسيراً لفهم الإجابة .

(٦) الآية : ٧٩ من سورة النساء .

[الجواب] فهو على هذا التفصيل تعليم للعباد التأدب معه ، فأمرنا أن نضيف[1] المحاسن إليه ، لأنها اللائقة بوجوده ، والمساوىء إلينا ، لأنها اللائقة بوجودنا ، قياما بحسن[2] الأدب . كما قال الخضر[3] عليه السلام :

---

(١) وجد بهامش فروينة (رد المعتزلة) فأمرنا أن نضيف .

(٢) وفى فرويه : بحكم الأدب ، ولعل الأصح بحسن الأدب .

(٣) وهو صاحب القصة المشهورة مع نبي الله موسى عليهما السلام، وهو العبد الصالح الذى آتاه الله رحمة من عنده وعلمه من لدنه علماً ، وقال عنه سبحانه : « فوجدا عبداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا . . . إلى قوله تعالى : ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا » ويذكر ابن كعب أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : إن موسى قام خطيباً فى بنى إسرائيل فسئل أى الناس أعلم ؟ فقال : أنا . فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه ، فأوحى الله إليه : إن لى عبداً بمجمع البحرين هو أعلم منك ، والقصة مشهورة فى كتب التفسير أنظر تفسير سورة الكهف .

واختلف العلماء فى اسم الخضر وهل هو نبى أو رسول أو ولى؟ وهل هو حى أو ميت ؟ واتفق الجمهور أن اسمه : « بليا بن ملكان » وأن « الخضر » لقب له . وأنه نبى . أما غير الجمهور فيرى البعض منهم أنه رسول ، ويرى الآخرون أنه ولى . وعليه الكثير . وإنما سمى الخضر =

« فأردت أن أعيبها[1] » .

وقال :

فأراد ربك أن يبلغا أشدهما[2] » .

وقال إبراهيم عليه السلام :

« وإذا مرضت فهو يشفين[3]

ولم يقل الخضر : فأراد ربك أن يعيبها ، كما قال :

« فأراد ربك أن يبلغا أشدهما » .

فأضاف العيب إلى نفسه ، والمحاسن إلى سيده .

وكذلك ابراهيم عليه السلام لم يقل :

فإذا[4] مرضني فهو يشفيني ، بل قال :

« وإذا مرضت فهو يشفين »

= عليه السلام خضراً ، لأنه جلس على فروة بيضاء ، فإذا هي تهتز تحته خضراء ، رواه البخاري ومسلم وغيرهما .

(١) الآية : ٧٩ من سورة الكهف .

(٢) الآية : ٨٢ من سورة الكهف .

(٣) الآية : ٨٠ من سورة الشعراء .

(٤) وفي فروينه : وإذا

فأضاف المرض إلى نفسه ، والشفاء[١] إلى ربه ، مع أن الله تعالى ، هو فاعل ذلك حقيقة وخالقه .

فقوله تعالى :

« ماأصابك من حسنة فمن الله » أى خلقا وإيجاداً .

« وما أصابك من سيئة فمن نفسك » أى إضافة وإسنادا .

كما قال عليه السلام :

« الخير بيديك ، والشر ليس إليك[٢] »

فقد[٣] علم عليه السلام ، أن الله خالق للخير والشر ، والنفع والضر ، ولكن التزم أدب التعبير فقال :

« الخير بيديك والشر ليس إليك » ، على مابيناه فافهم .

فإن قالوا : إن الحق سبحانه ، منزه عن أن يخلق المعصية ، لأنها قبيحة ، والحق سبحانه منزه أن[٤] يخلق القبائح ؟

---

(١) هذا الحديث رواه الترمذى فى صحيحه ولفظه : الخير بين يديك والشر ليس إليك .

(٢) وفى فروينه : والشفا .

(٣) كلمة فقد : غير موجودة فى فروينه ،وكذلك فى نسخة (ا)

(٤) وفى فروينه : الحق سبحانه مقدس عن خلق القبائح .

(الجواب [١]) قلنا المعصية [٢] فعل قبيح من العبد ، لأنها مخالفة للأمر ، (إذ القبح لايرجع إلى ذات المنهى [٣]) عنه ولكن لأجل تعلق النهى به ، كما أن الحسن لايتعلق بذات المأمور به ، ولكن بمعنى تعلق الأمر به فافهم .

ثم إن الحق تعالى، يجب تنزيهه عن هذا التنزيه ، وذلك أنهم اذاقالوا: تعالى الله أن يخلق المعصية ؟

(الجواب) قلنا : تعالى الله أن يكون فى ملكه مالايريد فافهم ، هدانا الله وإياك إلى الصراط المستقيم ، وأقامنا على الدين القويم بفضله [٤]

« تقرير [٥] وبيان لذكر قواعد التدبير ومنازعة المقادير »

قال الله تعالى :

«ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ،ولقد اصطفيناه فى الدنيا ، وإنه فى الآخرة لمن الصالحين . إذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت

---

(١) أضفناها ليستقيم المعنى .
(٢) وفى نسخة (١) فإن فعل المعصية قبيح.
(٣) وفى نسخة (١) إذ القبح لايرجع لذات المنهى
(٤) بفضله : غير موجودة فى فروينه
(٥) وفى فروينه : تقدير

لرب العالمين [١] »

وقال :

« إن الدين عند الله الإسلام [٢] »

وقال تعالى :

« ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل [٣] »

وقال تعالى :

« فله أسلموا [٤] »

وقال تعالى :

« فإن حاجوك فقل : أسلمت وجهى لله ومن اتبعنى [٥] »

وقال تعالى :

« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة

---

(١) الآية : ١٣٠، ١٣١ من سورة البقرة
(٢) الآية : ١٩ من سورة آل عمران
(٣) الآية ٧٨
(٤) الآية : ٣٤ من سورة االحج .
(٥) الآية : ٢٠ من سورة آل عمران .

من الخاسرين [١] »

وقال :

ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن، فقد استمسك بالعروة الوثقى [٢]

وقال[٣] :

« توفني مسلما وألحقني بالصالحين» [٤]

وقال :

« وأنا أول المسلمين [٥] »

إلى غير ذلك : فاعلم أن هذا التكرار لذكر الإسلام ، تنويه لقدره، وتفخيم لأمره .

والإسلام له ظاهر وباطن :

فظاهره : الموافقة لله تعالى ؛ وباطنه : عدم المنازعة له .

---

(١) الآية : ٨٥ من آل عمران

(٢) الآية : ٢٢ من لقمان .

(٣) وفي قرونيه وقال الله سبحانه وتعالى

(٤) الآيه :١٠١ من سورة يوسف

(٥) الآيه: ١٦٣ من سوره الانعام.

فالإسلام حظ الهياكل وعدم المنازعة ، والاستسلام [١] حظ القلوب

فالإسلام كالصورة ، والإستسلام هو روح تلك الصورة .

فالإسلام ظاهر ، والاستسلام باطن ذلك الظاهر .

فالمسلم من أسلم نفسه إلى الله ، فكان ظاهراً بامتثال أمره ، وباطناً بالاستسلام إلى قهره .

وتحقيق مقام الاستسلام بعد [٢] المنازعة لله فى أحكامه ، والتفويض له فى نقضه وإبرامه .

فمن ادعى الإسلام طولب بالإستسلام .

« قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين [٣] » .

ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام ، لما قال ربه أسلم ، قال :

« أسلمت لرب العالمين »

فلما زج به فى المنجنيق [٤] استغاثت الملائكة قائلة :

يا ربنا ! هذا خليلك قد نزل به ما أنت أعلم » فقال الحق سبحانه وتعالى :

---

(١) وفى فروينه : الإسلام ، وكذلك فى (ا) ولعل الأصح الإستسلام

(٢) وفى فروينه : بعدم ، وهو الصحيح

(٣) الآية ٦٤ من سورة الروم .

(٤) وفى فروينه : واستغاثت الملائكة .

« اذهب إليه ياجبريل ، فإن استغاث بك فأغثه ، والا فاتركني وخليلي »

فلما جاءه جبرائيل عليه السلام فى أفق الهواء قال :

ألك حاجة [١] ؟ قال :

أما إليك فلا ، وأما إلى الله ، فبلى .

قال : فاسأله .

قال : حسبي من سؤالى علمه بحالى » .

فلم يستنصر بغير الله ، ولاجنحت همته بغير [٢] الله ، بل استسلم لحكم الله مكتفيا بتدبير الله له ، عن تدبيره لنفسه ، وبرعاية الحق له ، عن رعايته لها ، وبعلم الحق سبحانه ، عن سؤاله ، علما منه ، أن الحق به لطيف فى جميع أحواله ، فأثنى الله تعالى عليه بقوله :

« وإبراهيم الذى وفّى [١] »

ونجاه من النار فقال تعالى :

---

(١) هذا الحديث رواه أبو نعيم فى الحليه عن مقاتل وسعيد من قولهما

(٢) وفى قروينة : لما سوى الله .

لآية : ٣٧ من سورة النجم .

« قلنا ياناركونى بردا وسلاما على إبراهيم [1] »

قال أهل العلم :

« لو لم يقل الحق سبحانه : « وسلاما [2] » لأهلكه بردها ، فخمدت تلك النار »

وقال أهل العلم بإخبار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام :

« لم يبق ذلك الوقت نار بمشارق الأرض ولا بمغاربها [3] إلا خمدت ظانة [4] أنها المعنية بالخطاب »

فقيل : إنه لم تحرق النار منه إلا قيده .

« إظهار الفاقة إلى الله ، ورفع الهمة عما سواه * »

فائدة جليلة :

أنظر إلى قول إبراهيم عليه السلام ، لما قال له جبرائيل عليه السلام ألك حاجة ؟ قال :

---

(١) الآية : ٦٩ من سورة الأنبياء .

(٢) وفى نسخة (أ) سلاما على ابراهيم .

(٣) وفى نسخة : بمشارق الأرض ومغاربها .

(٤) وفى فروينة : ضانه.

* العنوان من عمل المحقق

أما إليك فلا ، ولم يقل ليس لى حاجة ، لأن مقام الرسالة والخلة ، يقتضى القيام بصريح العبودية ، ومن لازم مقام العبودية : إظهار الحاجة إلى الله تعالى ، والقيام بين يديه بوصف الفاقة (إليه ، ورفع الهمة عما سواه [١]) ، فناسب ذلك أن يقول : أما إليك فلا .

أى أنا محتاج إلى الله ، وأما إليك ، فلا .

فجمع فى كلامه هذا إظهار الفاقة إلى الله ، ورفع الهمة عما سواه [٢] لا كما قال بعضهم :

« لا يكون الصوفى صوفيا ، حتى لا يكون له إلى الله حاجة »

وهذا كلام لا يليق بأهل الاقتداء المكملين ، مع أنه مؤول لقائله بأن مراده :

أن الصوفى قد تحقق بأن الله قد قضى [٣] حوائجه من قبل أن يخلقه (فليس له إلى الله [٤] حاجة) إلا وهى مقضية فى الأزل ، ولا يلزم من نفى الحاجة نفى الإحتياج .

---

(١) ما بين القوسين لم يرد فى فروينه .

(٢) وفى نسخة ، ورفع الهمة عما سوى الله .

(٣) وفى نسخة (ا) بأن الله قضى .

(٤) ما بين القوسين ورد فى (ا) فليس له إلا الله حاجة .

والتأويل الثانى ، إنما قال .

لايكون له إلى الله حاجة ، أى إنه [١] إنما يطلبه وليس همته [٢] الطلب منه .

وشتان بين طالب الله [٣] ، وطالب من الله .

وقد يكون مراده بقوله . « حتى [٤] لايكون له إلى الله حاجة » أنه مفوض إلى الله ، مستسلم له ، فليس له مع الله مراد إلا ماأراد .

سر قول إبراهيم عليه السلام :
حسبى من سؤالى علمه بحالى * »

قائدة جليلة أيضا :

وذلك أن جبرائيل عليه السلام ، لما قال لابراهيم ، ألك حاجة؟

---

(١) وفى فروينه : لم توجد كلمة إنه .
(٢) وفى فروينه . وليس همه .
(٣) وفى نسخه . طالب الله .
(٤) كلمة « حتى » غير موجودة فى فروينه .
* العنوان من عمل المحقق .

فقال : أما إليك فلا ، وأما إلى الله فبلى . قيل [١] .

علم جبريل عليه السلام ، أنه لا يستغيث به ، وأن قلبه لا يشهد إلا الله عز وجل وحده ، فقال له حينئذ : سله ؟

أى إن لم تستغث بى التزاما منك عدم التمسك بالوسائط ، فسل ربك ، فإنه أقرب إليك منى .

فقال إبراهيم عليه السلام مجيباله :

« حسبى من سؤالى علمه بحالى »

أى إنى نظرت فرأيته أقرب إلى من سؤالى ، ورأيت سؤالى من الوسائط ، وأنا لا أريد أن أتمسك [٢] بشىء دونه ، ولأنى علمت أن الحق [٣] سبحانه وتعالى عالم ، فلا يحتاج أن يذكر بسؤال ، ولا يجوز عليه الإهمال ، فاكتفيت بعلم الله عن السؤال ، وعلمت أنه لا يد عنى من لطفه فى كل حال [٤] ، وهذا هو الاكتفاء (بالله تعالى [٥]) ،

---

(١) قيل : غير موجودة فى قروينه .

(٢) وفى قروينه : أستمسك .

(٣) وفى نسخة (ا) أن الله سبحانه .

(٤) وفى قروينه : من لطفه فى حال .

(٥) وفى قروينة . لم يوجد ما بين القوسين .

والقيام بحقوق حسبى الله .

وكان شيخنا أبو العباس رضى الله عنه ، يقول فى قوله تعالى :

« وإبراهيم الذى وفى » قال:(١)

«وفى بمقتضى قوله حسبى الله »

وقال بعضهم :

« سلم طعامه للضيفان ، وولده للقربان ، وجسده (٢) للنيران ، فأثنى الحق (٣) عليه بقوله :

« وإبراهيم الذى وفى »

«إظهار رتبة الخليل عند الملائكة » *

فائدة جليلة :

« اعلم أن الملائكة لما قال لهم الحق سبحانه وتعالى :

« إنى جاعل فى الأرض خليفة » يعنى آدم وذريته قالوا .

---

(١) قال : لم توجد فى فروينه ، والأصح إضافتها ليستقيم المعنى .

(٢) وفى فروينه وبدنه .

(٣) وفى نسخة : أفأثنى عليه الحق .

* والعنوان من عمل المحقق

«أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك؟ قال :

إنى أعلم مالا تعلمون »[١]

فكان عدم استغاثة إبراهيم عليه السلام[٢] بجبرائيل عليه السلام فى ذلك الموطن احتجاجا من الله عليهم ، كأنه يقول : كيف رأيتم عبدى هذا يامن قال :

«أتجعل فيهامن يفسدفيها ويسفك الدماء» .

فظهر بذلك[٣] قوله سبحانه وتعالى :

« إنى أعلم مالا تعلمون »

جاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم قال :

« يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، فيصعد الذين باتوا فيكم فيسألهم وهو أعلم ، كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون :

---

(١) الآية : ٣٠ من سورة البقرة

(٢) وفى فرونية : بجبريل

(٣) وفى فرونية : (فظهر بذلك سر قوله سبحانه وتعالى)

أتيناهم وهم يصلون ، وتركناهم وهم يصلون » (١)

قال الشيخ أبو الحسن رضى الله عنه .

كأن الحق سبحانه وتعالى يقول لهم .

يامن قال . « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء » كيف تركتم عبادى ؟

فكان مراد الحق سبحانه وتعالى (بإرسال جبرائيل عليه السلام إظهار رتبة الخليل عند ملائكته ، وتبيينا) (٢) لشرف قدره ، وفخامة أمره ، وكيف يمكن إبراهيم عليه السلام أن يستغيث بشيء دونه وهو

---

(١) حديث صحيح وروايته : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

يتعاقبون فيكم ملائكة بالليل وملائكة بالنهار ، ويجتمعون فى صلاة الصبح وصلاة العصر ، ثم يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم الله — وهو أعلم بهم — كيف تركتم عبادى ؟ فيقولون : تركناهم وهم يصلون، وأتيناهم وهم يصلون «متفق عليه .

(٢) ما بين القوسين نصه فى فرونيه (بارسال جبريل إليه لإظهار رتبة الخليل عليه السلام عند ملائكته ، وتثبيتا ..)

لايرى إلا إياه ، ولا يشهد سواه ، وإنما سمى الخليل خليلا [١] ، لأنه تخلل سره بمحبة الله وعظته وأحديته ، فـلم يبق فيه متسع لغيره ، كما قيل .

قد تخللت مسلك الروح منى وبذا سمى الخليل خليـلا

فإذا ما نطقت كـنت كلامى وإذا ما صمت كنت الغليلا

«تنبيه وإعلام»

اعلم أن الحق سبحانه وتعالى بسط إبراهيم عليه السلام بنور الرضا وأعطاه روح الاستسلام ، وصان قلبه عن النظر إلى الأنام .

فما كانت [٢] النار عليه بردا وسلاما ، إلا لما كان قلبه مفوضا إلى الله استسلاما .

فمن الاستسلام كان عليه السلام ، وعن تصحيح باطن المقام [٣] كان ماظهر عليه من الإجلال والإعظام ،

---

(١) كلمة : (خليلا) لم توجد فى فرونيه .
(٢) وفى نسخة : فما عادت النار
(٣) وفى نسخة (ا) باطن القيام .

فافهم (١) من ذلك أيها المؤمن. أن من استسلم إلى الله فى واردات الامتحان، أعاد الله عليه شوكها ريحانا ، وخوفها أمانا .

فإذا قذفك الشيطان فى منجنيق الامتحان ، فعرضت لك الأكوان قائلة (٢) . ألك حاجة ؟ فقل:

أما إليك فلا ، وأما إلى الله فبلى .

فإن قالت لك : سله ؟ فقل :

حسبى من سؤالى ، علمه بحالى ، فإن الله يعيد عليك نار الدنيا بردا وسلاما ، ويعطيك منة وإكراما ، لأن الله سبحانه وتعالى فتح بالأنبياء والرسل سبيل الهدى ، فسلك وراءهم المقتدون ، والتزم اتباعهم المؤمنون ، كما قال سبحانه وتعالى :

« قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى (٣) »

---

(١) من : لم توجد فى (ا)

(٢) وفى فرونيه : قائلات .

(٣) الآية : ١٠٨ من سورة يوسف

وقال فى شأن يونس [١] عليه السلام .

« فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين [٢] »

---

(١) هو نبى الله يونس بن متى عليه السلام الذى بعثه الله إلى أهل قرية (نينوى) وهى قريه من أرض الموصل بالعراق.

(٢) الآية : ٨٨ من سورة الأنبياء . ولهذه الاية مع نبى الله يونس مناسبة يقصها لنا هذا الحديث التالى عن عبد الله بن رافع مولى أم سلمة سمعت أبا هريرة رضى الله عنه يقول :قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله حبس يونس فى بطن الحوت أوحى الله إلى الحوت ولا تخدش له لحما ، ولا تكسر له عظما ، فلما انتهى به إلى أسفل البحر سمع يونس حساً فقال فى نفسه : ما هذا ؟ فأوحى الله إليه وهو فى بطن الحوت إن هذا تسبيح دواب البحر ، قال : وسبح وهو فى بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا : يا ربنا إنا نسمع صوتاً ضعيفاً بأرض غريبة ; قال ذلك عبدى يونس عصانى فحبسته فى بطن الحوت فى البحر ، قالوا : العبد الصالح الذى كان يصعد إليك منه فى كل يوم وليلة عمل صالح ؟ قال : نعم قال : فشفعوا له عند ذلك ،فأمر الحوت فقذفه فى الساحل كما قال الله تعالى : « وهو سقيم » . رواه ابن جرير ورواه البزار فى فى مسنده .

أى كذلك[١] ننجى المؤمنين المتبعين لآثاره المتشوقين[٢] لأنواره الطالبين من الله بالذلة والافتقار ، واللابسين شعار المسكنة والانكسار .

(عبرة وهداية) *

إنعطاف :

فى قصة إبراهيم عليه السلام ، هذه بيان للمعتبرين ، وهداية للمتبصرين[٣] ، وهو أن من خرج عن تدبيره لنفسه ، كان الله سبحانه وتعالى هو المتولى بحسن التدبير له .

ألا ترى أن إبراهيم عليه السلام ، لما لم يدبر لنفسه ، ولا اهتم بها بل ألقاها إلى الله تعالى وأسلمها إليه ، وتوكل فى كل شأنه عليه ، فلما كان كذلك ، كان عاقبة استسلامه وجود السلامة والإكرام ، و بقاء الثناء عليه على ممر الأيام ؛ وقد أمرنا الله تعالى أن لانخرج عن ملته ، وأن نرعى حق تسميته بقوله تعالى :

---

(١) وفى فروينه : وكذلك .
(٢) وفى نسخة : المستشرفين وكذلك فى (ا) .
(*) العنوان من عمل المحقق .
(٣) وفى فروينه : للمستبصرين .

« ملة أبيكم إبراهيم هو سماكم المسلمين من قبل [1] » .

فحق على كل من كان إبراهيميا ، أن يكون عن [2] تدبيره لنفسه بريا ، ومن منازعة الله خليا ، [ومن اعتراضه عريا [3]] .

« ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه [4] » .

وملته لازمها التفويض إلى الله تعالى ، والإستسلام فى واردات الأحكام

واعلم أن المراد ، هو أن لا يكون لك مع الله مراد . ولنا فى هذا المعنى شعر .

مراد منك نسيان المراد	إذا رمت السبيل إلى الرشاد
وأن تدع الوجود فلا تراه	وتصبح ماسكا حبل اعتماد
إلى كم غفلة عنى وأنى	على حفظ الرعاية والوداد
إلى كم أنت تنظر مبدعاتى	وتصبح هائما فى كل وادى
وتترك أن تميل إلى جنابى	لعمرك قد عدلت عن السدادى

---

(١) الآية : ٧٨ من سورة الحج .

(٢) وفى فروينه : من تدبيره .

(٣) ما بين القوسين غير موجود فى فروينه .

(٤) الآية : ١٣٠ من سورة البقرة .

وودى فيك لو تدرى قـديم ويوم ألست يشهد بانفرادى

فهل [١] رب سواى فترتجيه غدا ينجيك من كرب شداد

فوصف العجز عم الكون طرا فمفتقر بمفتقر ينـــادى

في قـد قامت الأكوان طرا وأظهرت المظاهر من مرادى

أفى دارى وفى ملكى وملكى [٢] توجه للسوى وجـه اعتمادى

فحدق أعـين الإيمان وانظر ترى الأكوان تؤذن بالنفاد [٣]

فمن عـدم إلى عـدم مصير وأنت إلى الفنا لاشك غـاد

وها خامى عليك فـلا تزلها وصن وجـه الرجاء عن العباد

ببابى أوقـف الآمـال طرا ولاتأتى لحضـــرتنا بزاد

ووصفك فالزمنه وكن ذليـلا ترى منى المنى طـوع القياد

وكن عبـدا لنا والعبد يرضى بما تقضى المـوالى من مراد

أأستر وصفـك الأدنى بوصفى فتجزى ذاك جهـلا بالعناد [٤]

---

(١) وفى فروينه ، وهل .

(٢) وفى فروينه : وظلى .

(٣) وفى نسخة : بالنفاذى .

(٤) وفى فروينه : بالعباد .

وهل شاركتنى فى الملك حتى غدوت منازعى والرشد باد (١)
فإن رمت الوصول إلى جنابى فهذى النفس فاحذرها وعاد (٢)
وخض بحر الفناء عسى ترانا وأعـــدنا إلى يوم المعاد
وكن مستمطرا منا لتلقى جميل الصنع من مولى جواد
ولاتستهد (٣) يوما من سوانا فما أحد سوانا اليوم هاد (٤)

(أقسام التدبير *)

تنبيه وإعلام :

اعلم أن التدبير على قسمين : تدبير محمود ، وتدبير مذموم .

فالتدبير المذموم: هو كل تدبير ينعطف على نفسك بوجود حظها، لا لله قياما بحقه ، كالتدبير فى تحصيل معصية ، أو فى حظ بوجود غفلة، أو طاعة بوجود رياء وسمعة ، ونحو ذلك (٥) ، وهذا كله مذموم ، لأنه إما أن

(١) وفى نسخة : والرشد بادى .
(٢) وفى فروينه : وعادى .
(٣) وفى فروينه : ولاتشهد إلى أحد
(٤) وفى نسخة : هادى .
* العنوان من عمل المحقق
(٥) وفى فروينه : ونحو هذا وذلك .

يوجب عقابا ، أو يوجب حجابا [١] .

ومن عرف نعمة العقل: استحى [٢] من الله أن يصرف عقله إلى تدبير ما لا يوصله إلى قربه ، ولا يكون سببا لوجود حبه ، والعقل أفضل ما من الله به على عباده ، لأنه سبحانه وتعالى ، خالق الموجودات ، وتفضل عليها بالإيجاد ، وبدوام الإمداد .

فهما نعمتان ماخرج موجود عنهما ، ولابد لكل مكون منهما . نعمة الإيجاد ، ونعمة الامداد ، وربما يفهم من هاهنا قوله تعالى : « ورحمتى وسعت كل شىء [٣] » .

لكن لما اشتركت الموجودات فى إيجاده وإمداده ، أراد الحق تعالى أن يميز بعضها على بعض ، ليظهر سعة تعلقات إراداته ، واتساع مشيئته فميز بعض الموجودات بالنمو كالنبات والحيوان البهيمى [٤] والآدمى ، فظهرت [٥] القدرة فيه ظهورا أجلى من ظهورها فى الموجودات الغير

---

(١) وفى نسخة : إما موجب عقابا أو موجب حجابا

(٢) وفى فروينه : واستحى من الله

(٣) الآية : ١٥٦ من سورة الأعراف .

(٤) وفى نسخة (١) البهمى .

(٥) وفى فروينه : فظهرت .

نامية ، فلما اشتركت هذه الثلاثة فى النمو أفرد الحيوان الآدمى ، (وغير الآدمى [١]) بوجود الحياة ، فشارك الآدمى فى ذلك الحيوان البهيمى ، فظهر [٢] بقدرته فيه ظهورا أجلى من ظهوره فى الناميات ، فأراد أن يميز الآدمى عنه [٣] فأعطاه العقل وفضله لذلك [٤] على الحيوان ، وكمل به نعمته على الإنسان ، وبالعقل ووفوره وإشراقه ونوره ، تتم مصالح الدنيا والآخرة .

فصرف نعمة العقل إلى تدبير الدنيا التى لاقدر لها عند الله ، كفر لنعمة العقل .

وتوجهه إلى الاهتمام بإصلاح شأنه فى معاده [٥] قياما بوجود شكر المحسن إليه ، والمفيض من نوره عليه ، [٦] أحق به وأحرى وأفضل [٧] له وأولى .

---

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٢) وفى فروينه : وظهر .

(٣) وفى فروينه لم توجد كلمة عنه .

(٤) وفى نسخة : بذلك .

(٥) وفى فروينه : معاملته

(٦) وفى فروينه : عليه كان أحق به .

(٧) وفى فروينه : وأفضل وأولى

فلا تصرف عقلك الذى من به عليك فى تدبير الدنيا التى هى كما أخبر (١) عنها النبى صلى الله عليه وسلم بقوله :

« الدنيا جيفة قذرة » (٢)

وكما قال صلى الله عليه وسلم للضحاك :

ماطعامك ؟ قال:

اللحم واللبن يارسول الله ؟ قال :

ثم يعود إلى ماذا ؟ قال :

ماعلمت يارسول الله، قال :

---

(١) وفى نسخة (ا) كما أخبر عنها الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) ولهذا اكتفى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون رزقه فى الدنيا قوتا . فعن أبى هريرة رضى الله عنه فيما أخرجه البخارى ومسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : اللهم اجعل رزق آل محمد فى الدنيا قوتا » .وأثبت صلوت الله وسلامه عليه ، الفلاح لمن هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا ، فعن فضاله بن عبيد فيما أخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير والحاكم فى المستدرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : أفلح من هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به ». وحديث الدنيا جيفة حديث صحيح رواه أبو هريرة رضى الله عنه .

فإن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا[١] .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ، ما سقى كافرا منها شربة ماء[٢] » .

ومثل من صرف عقله فى تدبير الدنيا التى هذه الصفات صفاتها كمثل من أعطاه الملك سيفا عظيما قدره ، مفخما أمره ، لم يسمح لكثير من رعاياه بمثله ، ليقتل به أعداءه[٣] ، ويتزين بحمله ، فعمد أخذ هذا

---

(١) هذا الحديث الشريف، رواه أحمد فى مسنده، والطبرانى فى معجمة الكبير ، والبيهقى فى الشعب ، عن الضحاك بن سفيان ولفظه : « إن الله تعالى جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا »

(٢) روى الترمذى ، وابن ماجه ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، وأبو نعيم فى الحلية عن سهل بن سعد القضاعى فى مسند الشهاب ، عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقى كافرا منها شربة ماء»

وفى رواية أخرى فيما أخرج الترمذى عن سهل الساعدى وقال حديث حسن صحيح ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضه ما سقى كافرا شربة ماء »

(٣) وفى نسخة : أعداه .

السيف إلى الجيف ، فجعل يضربها حتى تفلل ظباه[١] ، وكل شباه ، وتغير حسنه وسناه ، فجدير إذا اطلع الملك على هذه الحالة منه[٢] أن يأخذ السيف منه ، ويعظم عقوبته ، على سوء فعاله ، وأن يمنعه من وجود إقباله .

فقد تبين من هذا أن التدبير على قسمين :

تدبير محمود ، وتدبير مذموم .

فالتدبير المحمود : هو ما كان تدبيرا بما يقربك[٣] من الله ، كالتدبير فى براءة الذمم[٤] من حقوق المخلوقين ، إما وفاء ، وإما استحلالا ، وتصحيح التوبة إلى رب العالمين ، والفكرة فيما يؤدى إلى قمع الهوى المردى ، والشيطان المغوى وكل ذلك محمود لا شك فيه ، ولأجل ذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة » .

---

(١) وفى نسخة : تفلل ضباه .
(٢) وفى نسخة (ا) لم توجد كلمة منه .
(٣) وفى نسخة فروينه : لما يقربك إلى الله وكذلك فى (ا) .
(٤) وفى فروينه : فى براءة الذمة .

والتدبير للدنيا على قسمين :

تدبير الدنيا للدنيا ، وتدبير الدنيا للآخرة .

فتدبير الدنيا للدنيا : هو أن يدبر في أسباب جمعها افتخارا بها واستكثارا ، وكلما زيد فيها شيئا ازداد غفلة واغترارا ، وأمارة ذلك أن يشغله عن الموافقة ، ويؤديه[١] الى المخالفة .

وتدبير الدنيا للآخرة : كمن يدبر المتاجر (والمكاسب[٢] والفراسة) ليأ كل منها حلالا ، ولينعم بها[٣] على ذوى الفاقة أفضالا ، وليصون بها وجهه عن الناس اجمالا .

وأمارة من طلب الدنيا لله تعالى ، عدم الاستكثار والادخار والإسعاف منها ، والإيثار .

وللزاهد فى الدنيا علامتان : علامة فى فقدها ، وعلامة فى وجدها . فالعلامة التى فى وجدها الايثار منها ، والعلامة التى فى فقدها وجود الراحة منها .

---

(١) وفى فروينه : ويؤديه

(٢) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٣) وفى نسخة أخرى : منها .

فالإيثار شكر لنعمة الوجدان ، ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان ، وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان ، لأن الحق تعالى كما قد ينعم [١] عليك بوجودها كذلك قد ينعم بصرفها ، بل نعمته فى صرفها أتم .

قال سفيان الثورى [٢] رحمه الله تعالى :

« لنعمة الله فيما زوى عنى من الدنيا ، أتم من نعمته على فيما أعطانى منها »

وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله .

---

(١) وفى فروينه : لأنه كما قد ينعم بوجودها .. الخ .

(٢) هو سفيان بن سعيد الثورى رضى الله تعالى عنه ، وكانوا يسمونه أمير المؤمنين فى الحديث . ولد رضى الله عنه ، سنة سبع وتسعين ، وخرج من الكوفة إلى البصرة سنة خمس وخمسين ومائة ، وتوفى رضى الله عنه بالبصرة سنة إحدى وستين ومائة .

كان رضى الله عنه عالم الأمة وعابدها وزاهدها ، وكان يقول : لا ينبغى للرجل أن يطلب العلم والحديث حتى يعمل فى الأدب عشرين سنه . وكان يقول أيضا : لو أن عبداً عبد الله تعالى بجميع المأمورات إلا أنه يحب الدنيا إلا نودى عليه يوم القيامة على رءوس أهل الجمع : ألا إن هذا فلان بن فلان قد أحب ما أبغض الله تعالى فيكاد لحم وجهه يسقط من الخجل » اهـ .

رأيت الصديق رضى الله عنه فى المنام فقال لى :

أتدرى ما علامة خروج حب الدنيا من القلب ؟ قلت : لا أدرى .

قال : علامة حب الدنيا من القلب ، بذلها عند الوجود (١) ، ووجود الراحة منها عند الفقد » ا هـ .

فقد تبين من هذا : أن ليس كل طالب للدنيا مذموما ، بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه ، ولدنياه لا لآخرته .

(الناس على قسمين) *

(فالناس إذن على قسمين :

عبد طلب الدنيا للدنيا ، وعبد طلب الدنيا للآخرة (٢)) .

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول :

العارف لا دنيا له ، لأن دنياه لآخرته ، وآخرته لربه » ا هـ .

وعلى ذلك تحمل أحوال الصحابة ، والسلف الصالحين رضى الله عنهم .

فكل ما دخلوا فيه من أسباب الدنيا ، فهم بذلك إلى الله متقربون ،

---

(٣) وفى نسخة : الوجد .

(*) العنوان من عمل المحقق .

(٤) ما بين القوسين لم يوجد فى فرونيه .

وإلى رضاه مسببون [١] لاقاصدون بذلك الدنياوزينتها ، ووجودلذتها ، وبذلك وصفهم الحق سبحانه وتعالى بقوله :

« محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم ، تراهم ركعاً سجداً ، يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجوههم من أثر السجود [٢] » .

وقال فى الآية الأخرى :

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار [٣] » .

وبقوله تعالى :

«رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا [٤] » .

---

(١) وفى فروينه : متسببون .

(٢) الآية : ٢٩ من سورة الفتح .

(٣) الآية : ٣٦ ، ٣٧ من سورة النور .

(٤) الآية : ٢٣ من سورة الأحزاب .

ونظائر هذه الآيات .، وما ظنك بقوم اختارهم [١] الله لصحبة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ولمواجهة خطابه فى تنزيله ، فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة فى عنقه منن لا تحصى ، وأياد لا تنسى لأنهم هم الذين حملوا إلينا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الحكمة والأحكام ، وبينوا الحلال والحرام ، وفهموا الخاص والعام ، وفتحوا الأقاليم والبلاد ، وقهروا أهل الشرك والعناد .

ويحق [٢] ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم :

« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » [٣]

وقد وصفهم فى الآية الأولى بأوصاف إلى أن قال :

---

(١) وفى نسخة : أستارهم .

(٢) ما : غير موجودة فى فروينه .

(٣) حديث أصحابى كالنجوم ... رواه الدارقطنى وابن عبد البر من طرق أسانيدها كلها ضعيفة ، قال البيهقى : متنه مشهور وأسانيده ضعيفة كما فى شروح الشفاء جـ٣ ص ٤٢٣ انظر أسد الغابه جـ١ ص ١٧

وفيما أخرجه رزين عن عمر رضى الله عنه مرفوعا : سألت ربى عن اختلاف أصحابى من بعدى ، فأوحى إلى يامحمد ، إن أصحابك عندى بمنزلة النجوم من السماء بعضها أقوى من بعض ولكل نور ، فمن أخذ بشىء مما هم عليه من اختلافهم فهو عندى على هدى (، وقال : أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم) كذا فى جمع الفوائد (جـ٢ ص ٢٠١) انظر حياة الصحابة جـ١ ص١٣

« يبتغون فضلا من الله ورضوانا »

(فقد أخبر سبحانه[١]) وهو المطلع (على أسرارهم العالم بهم[٢]) فى سرهم واجهارهم ، أنهم ما ابتغوا بما حاولوه[٣] الدنيا ، ولم يقصدوا بذلك إلا وجه الله الكريم ، وفضله العميم ، وقد قال سبحانه وتعالى فيهم :

«واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه[٤] »

فقد أخبر سبحانه : أنهم لا يريدون سواه ، ولا يقصدون إلا إياه .

وقال فى الآية الأخرى :

« يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله[٥] »

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينه (دل ذلك من قوله سبحانه

(٢) ما بين القوسين نصه فى فروينه (على أسرار العالم)

(٣) وفى نسخة : بما قالوه .

(٤) الآية : ٢٨ من سورة الكهف

(٥) الآية : ٣٧ من سورة النور

إشارة إلى أنه قد طهر أسرارهم ، وكمل أنوارهم . فلذلك لا تأخذ الدنيا (قلوبهم ، ولا تخدش وجه إيمانهم وكيف تأخذ الدنيا [١]) من قلوب ملأها بحبه ، وأشرق فيها أنوار قربه ، وقد قال سبحانه وتعالى :

« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان [٢] ؟ »

فلو كان للدنيا على قلوبهم سلطان لكان للشيطان على قلوبهم أيضا ، إذ لا يمكن الشيطان أن يصل إلى قلوب أشرقت فيها أنوار الزهد ، وكنست من أوساخ الرغبة .

فقوله سبحانه وتعالى :

« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » أى ليس لك ولا لشيء من الأكوان على قلوبهم سلطان ، لأن سلطان عظمتى فى قلوبهم يمنعهم أن يكون على قلوبهم سلطان لشيء دونى .

فأثبت الحق سبحانه وتعالى ، لهم فى هذه الآية : أنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، ولم ينف عنهم أنهم لا يتجرون ولا يبيعون ، بل فى الآية ما يدل على جواز البيع والتجارة ، من فحوى

---

(١) ما بين القوسين غير موجود فى فروينه .

(٢) الآية : ٤٢ من سورة الحجر

الخطاب إذا تدبرته (١) ، تدبر أولى الألباب . ألم تسمع قوله تعالى :

« وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ؟ »

فلو نهاهم عن الغنى ، لنهاهم عن التسبب المؤدى إليه وهو التجارة والبيع ، ألا ترى أنه قال :

« وإيتاء الزكاة ؟ »

فإيجابه الزكاة عليهم دليلا على أن هؤلاء الرجال التى هذه الأوصاف أوصافهم ، قد يكون منهم أغنياء ولا يخرجهم عن المدحة غناهم ، إذا قاموا فيه بحقوق مولاهم .

قال عبد الله بن عتبة :

كان لعثمان (٢) بن عفان رضى الله عنه يوم قتل عند خازنه مائة

---

(١) وفى فرونيه : إذا تدبير . الخ والأصح تدبرته تدبر أولى الألباب .

(٢) هو عثمان بن عفان رضى الله عنه ، الصحابى الجليل والذى يجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم فى عبد مناف ، وسمى ذا النورين لجمعه بين بنتى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رقية ، ثم أم كلثوم ، وحاصروه تسعة وأربعين =

ألف وخمسون ألف دينار وألف ، وألف درهم ، وخلف ضياعا بين أريس وخيبر ، ووادى القرى ، قيمته مائتا ألف دينار .

وبلغ ثمن مال الزبير [٢] رضى الله عنه خمسين ألف دينار ، وترك ألف فرس وألف مملوك .

= يوما ثم قتلوه صبرا ، والمصحف مفتوح بين يديه ، وهو يقرأ . كان رضى الله عنه شديد الحياء حتى أنه ليكون فى البيت والباب مغلق عليه فما يضع عنه الثوب عند الغسل ليفيض عليه ، يمنعه الحياء أن يقيم صلبه وكان يصوم النهار ويقوم الليل إلا هجعة من أوله ، وكان يختم القرآن فى كل ركعة كثيرا وكان يطعم الناس طعام الإماره ، ويدخل بيته فيأكل الخل والزيت . وكان يردف خلفه غلامه أيام خلافته . ولا يستعيب ذلك . وكان إذا مر على المقبرة بكى حتى بل لحيته ، رضى الله عنه ، ومناقبه كثيرة مشهورة لا يتسع المجال لسردها ، اهـ

(٢) هو الإمام الزبير بن العوام رضى الله عنه ، ويجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فى قصى ، وقاتل يوم بدر قتالا شديدا ، حتى كان الرجل يدخل يده فى الجراح من ظهره وعاتقه. ولما حضرته الوفاة كان عليه دين كثير وليس له مال فقالوا له : ماتفعل فى دينك ؟ فقال لأولاده قولوا : يامولى الزبير ، اقض دينه ، فقضاه الله تعالى عنه جميعه ، اهـ .

وخلف عمرو بن العاص [1] رضى الله عنه ثلاثمائة ألف دينار .
وغنى عبد الرحمن [2] بن عوف رضى الله عنه ، أشهر من أن يذكر » اهـ

---

(١) هو عمرو بن العاص بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى القرشى السهمى . وقصة إسلامه كما أخرج ابن اسحاق عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال فى حديث طويل:
(. . . خرجت عامدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة فقلت: أين أبا سليمان؟ فقال : والله لقد استقام الميسم ، وإن الرجل لنبى ، إذهب والله أسلم فحتى متى ؟ قال : قلت : والله ماجئت إلا لأسلم ، قال : فقدمنا المدينة على النبى صلى الله عليه وسلم ، فتقدم خالد بن الوليد فأسلم وبايع ، ثم دنوت فقلت : يارسول الله ! إنى أبايعك على أن تغفر لى ما تقدم من ذنبى ولا أذكر ماتأخر . قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(ياعمرو بايع فإن الإسلام يجب ما كان قبله ، وإن الهجرة تجب ما كان قبلها ، قال : فبايعته ثم انصرفت) كذا فى البدايه جـ٤ ص١٤٢.
(٢) هو أبو محمد عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه ورحمه ، ويجتمع نسبه مع النبى صلى الله عليه وسلم ، فى كلاب بن مرة . كان رضى الله عنه ، يتصدق بالسبعمائة راحلة . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عممه بيده وسدلها بين كتفيه وصلى رسول الله صلى الله عليه وسلم =

وكانت الدنيا فى أكفهم لا فى قلوبهم ، صبروا عنها [١] حين فقدت وشكروا الله [٢] حين وجدت .

وإنما ابتلاهم الحق سبحانه وتعالى بالفاقة فى أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم ، وتطهرت أسرارهم ، فبذلها لهم لأنهم لو أعطوها قبل ذلك ، فلعلها كانت آخذة منهم ، فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ فى اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين ، وامتثلوا قوله [٣] تعالى :

« وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه [٤] »

ومن هاهنا يفهم منعهم عن الجهاد فى أول الأمر بقوله تعالى لهم :

= خلفه . وقال : إنه عبد صالح . وكان رضى الله عنه من شدة خوفه وتواضعه لا يعرف من بين عبيده . توفى سنة اثنتين وثلاثين ، ودفن بالبقيع رضى الله تعالى عنه » اهـ . انظر الطبقات الكبرى للإمام الشعرانى رضى الله عنه جـ ١ ص ١٩ .

(١) وفى قروينه : صبروا عليها .

(٢) وفى نسخه أخرى : شكروا الله عليها .

(٣) وفى قروينة : امتثلوا قول الله تعالى .

(٤) الآية : ٧ من سورة الحديد.

« فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره (١) »

لأنه لو أبيح لهم الجهاد فى أول الإسلام ، فلعل الذى هو حديث عهد بالإسلام لو أطلق لهم الجهاد أن يكون انتصاره لنفسه من حيث لا يشعر ، حتى كان على رضى الله عنه ، إذا ضرب أمهل ، حتى تبرد تلك الضربة ، ثم يضرب بعد ذلك خشية أن يضرب عقبها (٢) ، فيكون فى ذلك مشاركة من حظه ، وذلك لمعرفته رضى الله عنه بدسائس النفوس وكائنها وعظيم حراستهم لقلوبهم ، وتخليص أعمالهم واشفاقهم أن يكون فى عملهم شىء لم يرد به وجه الله تعالى .

فكانت الدنيا فى أيدى الصحابة رضى الله عنهم ، لا فى قلوبهم ، ويدل على ذلك خروجهم عنها ، وإيثارهم بها ، وهم الذين قال الحق فيهم :

« ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة (٣) »

حتى أنهم أهدى لإنسان منهم رأس شاة فقال : « فلان أحق بها

---

(١) الآية : ١٠٩ من سورة البقرة :
(٢) وفى فروينه : أن يضرب عقيبها فتكون . . .
(٣) الآية : ٩ من سورة الحشر .

منى [1] » ثم قال الآخذ [2] لها كذلك ، فما زالوا يتهادونها إلى أن عادت إلى الذى [3] أهداها أولا بعد أن طافت على سبعة أو نحوهم .

ويكفيك فى ذلك : خروج عمر رضى الله عنه ، عن نصف ماله ، وخروج أبى بكر الصديق رضى الله عنه ، عن ماله كله ، وخروج عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه عن سبعمائة بعير موفرة الأحمال ، وتجهيز عثمان رضى الله عنه جيش العسرة إلى غير ذلك من حسن [4] أفعالهم ، وسنى أحوالهم .

وتضمنت الآية الأخرى وهى قوله سبحانه وتعالى :

« رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، ومنهم من ينتظر ، وما بدلوا تبديلا [5] » . الإخبار عنهم بسر الصدق الذى لايطلع عليه أحد إلا الحق سبحانه وتعالى ، وذلك ثناء عظيم، وفخر جسيم.

---

(١) وفى فروينه : لم توجد كلمة منى .
(٢) وفى نسخة : ثم قال كذلك الآخذ لها .
(٣) وفى نسخة : عادت للذى .
(٤) وفى فروينة : لم توجد كلمة : « حسن » .
(٥) الآية : ٢٣ من سورة الأحزاب

لأن ظواهر الأفعال قد تلبس فيها الأحوال فيما يرجع إلى علم العباد.

فتضمنت الآيات ، التزكية لظواهرهم وسرائرهم، وإثبات محامدهم ومفاخرهم .

فقد تبين من هذا : أن تدبير الدنيا على قسمين :

تدبير الدنيا للدنيا ، كما هو حال أهل القطيعة الغافلين .

وتدبير الدنيا للآخرة ، كحال الصحابة المكرمين ، والسلف الصالحين .

ويدلك على ذلك قول عمر رضى الله عنه :

« إنى لأجهز الجيش وأنا فى صلاتى » .

لأن تدبير عمر رضى الله عنه ، على المعاينة والمواجهة ، فهو إذا تدبير لله [1] فلذلك لم يكن قاطعا صلاته ولا منقصا من كمالها .

فإن قلت : قد زعمت أن ليس منهم من يريد الدنيا وأنزل الحق سبحانه وتعالى فى شأنهم يوم أحد :

« منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة[2] » ، حتى

(١) وفى فروينه : فهو إذا تدبير الله .

(٢) الآية: ١٥٢ من سورة آل عمران .

قال بعض الصحابة رضى الله عنهم :

« ما كنا نظن أن أحدا منا يريد الدنيا حتى نزل قوله تعالى

« منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة » اهـ .

فاعلم وفقك الله للفهم عنه ، وجعلك من أهل الاستماع منه ، أنه يجب على كل مؤمن . أن يظن بالصحابة الظن الجميل ، وأن يعتقد فيهم الإعتقاد الفضيل ، وأن يلتمس لهم أحسن المخارج فى أقوالهم وأفعالهم ، وفى جميع أحوالهم فى حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وبعد وفاته ، لأن الحق سبحانه وتعالى لما زكاهم تزكية مطلقة لم يقيدها بزمن دون زمن ، وكذلك تزكية رسول الله عليه الصلاة والسلام لهم بقوله :

« أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم [١] » .

وعن هذه الآية جوابان : أحدهما :

منكم من يريد الدنيا للآخرة ، كالذين أرادوا الغنيمة ليعاملوا الله بما يأخذونه منها ، بذلا وإيثارا [ومنكم من لم يكن ذلك مراده[٢]] إنما كان مراده تحصيل فضل الجهاد لاغير ، فلم يلو على الغنائم ، ولم يلتفت إليها .

---

(١) سبق تخريجه والتعليق عليه

(٢) ما بين القوسين ورد فى فروينه [ومنكم من لم يكن مراده ذلك]

فمنهم الفاضل ، ومنهم الأفضل ، ومنهم الكامل ، ومنهم الأكمل .

الجواب الثانى : أن السيد يقول لعبده ماشاء وعلينا أن نتأدب مع عبده لثبوت نسبته منه ، فليس كلما(١) خاطب السيد به عبده ينبغى [أن ننسبه للعبد ، ولا] أن نخاطبه به ، إذ للسيد أن يقول لعبده ماشاء تحريضا لعبده ، وتنشيطا لهمته وقصده ، وعلينا أن نلزم حدود الأدب معه .

وإن تصفحت الكتاب العزيز وجدت فيه كثيرا ، منها :

سورة عبس ، حتى قالت عائشة رضى الله عنها :

«لو كان رسول الله عليه الصلاة والسلام ، كاتما شيئا من الوحى ، لكتم هذه السورة.»

فقد تقرر من هذا أنه ليس إسقاط التدبير الممدوح ، ترك الدخول فى أسباب الدنيا ، والفكرة فى مصالحها ليستعين بذلك على طاعة

---

(١) وفى فروينه : فليس كل ما خاطب .

(٢) ما بين القوسين لم يرد فى فروينه .

مولاه[١] ، والعمل لأخراه ، وإنما التدبير المنهى عنه ، هو التدبير فيها لها .

وعلامة ذلك : أن يعصى الله تعالى من أجلها ، وأن يأخذها كيف كان من حلها ، أو غير[٢] حلها .

(ذم الأشياء ومدحها)*

فائدة : اعلم أن الأشياء إنما تذم وتمدح بما تؤدى إليه .

فالتدبير المذموم : ما شغلك عن الله ، وعطلك عن القيام بخدمة[٣] الله ، وصدك عن معاملة الله .

والتدبير المحمود : هو ماليس كذلك ، مما يؤديك إلى القرب من الله تعالى ، ويوصلك إلى مرضاة الله .

وكذلك الدنيا : ليست تذم بلسان الإطلاق ، ولا تمدح كذلك ،

---

(١) وفى فروينه : على الطاعة لمولاه .
(٢) وفى نسخة : من حلها ومن غير حلها .
(*) العنوان من عمل المحقق.
(٣) وفى فروينه : بخدمته تعالى .

وإنما المذموم منها ماشغلك عن مولاك ، ومنعك الاستعداد لأخراك .

كما قال بعض العارفين :

« كل ماشغلك عن الله من أهل،ومال ، وولد،فهو عليك مشئوم»

والممدوح ما أعانك على طاعته ، وأنهضك إلى خدمته» اهـ .

وبالجملة : ما وقع المدح به فهو ممدوح فى نفسه ، وما وقع الذم به فهو مذموم فى نفسه .

وقد جاء عن رسول الله عليه الصلاة والسلام :

« الدنيا جيفة قذرة مذرة » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه ، وعالم أو متعلم [1] » .

---

(١) الحديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه .

وقد ورد هذا الحديث بعدة روايات نذكر منها :

روى الترمذى وابن ماجه من حديث أبى هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله سبحانه ، وما والاه،أو معلما أو متعلما،.وقال الترمذى حسن غريب=

وقال صلى الله عليه وسلم :

= ومنها : ما أخرجه الترمذى ، وابن ماجه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه ، وعالما أو متعلما » .

ومنها : ما أخرجه الترمذى أيضا ، وابن ماجه ، والبيهقى فى الشعب عن أبى هريرة ، والطبرانى فى المعجم الأوسط عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله ، وما والاه ، وعالما ، ومتعلما » .

ومنها : ما رواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن أبى الدرداء رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول .

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها ، إلا ما ابتغى به وجه الله تعالى » .

ومنها : ما رواه أبو نعيم فى الحلية ، « والضياء » عن جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ما كان منها لله عز وجل » .

« إن الله جعل ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا [١] »

فهذه الأحاديث تقتضى ذمها ، وتنفير العباد عنها .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم :

« لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية للمؤمن ، عليها يبلغ الخير ، وبها ينجو من الشر [٢] »

فالدنيا التى لعنها رسول الله عليه الصلاة والسلام : هى الدنيا الشاغلة عن الله تعالى : ولذلك استثنى فى الحديث فقال :

« إلا ذكر الله ، وما والاه ، وعالم ، أو متعلم »

فبين عليه الصلاة والسلام . أن هذا ليس من الدنيا .

وقوله عليه الصلاة والسلام : « لا تسبوا الدنيا »

---

(١) هذا الحديث رواه أحمد فى مسنده ، والطبرانى فى معجمه الكبير والبيهقى فى الشعب عن الضحاك بن سفيان .

(٢) وقريب منه مارواه الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر) .

أى التى توصلكم إلى طاعة الله ، ولذلك قال صلى الله عليه وسلم : «فنعمت مطية المؤمن»

فمدحها من حيث كونها مطية ، لا من حيث أنها دار اغترار ووجود أوزار .

وإذ قد علمت هذا فقد فهمت أن إسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الأسباب حتى يعود الإنسان ضيعة [1] فيكون كلا على الناس ، فيجهل حكمة الله فى إثبات الأسباب ، وارتباط الوسائط .

وقد جاء عن عيسى عليه السلام : أنه مر بمتعبد فقال له :

من أين تأكل ؟

فقال : أخى يطعمنى .

فقال : أخوك أعبد منك »

أى أخوك وإن كان فى سوقه ، أعبد منك ، لأنه هو [2] الذى أعانك على الطاعة ، وفرغك لها [3] .

---

(١) وفى فرونيه : ويكون .

(٢) كلمة هو : لم توجد فى فرونيه

(٣) وفى نسخة أخرى : وفرغك لها .

وكيف يمكن أن ينكر الدخول فى الأسباب بعد أن جاء قوله تعالى :

« وأحل الله البيع وحرم الربا (١) ؟» .

وقوله : »

« وأشهدوا إذا تبايعتم (٢) ؟ »

وقوله عليه الصلاة والسلام :

(أحل ما أكل المرأ من كسب يمينه ، وإن داود نبى الله كان يأكل من كسب يمنه (٣) ؟»

---

(١) الآية : ٢٧٥ من سورة البقرة .

(٢) الآية : ٢٨٢ من البقرة .

(٣) وفى رواية أخرى فيما أخرجه البخارى فى صحيحة ، وأحمد فى مسنده عن المقدار بن معديكرب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما أكل أحد طعاما قط، خيرا من عمل يديه ، وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده)

وفيما أخرجه أحمد فى مسنده ، والطبرانى فى المعجم الكبير ، والحاكم فى المستدك ، عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أطيب الكسب عمل الرجل بيده ، وكل بيع مبرور) . وفيما روى

وقوله عليه الصلاة والسلام :

« أفضل الكسب عمل الصانع بيده إذا نصح [١] »

وقال صلى الله عليه وسلم :

« التاجر الأمين الصدوق المسلم ، مع الشهداء يوم القيامه [٢] »

= عن عائشة رضى الله عنها فيما أخرجه أحمد وابن حبان والحاكم وغيرهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (إن أطيب ما يأكل المرء من كسبه وإن ولده من كسبه) .

(١) ويشهد لصحة هذا الحديث الشريف حديث :(ما أكل أحد طعاما قط خيرا من عمل يده .. الخ . وحديث :
(أطيب الكسب عمل الرجل بيده الخ)

(٢) هذا الحديث الشريف رواه ابن ماجه ، والحاكم فى المستدرك عن ابن عمر رضى الله عنهما . وفى رواية أخرى : أخرج الترمذى والحاكم فى المستدرك عن أبى سعيد رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

«التاجر الصدوق الأمين ، مع النبيين ،والصديقين، والشهداء)

وفى رواية أخرى عن ابن عباس قال رسول الله صلى عليه وسلم =

فكيف يمكن أحد بعد هـــذا أن يذم الأسباب ؟

لكن المذموم منها ما شغلك عن الله ، وصدك عن معاملته .

ولو تركت هـــذه [٢] الأسباب ، وغفلت عن الله وبالتجريد كنت مذموما أيضاً .

وليست الآفات داخلة على المتسببين فحسب ، بل قد تدخل على المتجردين ، كما تدخل على المتسببين .

« لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم »

بل قد يكون دخولها على المتجردين أشد ، إذ الآفات الداخلة على المتسببين دخول فى الدنيا مع عـــدم الدعوى منهم ، ظاهرهم كباطنهم ، مع اعترافهم بالتقصير ، ومعرفتهم بفضل المتفرغين لطاعة الله عليهم وآفات المتجردين ربما كانت عجبا ، أو كبرا ، أو رياء ، أو تصنعا ، أو تزينا للخلق بطاعة الله استجلابا لما فى أيديهم .

=(التاجر الصدوق لا يحجب من أبواب الجنة) رواه البخارى وفى رواية أخرى أيضا ، عن أنس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (التاجر الصدوق تحت ظل العرش يوم القيامة) رواه الأصبهانى فى ترغيبه ، والديلمى فى مسند الفردوس .

(١) وفى فرونيه : لم توجد كلمة هذه .

وقد تكون الآفات (١) اعتمادا ، واستنادا إلى الخلق ، وأمارة ذلك : ذمه للناس ، إذا لم يكرموه ، وعتبه عليهم إذا لم يخدموه .

فالمنغمس فى الأسباب مع الغفلة ، أحسن حالا من هذا بكثير (٢) .

أحسن الله منا النيات ، وطهر نفوسنا من الآفات بفضله وكرمه .

(الموازنة بين المتجرد والمتسبب *)

فصل :

لعلك (٣) تفهم من هذا الكلام أن المتجرد والمتسبب فى رتبة واحدة ، وليس الأمر كذلك ، ولن يجعل الله من تفرغ لعبادته ، وشغل أوقاته به ، كالداخل فى الأسباب ، ولو كان فيها متقنا .

فالمتسبب والمتجرد ، إذا استوى مقامهما من حيث المعرفة بالله ، فالمتجرد أفضل ، وما هو فيه أعلى وأكمل .

ولذلك قال بعض العارفين :

---

* العنوان من عمل المحقق

(١) وفى فروينه لم توجد كلمة الآفات .

(٢) وفى نسخة : لم توجد كلمة : بكثير .

(٣) وفى فروينه . ولعلك .

« مثل المتسبب والمتجرد كعبدين الملك ، قال لأحدهما :

اعمل وكل من كسب يدك . وقال للآخر :

الزم أنت حضرتى وخد منى وأنا أقوم لك بما تريد .

فهذا قدره عند السيد أجـــــل ، وصنعه به ذلك على العناية به أدل .

ثم إنه قلما تسلم [١] من المخالفة ، أو تصفو لك الطاعات [٢] [٣] مع الدخول فى الأسباب ، لاستلزامها لمعاشرة الأضداد ومخالطة أهـــل الغفلة والعناد .

وأشدّ ما يعينك على الطاعات رؤية المطيعين ، وأشدّ ما يدخل بك فى الذنب رؤية المذنبين . كما قال عليه الصلاة والسلام :

« المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالك [٤] » .

---

(١) كلمة من ، لم توجد فى فرونيه .

(٢) وفى نسخة : يسلم ولعل الأصح تسلم .

(٣) وفى فرونيه : تصفو لك من الطاعات .

(٤) هذا الحديث النبوى الشريف أخرجه أبو داود والترمذى وحسنه الحاكم من حديث أبى هريرة وقال صحيح إن شاء الله .

قال الشاعر :

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدى
فإن كان ذا شرف فجانبه مسرعة وإن كان ذا خير فقارنه تهتدى[١]

والنفس من شأنها التشبه والمحاكاة ، والتزين بصفات من قارنها والمضاهاة .

فصحبتك للغافلين معونة لها على وجود الغفلة ، إذ الغفلة ملائمة لها من أصل الوضع ، فكيف إذا انضم إلى ذلك سبب مخالطة الغافلين ؟ .

وقد تجد من نفسك أيها الأخ وفقك الله ، أنه لا يستوى[٢] حالة خروجك من منزلك ، وعودك إليه، وأنت فى حين خروجك تغاب عليك الأنوار ، وشرح الصدر والعزم على الطاعة والزهد فى الدنيا ، فتجدك إذ رجعت لست كذلك ، ولا فيما هنا لك ، وما ذاك إلا لدنس المخالطة[٣] وانغماس القلوب فى ظلمة الأسباب ، ولو[٤] كانت الأسباب والمعاصى إذا ذهبت ذهب أثرها لم تعوق القلوب عن المسير إلى الله تعالى

---

(١) هذا البيت من الشعر لم يوجد فى فروينه .
(٢) وفى فروينه : لا يستوى فى الزهد حاله ... ألخ .
(٣) وفى فروينه : المخالفة .
(٤) وفى نسخة : فلو .

بعد انفصالها [1] ، ووجود زوالها ، وإنما ذلك كالنار ، فربما انقضى الإيقاد وبقى السواد .

ويحتاج المتسبب إلى شيئين : علم ، وتقوى .

فالعلم يعلم به الحلال والحرام ، والتقوى تصده عن ارتكاب الآثام .

فأما حاجته إلى العلم : فإنه يحتاج الى الأحكام المتعلقة بالمعاملة ، بيعاً وسلماً وصرفاً ، وما يتعلق بذلك مع مايحتاج إليه من أحكام الواجبات والفروض المعينات .

(ماينبغى للمتسببين أن يلتزموه) *

تنبيه واعلام : أمور ينبغى للمتسببين أن يلتزموها :

الأول : ربط العزم مع الله تعالى قبل الخروج من المنزل على العفو عن المسيئين إليه ، إذ الأسواق محل المخاصمة والمقاولة . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أيعجز أحدكم أن يكون كأبى ضمضم ، كان إذا خرج من بيته قال « اللهم [2] إنى تصدقت بعرضى على المسلمين » .

---

(١) وفى نسخه أخرى : بعد اتصالها .

(*) العنوان من عمل المحقق .

(٢) وفى فروينه : اللهم إنى قد تصدقت .

الثانى : ينبغى له [1] أن يتوضأ ويصلى قبل خروجه ، ويسأل الله السلامة فى مخرجه ذلك ، فإنه لايدرى ماذا يقضى عليه ، وإن الخارج إلى السوق كالخارج [2] الى المصاف .

فينبغى للمؤمن أن يلبس من الاعتصام بالله تعالى ، والتوكل عليه، دروعاً صائنة تقيه سهام الأعداء .

« ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم [3] ».

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه [4] » .

الثالث : ينبغى له إذا خرج من منزله أن يستودع الله أهله ومسكنه، وما فيه ، فإنه حرى أن يحفظ ذلك عليه ، وليذكر قوله تعالى :

« فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين [5] » .

وليذكر قوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) وفى نسخة كلمة له لم توجد .

(٢) لم .. غير موجودة فى فروينه .

(٣) الآية : ١٠١ من سورة آل عمران .

(٤) الآية : ٣ من سورة الطلاق .

(٥) الآية : ٦٤ من سورة يوسف .

« اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل والمال[١] » .

فإنه إذا استودعهم الله[٢] ، لحرى أن يرجع فيجدهم كما يحبون .

سافر بعضهم وكانت زوجته حاملا ، لحين سافر قال :

« اللهم إنى استودعتك ما فى بطنها » .

فتوفيت زوجته فى غيبته ، فلما قدم من سفره ، سأل عنها فقيل له[٣] :

توفيت وهى حامل .

فلما كان الليل ، رأى نورا فى المقابر فتبعه ، فإذا هو فى قبرها وإذا بالصبى يرضع من ثديها ، فهتف به هاتف ، يا هذا :

إنك[٤] استودعتنا الولد فوجدته ، أما لو استودعتهما[٥] لوجدتهما

(١) هذا الحديث الشريف رواه عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنظر كتاب المشارق ص ٣٤٢ .

(٢) وفى فروينه : لله .

(٣) وفى نسخة فروينه لم توجد كلمة : له .

(٤) كلمة إنك لم توجد فى فروينه .

(٥) وفى فروينه وفى نسخة أخرى : لو استودعتنا أمه .

الرابع : يستحب له إذا خرج من منزله أن يقول :

« بسم الله توكلت على الله ، لاحول ولاقوة إلا بالله » . فإن ذلك كان[1] مؤيسا للشيطان منه.

الخامس : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وليجعل ذلك شكرا لنعمة : القوة والتقوى ، اللذين وهبهما (المولى له[2]) ، وليذكر قوله تعالى:

(الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة ، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور [3]) .

فمن أمكنه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، بحيث لايصل إليه أذى فى نفسه أو عرضه أو أماله فهو ممن مكن فى الأرض . والوجوب متعلق به ، وإن كان لايصل إلى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر إلا بالأذى قبل ذلك أو يغلب على ظنه وقوع ذلك بعده سقط عنه الوجوب، والإنكار حينئذ جائز.

السادس : أن يكون مشيه بالسكينة و الوقار لقوله تعالى :

---

(١) كان :لم توجد فى فروينه.
(٢) مابين القوسين لم يوجد فى فروينه .
(٣) الآية : ٤١ من سورة الحج .

« وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هـونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما [١] » .

وليس ذلك خاصا بالمشى بل المطلوب منك أن تكون أفعالك كلها تقارنها السكينة ، ويلازمها التثبيت [٢] .

السابع : أن يذكر الله تعالى فى سوقه ، فإنه قد جاء عنه عليه [٣] الصلاة والسلام :

« ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل بين الغازين ، ذاكر الله فى السوق كالحى بين الموتى » [٤]

---

(١) الآية : ٦٣ من سورة الفرقان.
(٢) وفى فزرينه : التثبيث .
(٣) وفى فروينه : فإنه قـد جاء عن رسول الله صلى الله صلى الله عليه وسلم .
(٤) وفيما أخرجه الإمام البخارى ومسلم ، عن أبى موسى رضى الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(مثل الذى يذكر الله والذى لايذكر الله ، مثل الحى والميت) .
وفى رواية أخرى : فيما أخرجه الحاكم فى المستدرك ، والبزار ، عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
(ذاكر الله فى الغافلين بمنزله الصابر فى الفارين)

وكان بعض السلف يركب بغلته ويأتى إلى السوق فيذكر الله ، يرجع لايخرجه إلا ذلك .

الثامن : أن لايشغله ماهو فيه من المبايعة والمعاش عن النهوض الصلاة فى أوقاتها جماعة. لأنه اذا[1] ضيعها إشتغالا بسببه، استوجب من ربه ، ورفع البركة من كسبه ، ويستحى [2] أن يراه الحق بحظوظ نفسه عن حقوق ربه .

وقد كان بعض السلف يكون فى صنعته ، فربما رفع المطرقة المؤذن فرماها من خلفه لئلا يكون ذلك شغلا بعد أن دعى إلى طاعة وليذكر إذا سمع المؤذن قوله تعالى :

« ياقومنا أجيبوا داعى الله [3] »

وقوله تعالى :

« ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول ، إذا دعاكم يحييكم [4] »

---

(١) وفى فروينه : إن
(٢) وفى نسخة : وليستحى .
(٣) الآية : ٣١ من سورة الأحقاف
(٤) الآية : ٢٤ من سورة الأنفال .

وقوله تعالى :

« استجيبوا لربكم [١] »

وقالت عائشة رضى الله عنها :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يكون فى بيته يخصف النعل ويعين الخادم ، فإذا نودى للصلاة قام كأنه لايعرفنا [٢]

التاسع : ترك الحلف والاطراء لسلعته ، وقد جاء [٣] فى ذلك الوعيد الشديد وقد قال عليه الصلاة والسلام :

---

(١) الآية : ٤٧ من سورة الشورى

(٢) وفيما أخرجه الإمام أحمد من حديث عائشة رضى الله عنها : كان صلى الله عليه وسلم ، يخصف نعله ويرقع ثوبه ، ويعمل فى بيته كما يعمل أحدكم فى بيته) . ورجاله رجال الصحيح . ورواه أبو الشيخ بلفظ: ويرقع الثوب . وللبخارى من حديث عائشة : كان يكون فى مهنة أهله

وفى رواية أخرى : أخرج أحمد فى مسنده عن عائشة رضى الله عنها ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم :

كان يخيط ثوبه ، ويخصف نعله ، ويعمل ما يعمل الرجال فى بيوتهم

(٣) وفى فروينه : فقد جاء ،

« التجار هم الفجار إلا من بر وصدق (١) » .

العاشر : كف لسانه عن الغيبة والنميمة(٢) ، وليذكر قوله تعالى : « ولا يغتب بعضكم بعضا ، أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه (٣) » .

وليعلم أن السامع للغيبة أحد المغتابين [فإن اغتيب أحد بحضرته فلينكر عليه (٤)] فإن لم يسمع منه فليقم ولا يمنعه الحياء من الخلق من القيام بحق الملك الحق ، فالله أولى أن يستحى منه (وأن يرضى الله ورسوله

---

(١) ولذلك أثنى الرسول صلى الله عليه وسلم ، على التاجر الصدوق فقال فيما أخرجه ابن ماجه والحاكم عن ابن عمر رضى الله عنهما : التاجر الأمين الصدوق المسلم ، مع الشهداء يوم القيامة » . وبقوله صلى الله عليه وسلم فيما أخرجه الترمذى والحاكم عن أبى سعيد رضى الله عنه : « التاجر الصدوق الأمين ، مع النبيين ، والصديقين والشهداء » .

(٢) وفى فروينه : لم توجد كلمة : النميمة .

(٣) الآية : ١٢ من سورة الحجرات .

(٤) مابين القوسين نصه فى فروينه [فإن اغتيب بحضرته فلينكر]

(٥) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

أحق من أن يرضى الناس [١]) « والله ورسوله أحق أن يرضوه [٢] » .

وقد جاء عنه عليه الصلاة والسلام :

« إن الغيبة أشد من ستة وثلاثين زنية فى الإسلام [٣] » .

وقال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

« أربعة آداب إذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبأن به ، وإن كان أعلم البرية .

مجانبة الظلمة — وإيثار أهل الآخرة — ومواساة ذوى الفاقه — وملازمة الخمس الصلوات [٤] فى الجماعة » .

وصدق رضى الله عنه :

فإن بمجانبة الظلمة تقع السلامة فى الدين ، لأن صحبة الظلمة تكشف نور الإيمان ، (ومجانبتهم أيضاً ، تكون سبباً للنجاة [٥]) من عقوبة الله تعالى ، لقوله تعالى :

---

(١) وهذا اقتباس من قول الله تعالى فى سورة التوبة :(والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين) آية : ٦٢ .

(٢) لم نوفق لما يفيد صحة هذا الحديث رغم ما بذلناه من جهد فى البحث عن تخريجه .

(٣) وفى فروينة : وملازمة الخمس فى الجماعة .

(٤) ما بين القوسين نصه فى فروينة [وبمجانبتهم تكون النجاة] .

« ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار[1] » .

وقوله « وإيثار أهل الآخرة » أن يكون الفقير[2] ، والمتسبب الغالب عليه التردد إلى أولياء الله ، والاقتباس منهم ، ليتقوى بذلك على كدرة الأسباب فتنفتح عليه نفحاتهم ، وتظهر عليه بركاتهم ، وربما وصلت إليه فى سببه أمدادهم ، وحفظه من المعصية ودّهم واعتقادهم .

وقوله رضى الله عنه : « ومواساة ذوى الفاقة » وذلك لأنه يجب على العبد أن يشكر نعمة الله عنده ، فإذا[3] فتح لك فى الأسباب فاذكر من أغلقت عليه أبوابها .

واعلم أن الله سبحانه وتعالى ، اختبر الأغنياء بوجدان أهل الفاقه كما اختبر أهل الفاقة بوجدان الأغنياء :

« وجعلنا بعضكم لبعض فتنة ، أتصبرون وكان ربك بصيرا.[4]

ووجود أهل الفاقة من نعمة الله على ذوى الغنى إذ وجدوا من

---

(١) الآية : ١١٣ من سورة هود .
(٢) وفى فروينه : لم توجد الواو .
(٣) وفى نسخة : وإذا .
(٤) الآية : ٢٠ من سورة الفرقان .

يحمل عنهم أزوادهم إلى الدار الآخرة ، (وإذ وجدوا من إذا أخذ منهم ، أخذ الله منهم[1]) « والله هو الغنى الحميد[2] » .

فلو لم يخلق الفقير[3] فكيف كان تقبل منهم صدقاتهم ؟ وأين كانوا يجدون من يأخذها منهم ؟ .

ولذلك قال عليه الصلاة والسلام :

« من تصدق بصدقة من كسب طيب ولا يقبل الله تعالى إلا طيباً ، كان كأنما يضعها فى كف الرحمن يربيها له ، كما يربى أحدكم فلوه أو فصيله حتى إن اللقمة لتعود مثل جبل أحد[4] » .

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينة [وإذا وجدوا من إذا أخذ مثل أخذ الله منك] .

(٢) الآية : ١٥ من سورة فاطر .

(٣) وفى فروينه : الفقراء .

(٤) وفى رواية أخرى ، فيما أخرجه البخارى ، ومسلم ، والنسائى ، وابن ماجه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ، ولا يقبل الله إلا الطيب ، فإن الله يقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبها كما يربى أحدكم فلوه حتى تكون مثل الجبل » . =

ولذلك كان من أشراط الساعة : أن لا يجد الرجل من يقبل صدقته.

وقوله رضى الله عنه : « وملازمته الخمس فى جماعة » .

وذلك : أن الفقير المتسبب لما فاته التخلى والتجرد لعبادة الله تعالى ، فيدخل [1] مدخل الخصوص بدوام الخدمة ، وملازمة الموافقة .

فينبغى أن لا تفوته ملازمة [2] الخمس فى الجماعة ، ليكون [3]

= وفى رواية أخرى للطبرانى فى المعجم الصغير عن عباد بن منصور عن القاسم بن محمد ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله يقبل الصدقات ولا يقبل منها إلا طيبا ، ويقبلها بيمينه ، ثم يربيها لصاحبها كما يربى الرجل مهره وفصيله ، حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد » .

وفيما أخرجه الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إن الله تعالى يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه فيربيها لأحدكم كما يربى أحدكم مهره حتى إن اللقمة لتصير مثل أحد » اهـ .

(١) وفى فروينه : فتدخل .

(٢) وفى نسخة فروينه لم توجد كلمة : ملازمة .

(٣) وفى فروينه : لتكون .

ملازمته لها سبباً لتجديد الأنوار ، وموجبا لوجود الاستبصار ، وقد قال عليه الصلاة والسلام :

« تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة[1] »

---

(١) هذا الحديث أخرجه البخارى وأحمد فى مسنده ، وابن ماجه، عن أبى سعيد رضى الله عنه ، ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بخمس وعشرين درجة) . اهـ

وأخرجه مسلم فى صححه : عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(صلاة الجماعة تعدل خمسا وعشرين من صلاة الفذ) اهـ

وأفضلية صلاة الرجل فى جماعة يشرحها الحديث التالى :

أخرج أحمد فى مسنده ، والبخارى ومسلم فى صحيحيهما، وأبو داود والترمذى ، وابن ماجه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

(صلاة الرجل فى جماعة تُضَعَّفُ على صلاته فى بيته وفى سوقه خمسا وعشرين ضعفاً ، وذلك أنه إذا توضأ فأحسن الوضوء ، ثم خرج إلى المسجد لايخرجه إلا الصلاة ، لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد، فإذا دخل المسجد كان فى صلاة =

وفى الحديث الآخر : « بسبع وعشرين جزء[٢] »

ولو شرع للعباد أن يصلى كل إنسان[٣] فى حانوته ، وداره ، لتعطلت المساجد التى قال فيها الحق سبحانه وتعالى :

« فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو

= كانت الصلاة تحبسه ،وتصلى الملائكة عليه ، مادام فى مجلسه الذى يصلى فيه ؛ يقولون اللهم اغفر له ؛ اللهم ارحمه ؛ اللهم تب عليه، مالم يؤذ فيه ، أو يحدث فيه) ويؤكد هذه الأفضلية المتضاعفة ،مارواه أبوداود وعبد بن حميد ، وأبو يعلى فى مسنده ، وابن حبان فى الصحيح ، عن أبى سعيد رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

(صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته وحده خمسا وعشرين درجة فإذا صلاها بأرض فى ، فأتم وضوءها ، وركوعها ، وسجودها ، بلغت خمسين صلاة »

(٢) وأما رواية حديث: بسبع وعشرين جزء ، فقد روى مالك فيما أخرجه أحمد فى مسنده ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، وابن ماجه عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة » اﻫ

(٣) وفى قروينه أن يصلى كل منهم .

والآصال ، رجال لاتلهيهم تجارة ، ولا بيع عن ذكر الله [١] »

ولأن فى ملازمة الصلاة جماعة[٢]) اجتماع القلوب ، وتناصرها ، والتئامها ورؤية المؤمنين واجتماعهم .

وقد قال صلى الله عليه وسلم:

يد الله مع الجماعة [٣] »

ولأن الجماعة إذا اجتمعت انبسطت بركات قلوبهم على من حضرهم وامتدت أنوارهم لمن شهدهم ، وكان اجتماعهم وتضامهم كالجيش إذا اجتمع وتضام كان ذلك سببا فى وجود نصرته،وهو أحد التأولين فى قوله تعالى « إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص[٤]

---

(١) الآية:٣٦ ، ٣٧ من سورة النور

(٢) ما بين القوسين نصه فى فروينه [ولأن ملازمته الصلاة فى جماعة] وكذلك فى نسخه (ا)

(٣) حديث صحيح أخرجه الترمذى عن ابن عمر رضى الله عنهما ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الله تعالى لا يجمع أمتى على ضلالة ، ويد الله على الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار » اه

(٤) الآية : ٤ من سورة الصف .

«من غض بصره فتح الله بصيرته» *

استحقاق:

عليك أيها المؤمن بغض طرفك من حين خروجك إلى سبيلك[1] إلى حين ترجع ، وانتذكر قول الله تعالى:

« قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم[2] وليعلم أن بصره نعمة من الله عليه فلا يكن لنعم الله كفورا(وأمانة من الله عنده ، فلا يكن لها خائنا)[3] وليذكر قوله تعالى:

« يعلم خائنة الأعين وماتخفى الصدور[4] »

وقوله تعالى:

« ألم يعلم بأن الله يرى[5] »

---

* العنوان من عمل المحقق

(١) وفى نسخة (ا) إلى سبيك وكذلك فى فروينه .

(٢) الآية : ٣٠ من سورة النور

(٣) مابين القوسين نصه فى فروينه [وأمانة الله له فلا يكن خائنا) وكذلك فى نسخة (ا)

(٤) الآية:١٩ من سورة غافر .

(٥) الآية : ١٤ من سورة العلق .

وإذا أردت أن ترى فاعلم أنه يرى ، وليعلم أنه إذا غض بصره فتح الله بصيرته جزاء وفاقا ، فمن ضيق على نفسه فى دائرة الشهادة ، وسع الله عليه فى دائرة الغيب .

وقال بعضهم :

« ماغض أحد بصره عن محارم الله إلا أوجده نورا(١) فى قلبه يجد حلاوة ذلك (٢) »

(التدبير عند أولى البصائر) *

انعطاف :

اعلم أن التدبير مع الله عز وجل عند أولى البصائر إنما هو مخاصمة للربوبية ، وذلك لأنه إذا (نزل بك أمر تريد رفعه ، أو رفع عنك أمر

---

* العنوان من عمل المحقق

(١) وفى فروينة : إلا أوجده الله نورا . . .

(٢) يؤيد ذلك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ عن ربه ـ فيما رواه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : إن النظر سهم من سهام إبليس مسموم ، من تركه مخافتى أبدلته إيمانا يجد حلاوته فى قلبه)

وفيما رواه الحاكم فى المستدرك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : النظرة سهم من سهام إبليس مسمومة ، فمن تركها من خوف الله =

تريد وضعه ، أو تهممت)[1] بأمر أنت عالم أنه متكفل بذلك ، وقائم به إليك ، كان ذلك منـازعة للربوبية ، وخروجا عن حقيقة العبودية ، واذكر هاهنا قوله سبحانه وتعالى:

« أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين [2] »

ففى هذه الآية توبيخ للإنسان لما غفل عن أصل نشأته ، وخاصم منشئه ، وغفل عن سر بدايته ، ونازع مبدأه ، وكيف يصلح لمن خلق من نقطة، أن ينازع الله فى أحكامه ، وأن يضادده[3] فى نقضه وإبرامه فاحذر رحمك الله التدبير مع الله

واعلم أن التدبير من أشد حجب القلوب عن مطالعة الغيوب ، وإنما التدبير للنفس ينبع من وجود الموادة لهـا ، (ولو غبت عنها فناء ،

= أثابه الله إيمانا يجد حلاوته فى قلبه». ويقول أبو الدرداء رضى الله عنه: « من غض بصره عن النظر الحرام : زوج من الحور العين حيث أحب ، ومن اطلع فوق بيوت الناس حشره الله يوم القيامة أعمى »

(١) ما بين القوسين جاء فى قروينة [أنزل بك أمرا تريد رفعه ، أو رفع عنك أمرا تريد وضعه أو هممت ...]

(٢) الآية : ٧٧ من سورة يس .

(٣) وفى قروينة : أو أن .

وكنت بالله بقاء[١]) لغيبك ذلك التدبير عن نفسك أو بنفسك، وما أقبح عبدا جاهلا بأفعال الله غافلا عن حسن نظر الله ؛ ألم تسمع قوله تعالى :

« قل كفى بالله ؟[٢] »

فأين الاكتفاء بالله لعبد مدبر مع الله؟[٣] ولو اكتفى بتدبير الله له لاقتطعه ذلك عن التدبير مع الله .

« طريان التدبير على المتوجهين والسالكين* »

تنبيه وإعلام :

اعلم أن التدبير أكثر طريانه على العباد المتوجهين ، وأهل السلوك من المريدين قبل الرسوخ فى اليقين ، ووجود القوة والتمكين ، وذلك لأن أهل الغفلة والإساءة قد أجابوا الشيطان فى الكبائر والمخالفات واتباع الشهوات، فليس للشيطان حاجة أن يدعوهم إلى التدبير ، ولو دعاهم إليه (لأجابوه بسرعة[٤]) فليس هو أقوى أسبابه فيهم ، إنما يدخل

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينة [ولو غبت عنها فنا ، وكنت بالله بقا]

(٢) الآية : ٤٣ من سورة الرعد .

* العنوان من عمل المحقق

(٣) وفى نسخة أخرى : فلو اكتفى .

(٤) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينة .

بذلك على أهل الطاعة والمتوجهين لعجزه عن أن يدخل من غير ذلك عليهم .

فرب صاحب ورد عطله عن ورده ، أو عن الحضور مع الله تعالى فيه هم التدبير والفكرة فى مصالح نفسه .

ورب ذى ورد استضعفه الشيطان فألقى إليه دسائس التدبير ليعكر عليه صفاء[1] وقته ، لأنه حاسدا ، والحاسد أشد ما يكون لك حسدا ، إذا صفت[2] لك الأوقات ، وحسنت منك الحلات[3] .

ثم إن وساوس التدبير ترد على كل أحد من حيث حاله :

فمن كان تدبيره فى تحصيل كفاية يومه أو غده فعلاجه أن يعلم أن الله تعالى قد تكفل له برزقه لقوله تعالى :

« وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها[4] » .

---

(١) وفى نسخة أخرى : صفا .

(٢) وفى نسخة (ا) إذا أصفت لك .

(٣) وفى نسخة (ا) الحالات .

(٤) الآية : ٦ من سورة هود

وسيأتى بسط القول فى أمر الرزق ، بعد هذا فى باب منفرد[١] إن شاء الله تعالى .

ومن كان تدبيره فى دفع ضرر العدو[٢] الذى[٣] لا طاقة له به ، فليعلم أن الذى يخافه ناصيته بيد الحق تعالى ، وأنه لا يصنع إلا ما صنعه الحق فيه ، وليذكر قوله تعالى :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه[٤] »

وقوله تعالى :

« أليس الله بكاف عبده ، ويخوفونك بالذين من دونه[٥] ؟ »

وقوله تعالى :

(الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل .

فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء ، واتبعوا رضوان

---

(١) وفى فروينة : مفرد

(٢) وفى فروينة : عدو

(٣) الذى غير موجودة فى نسخة (ا)

(٤) الآية : ٣ من سورة الطلاق

(٥) الآية : ٣٦ من سورة الزمر .

الله ، والله ذو فضل عظيم[١] » واصغ بسمع قلبك إلى قوله تعالى :

« فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولا تخافى ولا تحزنى[٢] » .

ولتعلم أن الحق تعالى أولى من استجير به فأجار ، لقوله تعالى :

«وهو يجير ولا يجار عليه[٣] » .

وأولى من استحفظ فحفظ لقوله تعالى :

« فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين[٤] » .

وإن كان التدبير من أجل ديون حلت لا وفاء[٥] لها ولا صبر لأربابها ، فاعلم أن الذى يسرى عليك[٦] بلطفه من أعطاك ، هو الذى ييسر بلطفه الوفاء عنك .

« هل جزاء الإحسان إلا الاحسان؟ »[٧].

---

(١) الآية : ١٧٣ ، ١٧٤ من سورة آل عمران .
(٢) الآية : ٧ من سورة القصص.
(٣) الآية : ٨٨ من سورة المؤمنون .
(٤) الآية : ٦١ من سورة يوسف .
(٥) وفى فروينة : لاوفا .
(٦) وفى نسخة أخرى : يسرلك .
(٧) الآية : ٦٠ من سورة الرحمن .

« وأف لعبد يسكن لما فى يده ، ولا يسكن لما فى يد الحق تعالى له
وإن كان التدبير من أجل عائلة تركتهم [وراء ظهرك لا شيء يقوم بهم
فاعلم أن الذى يقوم بهم[1]] بعد مماتك هو الذى يقوم بهم فى حضورك
وغيبتك فى حياتك ، واسمع[2] ما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام :
« اللهم أنت الصاحب فى السفر ، والخليفة فى الأهل[3] » .
فالذى ترجوه أمامك هو الذى يرجى لما وراءك ، واسمع قول
بعضهم :

إن الذى وجهت وجهى له　　هو الذى خلفت فى أهلى
لم يخف عنه حالهم ساعة　　وفضله أوسع من فضلى

وأن[4] الله أرحم بهم منك ، فلا تهتم بمن هو فى كفالة غيرك .
وإن كان تدبيرك واهتمامك من أجل مرض نزل بك تخاف أن
تتطاول ساعاته وتمتد أوقاته ، فاعلم أن للبلايا والأسقام أعماراً ، فكما

---

(١) ما بين القوسين غير موجود فى فروينة .
(٢) وفى فروينه : ولتسمع .
(٣) حديث صحيح رواه ابن عمر رضى الله عنهما . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
(٤) وفى نسخة أخرى : ولأن الله .
(٥) وفى فروينه : فلا تهتم لمن هو .

لايموت حيوان إلا عند انقضاء عمره ، كذلك لا تنقضى بلية حتى ينقضى ميقاتها . واذكر قوله تعالى :

« فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون[١] » .

وكان ولد لبعض المشايخ فتوفى[٢] أبوه وبقى الولد[٣] بعده ، فاستمسكت عليه أمداد الوقت ، وكان لأبيه أصحاب قد تفرقوا بالعراق، فتفكر[٤] . أى أصحاب أبيه يقصد ؟

ثم أجمع عزمه على أن يقصد أوجههم عند الناس ، فلما قدم عليه أكرمه وأجل محله ، ثم قال :

ياسيدى ، وابن سيدى ؟ ما الذى جاء بك ؟ قال :

توقفت على أسباب الدنيا : فأريد أن تتحدث لى عند أمير البلدة، لعل[٥] أن يجعلنى على جهة من جهاته فيكون فيها[٦] تمشية حالى ، فاطرق الشيخ مليا ، ثم رفع رأسه إليه ، وقال :

---

(١) الآية : ٣٤ من سورة الأعراف .

(٢) وفى نسخة : توفى .

(٣) كلمة ولد : غير موجوده فى فروينه .

(٤) وفى فروينه : ففكر

(٥) وفى نسخة : لعلى .

(٦) وفى فروينه : يكون بها . . . .

ليس فى قدرتى أن أجعل أول الليل سحراً ، أين أنا منك إذا وليت حكم العراقين [1] ؟

فخرج ولد ذلك [2] الشيخ من عنده [3] متغيظاً ، ولم يفهم ماقال له الرجل [4] الصالح .

فاتفق أن طلب الخليفة ، من يعلم ولده ، فدل عليه ، وقيل له : ولد [5] فلان فاحضر لتعليم ولد الخليفة . فمكث يعلم ولد الخليفة مدة التعليم ويجالسه [6] بعد ذلك حتى تكملت أربعين عاما فتوفى الخليفة واستخلف ولده الذى كان هذا معلماً له فولاه حكم العراقين .

وإن كانت الفكرة [7] لأجل زوجة أو أمة فقدتها ، كانت

---

(١) وفى نسخة (ا) العرافيين .

(٢) ذلك : غير موجودة فى فروينه .

(٣) من عنده : غير موجودة (ا) .

(٤) وفى فروينه . ماقاله الشيخ .

(٥) وفى نسخة : ولد الشيخ فلان .

(٦) وفى فروينه : وجالسه .

(٧) وفى نسخة (ا) الفكرة والتدبير .

توافقك فى أحوالك ، وتقوم بمهمات أشغالك ، فاعلم أن الذى يسرها لك لم ينفذ فضله[١] ، وإحسانه لم ينقطع ، وهو قد ير على أن يهبك من منته ما يزيد حسناً ومعرفة على ما فقدت،فلا تكن من الجاهلين .

[ووجوه التدبير لا تتعدد عاجلاتها ، فاستقصاء وجوهها وعاجلاتها[٢]] لا سبيل إليه لانتشارها ، وعدم انحصارها ، ومتى أعطاك الله الفهم[٣] ، عرفك كيف تصنع .

(تنبيه وإعلام)

اعلم أن التدبير إنما يكون من النفس لوجود الحجاب فيها ، ولو سلم القلب من مجاورتها ، وصين من محادثتها ، لم تطرقه طوارق التدبير.

وسمعت شيخنا أبا العباس المرسى رضى الله عنه يقول :

« إن الله سبحانه وتعالى ، لما خلق الأرض على الماء ، اضطربت

---

(١) وفى فروينه . فضله لم ينفذ وإحسانه لم ينقطع .

(٢) مابين القوسين نصه فى فروينه [ووجوه التدبير كما تتعدد بتعدد علاجاتها واستقصاء وجوهها وعلاجاتها] .

(٣) وفى فروينه : الفهم عنه .

فأرساها بالجبال فقال :

« والجبال أرساها »(٢)

« كذلك لما خلق النفس اضطربت فأرساها بجبال العقل » .

انتهى كلام الشيخ أبى العباس رضى الله عنه .

فأى عبد توفر عقله ، واتسع نوره تنزلت(٣) عليه السكينة من ربه، فسكنت(٤) فى نفسه عن الاضطراب ، ووثقت بولى الأسباب فكانت مطمئنة ؛ أى خامدة ساكنة لأحكام الله ، ثابته لأقداره ، ممدودة بتأييده وأنواره ، خارجة عن التدبير والمنازعة ، مسلمة(٥) لمولاها بأنه يراها :

« أو لم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد ؟(٦) »

فاستحقت أنه يقال لها :

« يا أيتها النفس المطمئنة ، ارجعى إلى ربك راضية مرضية، فادخلى

---

(٢) الآية : من سورة النازعات .

(٣) وفى فروينه : فنزلت .

(٤) وفى فروينه : فسكنت نفسه . وفى نسخة (ا) فسكت نفسه

(٥) وفى فروينه : اطمئنت .

(٦) الآية : ٥٣ من سورة فصلت .

فى عبادى وادخلى جنتى[1] » .

وفى هذه الآية خصائص عظيمة ، ومناقب لهذه النفس المطمئنة جسيمة منها :

أن النفوس ثلاثة : أمّارة — ولوّامة — ومطمئنة[2] .

فلم يواجه الحق سبحانه وتعالى ، واحدة من الأنفس الثلاث إلا المطمئنة ، فقال فى الأمارة :

---

(١) الآية : ٢٧ — ٣٠ من سورة الفجر .

(٢) ويشرح الإمام الغزالى هذه النفوس الثلاثة فى كتابه معارج القدس فيقول : « ... فإن اتجهت إلى صوب الصواب ، ونزلت عليها السكينات الإلهية ، وتواترت عليها نفحات فيض الجود الإلهى فتطمئن إلى ذكر الله عز وجل وتسكن إلى المعارف الإلهية وتطير إلى أعلى أفق الملكية فيقال : نفس مطمئنة . قال الله تعالى . « ياأيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية » . وإن كانت مع قواها وجنودها فى حراب وقتال وشجار ونزاع وكان الحرب بينهما سجالا ، فتارة لها اليد ، وتارة للقوى عليها فلا تكون حالها مستقيمة . فتارة تنزع إلى جانب العقول فتتلقى المعقولات ، وتثبت على الطاعات . وتارة تستولى عليها القوى فتهبط إلى حضيض منازل البهائم فهذه النفس نفس لوامة ومن =

« إن النفس لأمارة بالسوء[1] »

وفى اللوامة :

« ولا أقسم بالنفس اللوامة[2] »

وأقبل على هذه بالخطاب فقال :

« يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى »

الثانى : تكنيته إياها، والتكنية فى لغة العرب تجليل فى الخطاب، وفخر عند أولى الألباب :

الثالث : مدحه إياها بالطمأنينة ثناء منه عليها بالاستسلام إليه، والتوكل عليه .

= اتضع حتى صار فى حضيض البهائم فلو تصور كلب أو حمار منتصب القامة متكلم لكان هو إياه لانسلاخه عن الفضائل الإنسانية وعدم مشاركته للإنسان إلا بالصورة التخطيطية وهذه هى النفس الأمارة بالسوء» اهـ ص ١١ معارج القدس .

(١) الآية : ٥٣ من سورة يوسف .

(٢) الآية : ٢ من سورة القيامة .

(٣) وفى فروينه : عند ذوى ا.

الرابع : وصفه هذه النفس بالطمأنينة(١) ، والمطمئن هو المنخفض من الأرض ، فإذا انخفضت بتواضعها وانكسارها ، أثنى عليها مولاها إظهاراً لفخرها(٢) لقوله صلى الله عليه وسلم :

« من تواضع لله رفعه الله(٣) »

الخامس : قوله تعالى :

« ارجعى إلى ربك راضية مرضية »

فيه إشارة إلى أنه لا يؤذن للنفس الأمارة ، واللوامة(٤) بالرجوع إلى الله تعالى رجوع الكرامة ، بل(٥) إنما ذلك للنفس المطمئنة لأجل ما هى عليه من الطمأنينة قيل لها :

« ارجعى إلى ربك راضية مرضية » .

---

(١) وفى نسخة : المطمئنة .

(٢) وفى فروينه : لفخارها .

(٣) هذا الحديث رواه سفيان عن الأعمش ، عن ابراهيم عن عياش بن ربعية ، قال: سمعت عمر بن الخطاب يقول : « أيها الناس تواضعوا فإنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « من تواضع لله رفعه» انظر حلية الأولياء لأبى نعيم ج ٧ .

(٤) وفى فروينه : للنفس اللوامة والأمارة .

(٥) بل : غير موجودة فى فروينه .

فقد أبحنا لك الدخول إلى حضرتنا ، والخلود فى جنتنا ، فكان فى ذلك تحريض للعبد على مقام الطمأنينة ولا يصل إليه أحد إلا بالاستسلام إلى الله تعالى ، وعدم التدبير معه .

السادس قوله[1] : (ارجعى إلى ربك)

ولم يقل إلى الرب ، ولا إلى الله ، فيه إشارة إلى أن رجوعها إليه من حيث لطف ربوبيته ، لا إلى قهر إلاهيته ، فكان ذلك تأنيساً لها، وملاطفة وتكريما ومواددة :

السابع[2] :قوله تعالى : (راضية) .

أى عن الله فى الدنيا بأحكامه ، وفى الآخرة بجوده وإنعامه . فكان فى ذلك تنبيه للعبد أنه لايحصل له الرجوع إلى الله إلا مع الطمأنينة بالله ، والرضا عن الله ، وإلا فلا .

وفى ذلك إشارة إلى أنه لا يحصل أن يكون مرضياً عند الله فى الآخرة ، حتى يكون راضياً عنه فى الدنيا .

فإن قلت هذه الآية تقتضى أن يكون الرضا من الله نتيجة الرضا من العبد ؛ والآية الأخرى تدل على أن[2] الرضا من العبد نتيجة الرضا من

---

(١) وفى نسخة أخرى : فى قوله .

(٢) كلمة أن غير موجودة فى فروينه

الله عنه[١] ؟

فاعلم أن لكل[٢] آية ما أثبتت فلا خفاء[٣] فى الجمع بين الآيتين، وذلك أن قوله تعالى :

« رضى الله عنهم ورضوا عنه(٤) »

يدل من وجود ترتيبه على أن الرضا من العبد نتيجة الرضا من الله والحقيقة تقضى بذلك ، لأنه لو لم يرض عنهم أولا ، لم يرضوا عنه آخراً.

والآية الأخرى تدل : على أن من رضى عن الله فى الدنيا ، كان مرضيا عنه فى الآخرة ، وذلك بين لا إشكال فيه .

الثامن : قوله تعالى : « مرضية »

وذلك مدحة عظيمة لهذه النفس المطمئنة ، وهى أجل المدح والنعوت ، ألم تسمع قوله تعالى :

---

(١) عنه : غير موجودة فى فروينه .
(٢) وفى فروينه : كل .
(٣) وفى نسخة : ولا خفاء .
(٤) الآية : ١١٩ من سورة المائدة .
(٥) وفى نسخة (ا) تقتضى .

« ورضوان من الله أكبر(١) » . بعد أن وصف(٢) نعيم أهل الجنة؟

أى رضوان من(٣) الله عنهم فيها أكبر من النعيم الذى هم فيه .

التاسع : قوله تعالى : « فادخلى فى عبادى » .

فيه بشارة عظمى للنفس المطمئنة إذ نوديت ودعيت إلى أن تدخل فى عباده ، وأى(٤) عباد هؤلاء ؟ .

هم عباد التخصيص والنصر ، لا عباد الملك والقهر ، هم العباد الذين قال الله(٥) فيهم :

« إن عبادى ليس لك عليهم سلطان » .

وقال تعالى :

« إلا عبادك منهم المخلصين » .

لا العباد الآخرون الذين قال فيهم :

« إن كل من فى السموات والأرض إلا آتى الرحمن عبداً(٦) » .

---

(١) الآية : ٧٢ من سورة التوبة .

(٢) وفى فروينه : بعد وصفه .

(٣) من : غير موجودة فى فروينه .

(٤) وفى فروينه : وأن عباد هؤلاء .

(٥) وفى فروينه : لم يذكر لفظ الجلالة .

(٦) الآية : ٩٣ من سورة مريم .

فكان فرح النفس المطمئنة بقوله : « فادخلى فى عبادى » أشد من فرحها بقوله تعالى : (وادخلى جنتى) .

لأن الإضافة الأولى إليه تعالى ، و الإضافة الثانية إلى جنته .

العاشر : قوله تعالى : (وادخلى جنتى) .

فيه إشارة إلى أن هذه الأوصاف التى اتصفت بها النفس المطمئنة ، هى التى أهلتها [١] إلى أن تدعى أن [٢] تدخل فى عباده ، وإلى أن تدخل فى جنته ، جنة الطاعة فى الدنيا ، والجنة المعلومة فى [٣] الآخرة . والله أعلم .

(هدم قواعد التدبير)*

فائــــــدة :

قد تضمنت الآية (صفتين كل واحدة منهما تدل [٤]) على هدم التدبير ، وذلك أنه سبحانه وتعالى وصف هذه النفس التى خصصها بهذه

---

(١) وفى نسخة (ا) التى أهلها .
(٢) وفى نسخة (ا) إلى أن تدخل .
(٣) فى - لم توجد فى فروينه .
(٤) وفى فروينه : فى الدار الآخرة
(*) العنوان من عمل المحقق .
(٨) ما بين القوسين نصه فى فروينه [وصفين كل واحد يدل] .

الخصائص التى ذكرناها بأوصاف منها : الطمأنينة والرضا .

وهما لا يكونان إلا مع إسقاط التدبير ، إذ لا تكون النفس مطمئنة حتى تترك التدبير مع الله تعالى ثقة منها بحسن تدبيره لها ، لأنها إذا رضيت عن الله استسلمت له ، وانقادت لحكمه ، وأذعنت لأمره ، فاطمأنت لربوبيته ، وقرت بالاعتماد على إلاهيته ، فلا اضطراب إذ ما أعطاها من نور العقل ، يثبتها فلا حركة لها ، خامدة لأحكامه ، مفوضة له فى نقضه وإبرامه .

(سر خلق التدبير والإختيار) *

فائـــــدة .

اعلم أن سر خلق التدبير والإختيار ، ظهور قهر القهار .

وذلك أنه سبحانه[1] ، أراد أن يتعرف إلى العباد بقهره ، فخلق فيهم تدبيراً واختياراً ، ثم فسح لهم بالحجة[2] حتى أسكنهم ذلك ، إذ

(*) العنوان من عمل المحقق .

(١) وفى نسخة (ا) وذلك أن الله سبحانه .

(٢) وفى فروينه : بالحجبة ، وكذلك فى نسخة (ا) .

كانوا فى جود الواجهة والمعاينة ، لم يمكنهم التدبير والاختيار ، كما لا يمكن الملأ الأعلى ذلك .

فلما بر العباد ، واختاروا ، توجه بقهره إلى تدبيرهم واختيارهم (فزلزل أركانهم ، وهدم بنيانهم [١]) فلما تعرف العباد بقهر مراده[٢] علموا أنه القاهر فوق عباده .

فما [٣] خلق الإرادة فيك لتكون لك الإرادة ، ولكن لتدحض إرادته إرادتك ، فتعلم أنه[٤] ليس لك[٥] إرادة .

كذلك لم يجعل التدبير فيك ليكون لك دائماً فيك ، وإنما جعله فيك لتدبر[٦] ويدبر ، فيكون ما يدبر لا ما تدبر ، ولذلك قيل لبعضهم .

بماذا عرفت الله ؟ قال :

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينه [فزلزل أركانه ، وهدم بنيانه] .
(٤) وفى فروينة : بقهره ومراده .
(٥) وفى نسخة (ا) فلما .
(٦) وفى فروينه : أن ليس .
(٧) وفى نسخة (ا) ذلك .
(٨) وفى فروينه : وإنما جعله فيك ، يدبر لتدبير .

بنقض العزائم) .

(التدبير فى شأن الرزق) *

فصـــــل :

كنا قد وعدنا بأنا نفرد للتدبير فى شأن الرزق بابا ؛ وذلك : أن أكثر دخول التدبير على القلوب من جهته [١] .

فاعلم أن سلامة القلوب من التدبير فى شأن الرزق، منة عظمى لا يسلم منها إلا الموفقون [٢] ، الذين صدقوا الله فى حسن الثقة ، فاطمأنت قلوبهم إليه ، وتحققوا بالتوكل عليه ؛ حتى لقد قال بعض المشايخ :

(احكموا لى أمر الرزق ولا عليكم من سائر المقامات) .

وقال [٣] بعض المشايخ :

(أشد الهموم هموم الاقتضاء)

وتبيين ما قال هذا الشيخ : أن الله تعالى خلق هذا الآدمى محتاجا

(*) العنوان من عمل المحقق.

(١) وفى فروينه : على القلوب منه . وكذلك فى (ا) .

(٢) وفى فروينه : إلا الموقنون .

(٣) وفى فروينه : قال بدون واو .

إلى مدد يمسك بنيته ، ويمدّ قوته ، لما كانت الحرارة الغريزية [١] التي هي فيه تحلل أجزاء بدنه ، كان هذا الغذاء تطبخه المعدة ، فتأخذ خلاصته ، فتعود جزء بدنه[٢] خلفا لما حللته الحرارة الغريزية منه ، ولو شاء الحق تعالى لأغنى وجود الآدمي عن المدد الحسي ، وتناول الأغذية ، ولكن أراد [٣] سبحانه وتعالى أن يظهر حاجة الحيوان إلى وجود التغذية ، واضطراره إلى ذلك وغناه سبحانه وتعالى عما [٤] هو الحيوان محتاج إليه ، فلذلك قال سبحانه وتعالى .

(قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والأرض وهو يطعم ولا يطعم[٥]) .

فتمدح سبحانه وتعالى بوصفين :

أحدهما : أنه يطعم[٦] غيره لأن كل العباد آخذ من إحسانه ، وآكل من رزقه وامتنانه :

---

(١) الغريزة غير موجودة في فروينه .

(٢) وفي نسخة : جزءَ بدن .

(٣) وفي نسخة (ا) أراد الحق سبحانه .

(٤) وفي نسخة : عما الحيوان محتاج إليه .

(٥) الآية : ١٤ من سورة الأنعام.

(٦) وفي فروينه : أنه يطعم ، ولا يطعم غيره .

والآخر : أنه لايطعم لأنه المقدس عن الاحتياج إلى التغذية بل هو الصمد ، والصمد هو الذى لا يطعم .

وإنما خص الحق تعالى الحيوان بالإفتقار إلى التغذية دون غيره من الموجودات ، لأنه سبحانه وتعالى ، وهب الحيوان من صفاته مالو تركه من غير فاقة لادعى ، أو ادعى[1] فيه ، فأراد الحق سبحانه وتعالى — وهو الحكيم الخبير — أن يحوجه إلى مأكل ، ومشرب وملبس ، وغير ذلك ، ليكون تكرار الحاجة منه سبباً لجمود الدعوى عنه أوفيه .

فائدة :

اعلم أن[2] الحق تعالى أراد أن يجعل الحاجة لهذا النوع ، وهو الحيوان ، من الآدمى وغيره ، إما ليعرفه ، أو ليعرف به ، ألاترى أن الحاجة باب إلى الله ، وسبب يوصلك[3] إليه ، ألم تسمع قوله تعالى :

---

(١) وفى نسخة : لادعى ، وأدى فيه .

(٢) وفى قرونيه : ولوجه آخر ، وكذلك فى (١)

(٣) وفى نسخة توصلك إليه .

« يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله ، والله هو الغنى الحميد[1] »

فجعل الفقر إلى الله[2] ، سببا يؤدى إلى الوصول إليه ، والدوام بين يديه .

ولعلك تفهم هاهنا قوله صلى الله عليه وسلم :

« من عرف نفسه عرف ربه [3] »

أى من عرف نفسه [بحاجتها وافتقارها وذلتها وفاقتها ومسكنتها[4]] عرف ربه بعزه وسلطانه ، ووجوده وإحسانه إلى غير ذلك من أوصاف الكمال .

لاسيما هذا النوع من الآدمى ، فإن الحق سبحانه وتعالى ، كرر فيه أسباب الحاجة وعدد فيه أنواع الفاقة ، لأنه محتاج إلى صلاح معاشه ومعاده . ، وافهم[5] هاهنا قوله تعالى :

---

(١) الآية : ١٥ من سورة فاطر .

(٢) وفى فروينه : فجعل الفقر إليه .

(٣) وفى الأثر الوارد : رحم الله امرء عرف قدر نفسه ،

(٤) مابين القوسين نصه فى فروينه [بحاجتها وذلتها ومسكنتها] .

(٥) وفى فروينه : فافهم

« لقد خلقنا الإنسان فى كبد [١] »

أى من أمر دنياه وأخراه ، فلكرامته عند الله كرر أسباب الحاجة فيه ؛

ألم تر أن لأصناف [٢] الحيوان غنية بأصوافها وأوبارها وأشعار عن لباس دثارها؟ وغنية بمرابضها وأوكارها عن أن تتخذ بيتاً [٣] لقرار

بيان حكمة اختبار الله للإنسان ووجه احتياجه إليه تعالى

فائدة أخرى :

وهو أن الحق تعالى أراد أن يختبر هذا الآدمى فأحوجه لأمور ؛ لينظر أيدخل فى استجلابهـا بعقله وتدبيره ، أو يرجع إلى الله قسمته وتقديره .

فائدة أخرى :

---

(١) الآية : ٤ من سورة البلد .

(٢) وفى نسخة : أن أصناف .

(٣) وفى فرونيه : بمرابطها .

* العنوان من العمل المحقق

(٤) كلمة بيتا غير موجودة فى فرونيه .

وهو أن سبحانه وتعالى أراد أن[1] يتحبب إلى هذا العبد ، فلما أورد عليه أسباب الفاقة ورفعها عنه ، وجد العبد لذلك حلاوة فى نفسه ، وراحته فى قلبه ، فأوجب له ذلك تجديد الحب لربه ، قال[2] صلى الله عليه وسلم :

(أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه[3])

فكلما[4] تجددت النعم تجدد له من الحب بحسبها .

فائدة أخرى :

وهو أنه سبحانه وتعالى أراد أن يشكر ، فلذلك أورد الفاقة على العباد ،

---

(١) مابين القوسين نصه فى فروينه [وهو أنه أراد سبحانه وتعالى أن]

(٢) وفى فروينه : قال رسول الله . . . .

(٣) هذا الحديث أخرجه الترمذى فى صحيحه ، والحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه ، وأحبونى لحب الله ، وأحبوا أهل بيتى لحبى »

(٤) وفى فروينة : فلما .

وتولى رفعها ليقوموا له بوجود شكره ، وليعرفوه بإحسانه[١] وبره .

قال الله تعالى :

(كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور)[٢]

فائدة أخرى :

وذلك أنه تعالى أراد أن يفتح للعباد باب المناجاة ، فكلما[٣] احتاجوا إلى الأقوات والنعم ، توجهوا إليه ، برفع الهمم ، فشرفوا بمناجاته ومنحوا من هباته .

ولو لم تسقهم[٤] الفاقة إلى المناجاة ، لم يفقهها عقول العموم من العباد.

ولولا الحاجة لم يستفتح بابها إلا عقول[٥] أهل الوداد .

فصار ورود الفاقة سببا للمناجاة ، والمناجاة شرف عظيم ، ومنصبه من الكرامة جسيم .

---

(١) وفى نسخة : وليعرفوا إحسانه وبره .

(٢) الآية : ١٥ من سورة سبأ .

(٣) وفى فروينه : فلما .

(٤) وفى فروينه : ولو لم يسقهم.

(٥) وفى فروينه : إلا أهل الوداد .

ألا ترى أن الحق سبحانه وتعالى أخبر عن موسى عليه السلام بقوله سبحانه وتعالى :

(فسقى لهما ثم تولى إلى الظل ، فقال : رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير)[1]

قال علي رضي الله عنه[2] .

والله ما طلب إلا خبزا يأكله ، ولقد كانت خضرة البقل ترى من

---

(١) الآية : ٢٤ من سورة القصص .

(٢) هو الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، ابن عم الرسول صلى الله عليه وسلم ، ونسبه مشهور ؛ وهو الخليفة الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الذي يقول : الدنيا جيفة ، فمن أراد منها شيئا فليصبر على مخالطة الكلاب » . ومن كلامه رضي الله عنه : « لا يرجون العبد إلا ربه ، ولا يخافن إلا ذنبه » وكان يقول . « لا يستحي جاهل أن يسأل عالم يعلم ، ولا يستحي عالم إذا سئل عما لا يعلم أن يقول : الله أعلم » ومن كلامه رضي الله عنه :

إن أخوف ما أخاف عليكم اتباع الهوى وطول الأمل ، فأما اتباع الهوى فيضل عن الحق ، وأما طول الأجل فينسى الآخرة .

وهو أيضا الذي قال في حكمه . « إنما مثل الدنيا كمثل كراع خنزير ميت ، بال عليه كلب في يد أبرص » اهـ

شفيف صفاق بطنه ، لهزاله [١] » اهـ

فانظر رحمك الله : كيف سأل من ربه ذلك لعلمه أنه لا يملك شيئاً غيره ، وكذلك ينبغى للمؤمن أن يكون كذلك ، يسأل الله تعالى ما قل وجل ، حتى قال بعضهم :

« إنى لأسأل الله فى صلاتى حتى ملح عجينى »

ولا يصدنك أيها المؤمن عن طلب ما تحتاج إليه من الله قلة ذلك فإنه إن لم تسأله [٢] فى القليل ، لم تجد ربا يعطيك ذلك [٣] غيره . والمطلب وإن كان قليلا ، فقد صار لفتحه باب المناجاة جليلا ، حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

لا يكن همك [٤] فى دعائك ، الظفر بقضاء حاجتك ، فتكون محجوبا عن ربك ، وليكن همك مناجاة مولاك » .

وفى هذه الآية فوائد [٥] » :

---

(١) وفى فروينه : للهزلة .
(٢) وفى فروينه : إن لم تسأل الله . . .
(٣) وفرويه : لم تجد ربا لعطية لك . وفى . (ا) يعطيه لك غيره
(٤) وفى فروينه : لأن همك .
(٥) وفى نسخة : فوائد كثيرة .

الفائدة الأولى : وهو أن يكون المؤمن طالبا من ربه عز وجل ، وقد ذكرناه آنفا .

الفائدة الثانية : أنه صلى الله عليه وسلم ، نادى متعلقا باسم الربوبية لأنه المناسب فى هذا المكان ، لأن الرب من رباك بإحسانه ، وغذاك بامتنانه ، فكان فى ذلك استعطاف لسيده إذ ناداه باسم الربوبية ، التى ما قطع عنه عوائدها ، ولا حبس فوائدها .

الفائدة الثالثة: قوله « إنى لما أنزلت إلى من خير فقير » ولم يقل إنى إلى الخير فقير ، وفى ذلك من الفائدة : أنه لو قال :

إنى (إلى خيرك، أو إلى الخير فقير [1]) ، لم يتضمن أنه قد أنزل[2] رزقه ، ولم يهمل أمره .

فأتى بقوله : « إنى لما أنزلت إلى من خير فقير » ليدل على أنه واثق بالله ، عالم بالله لا ينساه ، فكأنه يقول :

رب إنى أعلم أنك لا تهمل أمرى ، ولا أمر شيء مما خلقت ، وإنك قد أنزلت رزقى ، فسق لى ما أنزلت لى ، كيف تشاء على ماتشاء

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينه [إلى الخير فقير]
(٢) وفى فروينه : أنزله وكذلك فى نسخة (ا) .

محفوفا بإحسانك ، مقرونا بامتنانك ، فكان فى ذلك فائدتان .

فائدة الطلب ، وفائدة الإعتراف بأن الحق سبحانه وتعالى ، قد أنزل رزقه ، ولكنه [1] أبهم وقته ، وسببه ، وواسطته ، ليقع اضطرار العبد ، ومع الاضطرار تكون الإجابة ، لقوله تعالى :

« أمن يجب المضطر إذا دعاه [2] »

ولو تعين السبب والوقت والوسائط ، لم يقع للعباد الاضطرار الذى وجوده عند ابهامها ؛ فسبحان الإله الحكيم ، والقادر العليم .

القائدة الرابعة[3] : تدل الآية على أن الطلب من الله تعالى ، لا يناقض مقام العبودية ، لأن موسى عليه السلام ، له الكمال فى مقام العبودية ، وبعد ذلك طلب من الله ، فدل على أن مقام العبودية لا يناقض الطلب .

فإن قلت[4] : إن كان مقام العبودية لا يناقض الطلب ، فكيف

---

(١) وفى فروينه : ولكن.
(٢) الآية : ٦٢ من سورة النمل
(٣) كلمة : الفائدة ، لم توجد فى فروينه .
(٤) وفى فروينه : فإن دل.

لم يطلب إبراهيم [١] خليل الله صلى الله عليه وسلم ، حين رمى به فى المنجنيق ، وتعرض له جبريل عليه السلام ، فقال [٢]:

ألك حاجة ؟ قال :

أما فيك فلا [٣] ، وأما إلى الله فبلى .

قال : سله .

قال : حسبى من سؤالى ، علمه بحالى » . أ هـ

فاكتفى بعلم الله تعالى به عن إظهار الطلب منه ؟

فالجواب : أن الأنبياء صلوات الله عليهم يعاملون فى [٤] كل موطن بما يفهمون عن الله ، أنه اللائق به .

ففهم ابراهيم عليه السلام ، أن المراد به فى ذلك الموطن ، عدم إظهار الطلب ، والاكتفاء بالعلم ، فكان بما فهمه عن ربه ، وكان هذا

---

(١) وفى فروينه : فكيف لم يطلب الخليل عليه السلام .

(٢) وفى نسخة (ا) فقال له .

(٣) وفى فروينه : قال عليه السلام : أما فيك فلا . وفى نسخة (ا) أما إليك فلا .

(٤) فى غير موجودة فى فروينه .

لأن الحق سبحانه أراد أن يظهر[١] سره ، وعنايته به للملأ الأعلى الذين لما قال لهم[٢] :

(إنى جاعل فى الأرض خليفة ، قالوا :

أتجعل فيها من يفسد فيها ، ويسفك الدماء ، ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك ؟ قال :

(إنى أعلم مالا تعلمون[٣])

فأراد الحق تعالى ، أن يظهر سر قوله (إنى أعلم مالا تعلمون) ، يوم زج بإبراهيم عليه السلام فى المنجنيق ، كأنه يقول :

يا من قال : أتجعل فيها من يفسد فيها ، فكيف رأيتم[٤] خليلى ؟

نظرتم إلى ما يكون فى الأرض من صنع أهل الفساد . كنمرود ، ومن ضاهاه من أهل الفساد[٥] ، وما نظرتم إلى ما يكون فيها من

---

(١) وفى نسخة : أن يظهر منصب سره .
(٢) وفى فروينه : لما قيل .
(٣) الآية : ٣٠ من سورة البقرة .
(٤) وفى فروينه - رأيتم ابراهيم خليلى .
(٥) وفى نسخة : من أهل العناد .

أهل الصلاح والرشاد ، كما كان من ابراهيم عليه السلام ، ومن تابعه من أهل الوداد ؟

وأما موسى صلوات الله عليه ، فإنه علم أن مراد الحق تعالى منه فى ذلك الوقت إظهار الفاقة ، وإبداء المسألة ، فقام بما يقتضيه وقته ، ولكل وجهة هو موليها .

فكل على بينة وهداية ، وتوفيق من الله ورعاية .

الفائدة الخامسة : أنظر إلى طلب موسى عليه السلام من ربه ، وجود الرزق ، ولم يواجهه بالطلب ، بل اعترف بين يدى الله بوصف الفقر والفاقة ، وشهد له سبحانه وتعالى بالغنى ، لأنه إذا عرف نفسه بالفقر والفاقة عرف ربه بالغنى والملاءة [٢]

وهذا من بسط المناجاة ، وهى كثيرة :

فتارة يجلسك على بساط الفاقة فتناديه : ياغنى .

وتارة على بساط الذلة فتناديه : ياعزيز .

وتارة على بساط العجز فتناديه : ياقوى .

---

(١) كلمة : أهل : لم توجد فى فروينه .

(٢) هنا سقط وأصله فى فروينه : من عرف نفسه عرف ربه .

وكذلك فى بقية الأسماء .

فاعترف موسى عليه السلام بالفقر والفاقة إلى الله تعالى ، فكان فى ذلك تعريض [٢] «الطلب» وإن لم يطلب .

وقد يكون التعريض [٣] للطلب بذكر [٤] أوصاف العبد من فقره (إلى الله تعالى [٥]) وحاجته .

وقد يكون التعريض [٦] بذكر أوصاف السيد من وجوده وأحديته [٧] ، كما جاء فى الحديث :

« أفضل دعائى ودعاء الأنبياء من قبلى لا إله إلا الله ، وحده

---

(١) فى : لم توجد فى فروينه .
(٢) وفى فروينه : تعريضا ، والأصح تعريض .
(٣) وفى فروينة : التعرض
(٤) وفى نسخة : لذكر .
(٥) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .
(٦) وفى فروينه : وقد يكون التعرض للطلب بذكر
(٧) وفى فروينه : من وجود وحدانيته ، وفى نسخة (ا) كما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

لا شريك له [١] »

فجعل الثناء على الله تعالى دعاء لأن فى الثناء على السيد الغنى بذكر أوصاف كماله تعريضا لفضله ونواله ، كما قال الشاعر : [٢]

كريم لا يغـــيره صباح عن الخلق الكريم ولا مساء
إذا أثنى عليه المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

وقال الله تعالى حاكيا عن يونس عليه السلام :

« فنادى فى الظلمات أن لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين [٣] »

---

(١) هذا الحديث رواه الترمذى بسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خير ما قلت أنا والنبيون من قبلى : لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » .. ومما يؤكد هذه الأفضلية ما رواه النسائى عن رجلين من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ما قال عبد قط : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، مخلصا بها روحه ، مصدقا بها قلبه ، ناطقا بها لسانه إلا فتق الله عز وجل له السماء فتقا حتى ينظر إلى قائلها من الأرض وحق لعبد نظر الله إليه أن يعطيه سؤله » ا هـ

(٢) وفى قرينه : كما قيل

(٣) الآية : ٨٧ من سورة الأنبياء .

ثم قال سبحانه وتعالى مخبرا عن نفسه :

«فاستجبنا له ونجيناه من الغم ، وكذلك ننجى المؤمنين [١] »

ويونس عليه السلام لم يطلب صريحا ولكن لما أثنى على ربه عزوجل واعترف بين يديه فقد أظهر الفاقة إليه ، فجعل الحق تعالى ذلك طلبا.

الفائدة السادسة : وكان من [٢] حقها أن تكون أولى [٣] أن موسى عليه السلام فعل المعروف مع ابنتى شعيب عليه السلام ، ولم يقصد منهما أجرا ، ولا طلب منهما جزاء ، بل لما سقى لهما أقبل على ربه ، فطلب منه [٤] ، ولم يطلب منهما ، وإنما طلب من مولاه الذى مهما طلب منه أعطاه ؛

والله وفى من يوفى من نفسه، ولا يستوفى لها ، ولنا فى هذا المعنى شعر:

لا تشتغل بالعتب يوما للورى   فيضيع وقتك والزمان قصير

وعلام تعتبهم وأنت مصدق   إن الأمور جرى بها المقدور

---

(١) الآية : ٨٨ من سورة الأنبياء .

(٢) من : لم توجد فى فروينه .

(٣) وفى نسخة (ا) أن يكون .

(٤) وفى فروينه : وطلب منه .

هم لم يوفوا اللإله بحقه ... أتريد توفية وأنت حقير؟
فاشهد[1] حقوقهم عليك وقم بها ... واستوف منك[2] لهم وأنت صبور
وإذا فعلت فاشهد[3] بمين من ... هو بالخفايا عالم وخبير

فموسى عليه السلام وفى من نفسه ولم يستوف لها ، فكان له عند الله الجزاء الأكمل ، وعجل له[4] سبحانه فى الدنيا زائدا على ما ادخره له فى الآخرة ، أن زوجه إحدى الإبنتين ، وجعله صهرا لنبيه عليه السلام ، وآنسه به حتى جاء أوان[5] رسالته ،

فلا تجعل معاملتك إلا مع الله تعالى ، أيها العبد ، تكن من الرابحين[6] ويكرمك بما أكرم به العباد المتقين .

الفائدة السابعه : أنظر إلى قوله سبحانه وتعالى : «فسقى لهما ثم تولى إلى الظل»

(١) وفى نسخة : واشهد .
(٢) وفى فروينه : واستوف لهم منك .
(٣) وفى فروينه : واشهد .
(٤) وفى فروينه : وعجل له الحق .
(٥) وفى فروينه : إبان .
(٦) وفى نسخة : من المربحين وكذلك فى نسخة (ا)
(٧) كلمة الفائدة : فى غير موجودة فروينه .

ففي ذلك دليل على أنه يجوز للمؤمن أن يؤثر الظـلال على الضواحي ، وبارد الماء على سخنه، وأسهل الطريقين على أشقهما وأوعرهما[1] ولا يخرجه ذلك عن مقام الزهد .

ألا ترى أن الحق سبحانه وتعالى ، أخبر عن موسى عليه السلام ، أنه تولى الى الظل ، أي قصده وجاء إليه .

فإن قلت قد جاء عن بعضهم : أنه دخل عليه فوجد قـد انبسطت الشمس على قلته التي يشرب منها ، فقيل له في ذلك ، فقال :

إني لما وضعتها[2] لم يكن شمس ، وإني لأستحي[3] أن أمشي بحظ[4] نفسي » اه

فاعلم رحمك الله : أن هذا حال عبد يتطلب[5] الصدق من نفسه ويمنعها مناها ليشغلها بذلك عن الغفلة عن مولاها ، ولو اكتمل[6] مقامه

---

(١) وفي فروينه : على أو عرهما ، أو أشقهما .
(٢) وفي نسخة : لم تكن شمس .
(٣) وفي نسخة : استحي .
(٤) وفي فروينه : لحظ نفسي .
(٥) وفي نسخة : يطلب .
(٦) كلمة لو : غير موجودة في فروينه .

لرفع الماء [١] عن الشمس قاصدا بذلك [٢] قيامه بحق نفسه التى أمر الله تعالى ، أن يقوم بها لا استجلابا لحظه ، ولكن ليقوم بحق ربه فى نفسه. وقد قال سبحانه وتعالى :

« يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر [٣] »

وقال تعالى : [٤]

« يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا [٥] »

ولذلك كان عند الفقهاء : إذا نذر المشى إلى مكة [٦] شرفها الله حافيا جاز له أن ينتعل ، ولا يلزمه الحفاء ، لأنه ليس للشرع فى متاعب العباد قصد خاص ، ولم تأت الشرائع بمنع الملاذ للعباد ، وكيف وهى مخلوقة من أجلهم ؟

قال الربيع بن زياد [٧] الحارثى لعلى رضى الله عنه :

---

(١) وفى فروينه : من الشمس .
(٢) وفى نسخة : لذلك .
(٣) الآية : ١٨٥ من سورة البقرة .
(٤) وفى نسخة (ا) وقد قال الله تعالى .
(٥) الآية : ٢٨ من سورة النساء .
(٦) وفى فروينة : مكة المشرفة شرفها الله .
(٧) واسمه العلاء بن زياد الحارثى ، وشهرته الربيع وهو صاحب سيدنا على . كان بالبصرة ودخل عليه سيدنا على يعوده ... القصة .
أنظر نهج البلاغة للإمام على .

أسعدنى [١] على أخى عاصم [٢].

قال مابالة ؟

قال: لبس العباء، يريد النسك .

فقال على [٣] رضى الله عنه : علىّ به .

فأتى مؤتزرا بعباءة مترديا بأخرى، شعث الرأس واللحية ، فعبس [٤] فى وجهه وقال :

ويحك : أما استحييت من أهلك ؟ أما رحمت ولدك ؟

أترى أن الله تعالى أباح لك الطيبات وهو يكره أن تنـــــالـمنها شيئا ؟ بل أنت أهون على الله ؟

أما سمعت من [٥] الله يقول فى كتابه :

« والأرض وضعها للأنام . . . إلى قوله يخرج منهمـــــا اللؤلؤ

---

(١) وفى نسخة . اعدنى

(٢) وهو عاصم بن ضمرة صاحب سيدنا على، كان ثقة فى الحديث ، يقول عنه ابن معين ، وابن المدينى هو ثقة . وقال عنه أحمد ــ كما ذكر ميزان الاعتدال ــ هو أعلى من الحارث الأعور وهو عندى حجة . وقال الجوزجانى : حكى عن الثورى قال : كنا نعرف فضل حديث عاصم على حديث الحارث الأعور) اه أنظر ميزان الاعتدال للذهبى حـ٢

(٣) على : هو الإمام على رضى الله عنه وكرم الله وجهه .

(٤) وفى فروينه : وعبس .

(٥) وفى نسخة أخرى : قول الله فى كتابه .

والمرجان[1] ؟ »

أفترى من[2] الله أباح هذا للعباد إلا ليبتذلوه ، ويحمدوا الله عليه (فيثيبهم ؟

وإن ابتذالك نعم الله بالفعل خير منه بالمقال)[3] ، قال عاصم :

« فما بالك فى خشونة مأكلك ، وخشونة ملبسك ؟ »

قال : ويحك إن الله فرض على أئمة الحق أن يقدروا أنفسهم بضعفة الناس » اهـ.

فقد تبين لك من على[4] رضى الله عنه ، أن الحق تعالى لم يطالب العبد[5] بعدم تناول الملذوذات ، وإنما طالبهم بالشكر عليها إذ تناولوها فقال تعالى :

« كلوا من رزق ربكم واشكروا له[6] »

---

(١) الآية : ١٠ - ٢٢ من سورة الرحمن :
(٢) وفى فروينه : أفترى الله أباح هذا لعباده .
(٣) مابين القوسين لم يوجد فى فروينة .
(٤) وفى فروينه : من قول على رضى الله عنه .
(٥) وفى نسخة : لم يطالب العباد .
(٦) الآية : ١٥ من سورة سبأ .

وقال :

«يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات مارزقناكم واشكروا لله[1]».

وقال :

« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا[2] »

ولم يقل : لا تأكلوا ، وإنما قال : كلوا واعملوا .

فإن قلت : الطيبات فى هاتين الآيتين : المراد بها الحلال ، إذ هو الطيب باعتبار نظر الشرع ؟

فاعلم أنه يمكن أن يكون المراد بالطيبات الحلال ، لأنه طيب باعتبار أنه لم يتعلق به إثم ولا مذمة ، ولا حجبة .

ويمكن أن يكون المراد بالطيبات،الملذوذات من المطاعم ، ويكون سر إباحتها ، والأمر بأكلها ليجد متناولها لذاذتها ، فتنشط همته للشكر فيقوم بوجود الخدمة ، ويرعى حق الحرمة .

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

قال لى شيخى : يابنى ، برد الماد ، فإن العبد إذا شرب الماء السخن

(١) الآية : ١٧٢ من سورة البقرة .

(٢) الآية : ٥١ من سورة المؤمنون .

قال الحمد لله بكزازة ، وإذا شرب الماء البارد، فقال الحمد لله ، استجاب كل عضو فيه بالحمد لله »

ثم قال :

وأما الذى دخل عليه فوجدته قد انبسطت الشمس على قلته ، فقيل له : ألا ترفعها ؟ فقال :

حين وضعتها لم تكن شمس ، وأنا [1] استحى أن أمشى لحظ نفسى ، فإنه صاحب حال لا يقتدى به »

(وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون *)

انعطاف :

قد مضى قولنا فى سر أحواج الحيوان ، وهذا الآدمى خصوصا إلى وجود تغذية ممدة [2] له فالآن نتحدث [3] فى تكفل الحق (تعالى بهذه التغذية وقيامه بإيصالها .

---

* العنوان من عمل المحقق .

(١) وفى فروينه : وإنى أستحى .

(٢) وفى نسخة : ممددة له .

(٣) وفى نسخة (ا) فلنتحدث .

فاعلم أن الحق تعالى)[1] كما أحوج الحيوان إلى مدد يمدد له ، وتغذية يكون بها حفظ وجوده ، وكان هذان الجنسان اللذان هما الإنس والجان ، خلقا ليأمرهما بعبادته ، ويطالبهما[2] بطاعته و موافقته ، فقال تعالى :

« وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون ، إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين[3] » .

فبين تعالى أنه إنما خلق هذين الجنسين لعبادته ، أى ليأمرهم بها ؛ كما تقول لعبدك[4] :

ما اشتريتك أيها العبد إلا[5] لتخدمنى ، أى لآمرك بالخدمة ، فتقوم بها .

وقد يكون العبد مخالفا متأبيا ، ولم يكن شراؤك إياه لذلك : وإنما كان ليقوم بمهماتك ولقضاء حاجاتك .

---

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .
(٢) وفى نسخة : وليطالبهما ، وكذلك فى نسخة (أ)
(٣) الآيه : ٥٦ — ٥٨ من سورة الذاريات .
(٤) وفى فروينه : لم يوجد لعبدك .
(٥) إلا . لم توجد فى فروينه

وأهل الاعتزال يحملون الآية على ظاهرها فيقولون(١) :

الحق خلقهم للطاعة ، والكفر والمعصية ، من قبل أنفسهم ، وقد أبطلنا هذا المذهب قبل .

وفى تبيين سر الخلق والايجاد ، إعلام للعباد ، وتنبه : لماذا خلقوا ؟ كى لا يجهوا مراد الله تعالى فيهم ، فيضلوا عن سبيل الهداية ، ويهملوا(٢) وجود الرعاية .

وقد جاء أن أربعة من الملائكة ، يتجاوبون كل يوم ، فيقول أحدهم :

ياليت هذا الخلق لم يخلقوا .

ويقول(٣) الآخر :

وياليتهم إذ(٤) خلقوا علموا لماذا خلقوا ؟

---

(١) وفى فروينه : يجعلون فى هذه الآية .
(٢) وفى نسخة : ويمهلوا .
(٣) وفى فروينه : فيقول .
(٤) وفى نسخة : إذ .

ويقول[1] الآخر:

« وياليتهم إذا علموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا »

ويقول الرابع :

« وياليتهم إذا لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا » اهـ .

فبين الحق تعالى : أنه ما خلق العباد لأنفسهم إنما خلقهم ليعبدوه ، ويوحدوه .

فإنك لا تشتري عبدا ليخدم نفسه ، إنما تشتريه ليكون[2] لك خادما

فهذه الآية : حجة على كل عبد اشتغل بحظ نفسه عن حق ربه ، وبهواه عن طاعة مولاه .

ولذلك سمع إبراهيم بن أدهم — رحمة الله عليه ، وهو كان سبب توبته لما خرج متصيدا — هاتفا يهتف به من قربوس[3] سرجه: يا إبراهيم: ألهذا خلقت ؟ أم بهذا أمرت ؟ .

ثم سمع الثانية : يا إبراهيم ! .

---

(١) وفي فروينه : فيقول .
(٢) كلمة لك — لم توجد في فروينه .
(٣) وفي نسخه (أ) قربوص .

ما لهذا خلقت ، ولا بهذا أمرت

فالفقيه من فهم سر الايجاد فعمل له ، وهذا هو الفقه الحقيقى الذى من أعطيه فقد أعطى المنة العظمى .

وفيه قال مالك[1] رحمه الله :

---

(١) هو الإمام مالك بن أنس رضى الله عنه يقول عنه إمامنا الشعرانى فى طبقاته الكبرى ، رضى الله عنه:

« كان رضى الله عنه رجلا طويلا عظيم الهامة ، أصلع أبيض الرأس واللحية ، شديد البياض ، وكان لباسه الثياب الجياد ، وكان إذا أراد أن يجلس لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اغتسل وتبخر وتطيب ومنع الناس أن يرفعوا أصواتهم ، وكان إذا دخل بيته يكون شغله المصحف وتلاوة القرآن ، وكانت السلاطين تهابه ؛ وكان يكره حلق الشارب ويعيبه ويراه أنه من المثلة ، أهـ ومن كلامه رضى الله عنه . إذا مدح الرجل نفسه ذهب بهاؤه ، . ومن كلامه ؛ حق على من طلب العلم أن يكون له وقار وسكينه وخشية ، ، ومن كلامه أيضا لا ينبغى للعالم أن لا يتكلم بالعلم عند من لا يطيقه ، فإنه ذل وإهانه للعلم » .

وكان يمشى فى أزقه المدينة حافياً ماشياً ويقول : أنا أستحى من الله تعالى أن أطأ تربة فيها قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بحافر دابة ،

« ليس الفقه بكثرة الرواية ، و إنما الفقه نور يضعه الله فى القلب» اه
وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول :

« الفقيه من انفقأ الحجاب عن عينى قلبه » اه .

فمن فقه عن سر الايجاد بأنه ما أوجده إلا لطاعته ، وما خلقه إلا لخدمته ، كان هذا الفقه منه سبباً لزهده فى الدنيا ، وإقباله على الأخرى، وإهماله لحظوظ نفسه ، واشتغاله بحقوق سيده ، مفكراً فى المعاد ، قائما بالاستعداد ، حتى قال بعضهم :

« لو قيل لى غدا تموت لم أجد مستزادا » .

وقال بعضهم ، وقد قالت له أمه ، يا بنى ، مالك لا تأكل الخبز؟:
فقال : « بين مضغ الخبز وأكل الفتيت قراءة خمسين آية » .

فهؤلاء قوم أذهل عقولهم عن هذه الدار ، ترقب هول المطلع ، وأهوال يوم القيامة ، وملاقات جبار السموات والأرض، فنبيهم ذلك

= ولد رضى الله عنه سنة ثلاث وتسعين من الهجرة ، وأخذ العلم عن تسعمائة شيخ منهم ثلثمائة من التابعين .

وتوفى سنة تسع وسبعين ومائة ، ودفن بالبقيع رضى الله تعالى عنه أنظر الطبقات الكبرى للشعرانى .

عن الاستيقاظ لمـــــلاذ هذه الدار ، والميل إلى مسراتها ، حتى قال بعض العارفين :

دخلت على بعض المشايخ بالمغرب فى داره ، فقمت لأمـلأ ماء للوضوء ، فقام الشيخ ليملأ عنى فأبيت فأبى إلا أن يملأ وأمسك طرف الحبـل بيده ، (وفى الدار عنده بجانب البئر شجرة[1]) زيتون قد خيمت على الدار ، فقلت[2] : ياسيدى ! لم لاتربط طرف هذا الحبل بهذه الشجرة ؟ فقال :

أو[3] ها هنا شجرة؟

إن لى فى هذه الدار ستين عاما ، ما أعرف[4] أن فى هذه الدار شجرة » اهـ .

فافتح رحمك الله سمعك لهذه الحـكاية وأمثالها تعلم أن لله عبادا أشغلهم به عن كل شىء ، ولم يشغلهم عنه شىء أذهل عقولهم عظمته ، وأدهش نفوسهم هيبته ، فاستقر فى أسرارهم وده ومحبته ،

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينة [وفى الدار عند البئر شجرة]

(٢) وفى فروينه : فقلت له .

(٣) وفى فروينه قال : وها هنا شجرة ؟

(٤) وفى فروينه : لم أعرف .

جعلنا الله منهم ، ولا أخرجنا عنهم .

ومثل هذه الحكاية :

كان رجل[١] بالصعيد من الأولياء بمسجد طلب منه أحد من يخدمه أن يأخذ جريدة من إحدى نخلتين كانتا فى المسجد ، فأذن له فقال . ياسيدى !

من أيهما آخذ ؟ من الصفرا ، أو من الحمراء ؟ فقال :

يا بنى : ان لى بهذا المسجد أربعين عاما ، لا أعرف الصفراء[٢] من الحمراء » اهـ .

ويحكى عن[٣] بعضهم أنه كان يعبر عليه أولاده فى داره فيقول : أولاد[٤] من هؤلاء ؟ أولاد من هؤلاء ؟ .

فيقال له : أولادك .

فكان لا يعرفهم ، حتى يعرف بهم ، لاشتغاله بالله تعالى .

وكان بعض المشايخ يقول فى أولاده إذا رآهم :

---

(١) وفى فروينه : كان بالصعيد رجل .
(٢) وفى نسخة (أ) من الصفراء الحمراء .
(٣) وفى فروينة : ويحكى أن بعضهم .
(٤) وفى نسخة (أ) لم توجد كلمة : أولاد .

هؤلاء الأيتام ، وإن كان أبوهم حيا .

والاسترسال عن (١) هذه اللامعه ، يخرجنا عن غرض الكتاب :

« ضمان الله للعباد* »

انعطاف: لما قال تعالى : « وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون (٢) »
علم سبحانه وتعالى ، أن لهم بشريات تطالبهم بمقتضاها تشوش عليهم
صدق التوجه إلى العبودية ، فضمن لهم الرزق ، كى يتفرغوا لخدمته
وكى لا يشتغلوا بطلبه عن عبادته ، فقال :

« ما أريد منهم من رزق »

أى ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم ، فقد كفيتهم ذلك بحسن
كفايتى ، وبوجود ضمانى ،

« وما أريد أن يطعمون (٣) »

لأنى أنا القوى الصمد ، الذى لا يطعم ، ولذلك عقبه بقوله تعالى:

---

(١) وفى قروينة : والاسترسال فى هذه . . . الخ

(*) العنوان من عمل المحقق .

(٢) الآية : ٥٦ من سورة الذاريات .

(٣) الآية : ٥٧ من سورة الذاريات .

« إن الله هو الرزاق والقوة المتين[1] »

أى : ما أريد منهم أن يرزقوا أنفسهم، لأنى أنا الرزاق[2] لهم «وما أريد أن يطعمون» لأنى أنا ذو القوة ، ومن له القوة فى ذاته غنى عن أن يطعم .

فتضمنت هذه الآية : الضمان للعبـــــاد بوجود أرزاقهم ، بقوله تعالى : « إن الله هو الرزاق » .

وألزم المؤمنين أن يوحدوه فى رزقه ، وأن لا يضيفوا[3] شيئا منه إلى خلقه ، وأن لا يضيفوا ذلك إلى أسبابهم ، وأن لا يسنــــدوه إلى اكتسابهم .

وقد قال الراوى :

أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فى إثر سماء كانت من الليل ، فقال :

أتدرون ماذا قال ربكم ؟

---

(١) الآية : ٥٨ من سورة الذاريات.

(٢) وفى نسخة (أ) الرازق .

(٣) وفى فروينه : ولا يضيقوا منه شيئا .

قلنا : لا يارسول الله .

قال : قال ربكم :

أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر بى .

فأما من قال :

مطرنا بفضل الله وبرحمته ، فذاك مؤمن بى كافر بالكوكب .

وأما من قال :

مطرنا بنوء كذا ، أو بنجم كذا ، فــــذاك كافر بى ، مؤمن بالكوكب[1] » اه .

---

(١) هـــذا الحديث حديث صحيح رواه الإمام مسلم فى صحيحه رضى الله عنه ولفظه : عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن زيد بن خالد الجهنى قال : صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، صـــلاة الصبح بالحديبية فى إثر السماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال : هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال ، قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر .

فأما من قال : مطرنا بفضل الله ورحمته ، فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب ، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك كافر بى =

ففي هذا الحديث فائدة عظمى للمؤمنين ، وبصيرة كبرى الموقنين ، وتعليم[1] الأدب مع رب العالمين .

ولعل هذا الحديث يكون أيها المؤمن ناهيا له[2] عن التعرض إلى عالم الكواكب واقتراناتها ، [وما نالك أن تدعى ، وجود تأثيراتها] [3]

واعلم أن الله تعالى فيك قضاء لابد أن ينفذه ، وحكما لابد أن

= مؤمن بالكوكب » . وقد علق الشيخ أبو عمرو بن الصلاح رحمه الله على هذا الحديث تعليقا نفسيا يقول فيه :

النوء فى اصله ليس هو نفس الكوكب ، فإنه مصدر ناء النجم ينوء نوءاً ، أى سقط وغاب . وقيل أى نهض وطلع وبيان ذلك أن ثمانية وعشرين نجما معروفة المطالع فى أزمنة السنة كلها وهى المعروفة بمنازل القمر الثمانية والعشرين يسقط فى كل ثلاثة عشرة ليلة منها نجم فى المغرب مع طلوع الفجر ، ويطلع آخر يقابله فى المشرق من ساعته ، وكان أهل الجاهلية إذا كان عند ذلك مطر ينسبونه إلى الساقط الغارب منهما » اهـ .

(١) وفى قرونه : والتعلم .

(٢) وفى نسخة (١) ناهيا لك وهو أصح .

(٣) ما بين القوسين لم يوجد فى نسخة (١) .

يظهره ، فما فائدة التجسس على علم[1] علام الغيوب ؟

وقد نهانا سبحانه أن نتجسس على عباده فقال : « ولا تجسسوا » فكيف لنا أن نتجسس على غيبه ؟

ولقد أحسن من قال[2] .

خبرا[3] اعنى المنجم أنى ... كافر بالذى قضته الكواكب
عالم أن يكون وما كا ... ن قضاء من المهيمن واجب

فائدة :

اعلم أن مجيء هذه الصيغة على بناء فعال يقتضى المبالغة فيما سيقت له فرزاق أبلغ من رازق ، لأن فعال فى باب المبالغة أبلغ من فاعل فيمكن أن تكون هذه المبالغة ، لتعداد أعيان المرزوقين، ويمكن أن تكون لتعداد الرزق[4] ، ويحتمل أن يكون المراد هما جميعا .

فائدة أخرى[5] ترجع إلى علم البيان :

(١) وفى فروينة : غيب .
(٢) وفى فروينه : ولقد أحسن من قال شعرا .
(٣) وفى فروينه : خبر : وفى (ا) خبروا .
(٤) وفى فروينه : لتعداد أعيان الرزق .
(٥) وفى فروينه : لم توجد كلمة أخرى .

اعلم أن الدلالة على المعنى المقصود به ، وجود الثناء [١] بالصفة أبلغ من الدلالة عليه بالفعل .

فقولك زيد محسن ، أبلغ من قولك زيد يحسن ، أو قد أحسن .

وذلك لأن الصفة تدل على الثبوت والاستقرار والأفعال أصل وضعها التجدد والانقراض ، فلذلك [٢] كان قوله تعالى :

« إن الله هو الرزاق » أبلغ من قوله : « إن الله هو يرزق » .

ولو قال : إن الله هو يرزق ، لم يفد إلا إثبات الرزق له ، ولم يفد حصر ذلك فيه ، فلما قال :

« إن الله هو الرزاق » . أفاد ذلك انحصار الرزق فيه . فكأنه لما قال : « إن الله هو الرزاق » فقد قال : لا رازق : إلا الله

(اقتران الخلق والرزق)*

الآية الثانية فى أمر الرزق قوله تعالى :

---

(١) وفى فروينه : على الصفة .
(٢) وفى نسخة (١) ولذلك قال سبحانه
(*) العنوان من عمل المحقق .

« الله الذى خلقكم ، ثم رزقكم ، ثم يميتكم ، ثم يحييكم[1] » .

[تضمنت هذه الآية الكريمة فائدتين[2]] :

الأولى : أن الخلق والرزق مقترنان ، أى كما سلمتم لله بأنه الخالق من غير دعوى منكم للخالقية معه ، فكذلك[3] سلموا له أنه الرزاق ، ولا تدعوا ذلك معه ، أى كما انفرد فيكم بالخلق والإيجاد ، كذلك هو المنفرد بالرزق والإمداد ، فقرنهما للاحتجاج على العباد ونهيا لهم أن يشهدوا رزقا من غيره ، وإحسانه من خلقه ، وأنه تعالى كما خلق من حيث لا وسائط ولا أسباب ، كذلك هو الرزاق من غير أن يتوقف رزقه على واسطة أو وجود سبب .

الفائدة الثانية :

أنه أفاد تعالى بقوله : « الله الذى خلقكم ثم رزقكم » أن الرزق قد أمضى شأنه ، وأبرم أمره ، وليس للقضاء فيه أمر يتجدد فى الأحيان ، ولا يتعاقب بتعقب الزمان ، وإنما يتجدد ظهوره لا ثبوته .

---

(١) الآية : ٤٠ من سورة الروم .

(٢) وفى فروينه ما بين القوسين نصه [فتضمنت الآية : أن الخلق والرزق] .

(٣) وفى فروينه : كذلك .

والرزق يطلق على قسمين .

على ماسبق فى الأزل قضاؤه ، وعلى ماظهر بعد وجود العبد إبداؤه.

والآية تحتمل الوجهين :

فإن كان المراد ماسبقت به الأقدار، فثم لترتيب الأخبار .

وإن كان المراد رزق الأظهار ، فهى تنبيه للاعتبار .

وسر الآية التى سيقت[1] من أجله ، إثبات الإلهية لله تعالى ، كأن[2] يقول :

يامن يعبد غير الله ، الله الذى خلقكم ، ثم رزقكم ، ثم يميتكم، ثم يحييكم ؟

فهل تجدون هذه الأوصاف لغيره ؟ أم يمكن أن تكون لأحد من خلقه ؟

فمن انفرد بها ينبغى أن يعترف بإلاهيته ، ويوحد فى ربوبيته ، ولذلك قال بعد ذلك :

---

(١) وفى فروينه : سبقت ، وكذلك فى (١)
(٢) وفى فروينه : كأنه ، وكذلك فى (١) .

« هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء ، سبحانه وتعالى عما يشركون »[1] .

« وجوب أمر الأهل بالصلاة * »

الآية الثالثة فى أمر الرزق قوله تعالى :

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى[2] » .

وفى هذه الآية فوائد :

الأولى يجب أن تعلم أن النبى صلى الله عليه وسلم ، وإن كان هو المخاطب بهذه الآية ، فحكمها ووعدها متعلق بأمته أيضاً.

فكل عبد مقول له : وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ، لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » .

وإذ قد فهمت هذا . فاعلم أن الله أمرك أيها العبد أن تأمر أهلك

---

(١) الآية : ٤٠ من سورة الروم .
* العنوان من عمل المحقق .
(٢) الآية : ١٣٢ من سورة طه

بالصلاة ، لأنه[1] كما يجب عليك أن تصل أرحامهم : بأسباب الدنيا ، والإيثار بها ، كذلك يجب عليك أن تصلهم بأن تهديهم إلى طاعة الله تعالى ، وتجنبهم وجود معصيته .

وكما كان أهلك أولى ببرك الدنيوى ، كذلك هم أولى ببرك الأخروى ولأنهم رعيتك ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« كلكم راع ، وكلكم مسئول عن رعيته[2] » .

وقال تعالى فى الآية الأخرى :

---

(١) وفى فروينه : لأنك ، وكذلك فى نسخة (١) .

(٢) هذا الحديث رواه البخارى ومسلم فى صحيحيهما ، وأحمد فى مسنده ، وأبو داود ، والترمذى ولفظه ، عن ابن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته ، فالإمام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع فى أهله وهو مسئول عن رعيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وهى مسئولة عن رعيتها ، والخادم راع فى مال سيده وهو مسئول عن رعيته ، والرجل راع فى مال أبيه وهو مسئول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته » . اهـ .

« وأنذر عشيرتك الأقربين[١] » .

كما قال ها هنا :

« وأمر أهلك بالصلاة » .

الفائـــــدة الثانية :

أنظر[٢] إلى أنه تعالى أمره عليه الصلاة والسـلام ، فى الآية ، أن يأمر أهله قبل أن يأمر هو نفسه بالاصطبار عليهـا ، ليعلمك أن الآية سيقت للأمر بأمر الأهل بالصلاة ، وأن غير هذا إنما جاء بطريق التبع ، وإن كان مقصودا فى نفسه ، لـكنه لما علم العبـد أنه مأمور فى نفسه بالصلاة علما[٣] لاشك فيه، فأراد الحق تعالى أن ينبه العباد على ما لعلهم أن يهملوه ، فأمر رسوله بذلك ليسمعوا بذلك[٤] فيتبعوا فيـكونوا لذلك مسارعين على القيام به مثابرين .

---

(١) الآية: ٢١٤من سورة الشعراء .

(٢) وفى نسخة (ا) وردت العبارة هكذا : أنظر إلى قوله سبحانه أمره فى الآية .

(٣) كلمة علما : لم توجد فى فروينه .

(٤) بذلك لم توجد فى فروينه .

تنبيه :

اعلم أنه يجب عليك أن تأمر أهلك بالصلاة ، من زوجة[١] أو أمة أو ابنة ، أو غير ذلك .

ولك أن تضربهم على تركها ، وليس لك عند الله[٢] من حجة أن تقول : أمرت فلم يسمعوا .

فلو علموا أنه شق[٣] عليك ترك الصلاة كما يشق عليك إذا أفسدوا طعاما ، أو تركوا[٤] شيئا من أمر مهماتك ما تركوا ، بل اعتادوا منك أن تطالبهم بحظوظ نفسك ، ولا تطالبهم بحقوق الله[٥] تعالى ، فلأجل ذلك أهملوها .

ومن كان محافظا على الصلاة وعنده أهل لا يصلون ، وهو غير آمر لهم بها ، حشر يوم القيامة في زمرة المضيعين للصلاة .

---

(١) وفي نسخة : (أ) وولد
(٢) وفي فروينه : من ساقطة .
(٣) وفي فروينه : يشق .
(٤) وفي فروينه : أو تركوا من مهماتك
(٥) وفي فروينه : سيدك .

فإن قلت : إنى أمرتهم فلم يفعلوا ، ونصحتهم فلم يقبلوا ، وعاقبتهم[1] على ذلك بالضرب فلم يكونوا[2] له فاعلين ، فكيف أصنع[3] ؟.

فالجواب :

أنه ينبغى لك مفارقة من يمكن مفارقته ، ببيع أو طلاق ، والإعراض عمن لا يمكن بينونته عنك بذلك ؛ وأن تهجرهم فى الله ، فإن الهجر فى الله يوجب الصلة به .

(تلازم الصبر والصلاة واقترانهما *)

الفائدة الثالثة : قوله تعالى : « واصطبر عليها »

فيه إشارة إلى أن فى الصلاة تكليفا للنفوس شاقا عليها ، لأنها تأتى فى أوقات ملاذ العباد ، وأشغالهم ، فتطالبهم بالخروج عن ذلك كله ، إلى القيام بين يدى الله تعالى والفراغ[4] عما سوى الله .

---

(١) وفى فرونية : عاقبت .
(٢) وفى فرونية : فلم يكونوا فاعلين لها .
(٣) وفى نسخة (ا) أضيع .
* العنوان من عمل المحقق .
(٤) وفى فروينه : مما .

ألا ترى أن صلاة الغداة تأتيهم فى وقت منامهم ، فى وقت ألذ ما يكون المنام فيه، فطلب الحق فيهم ترك حظوظهم لحقوقه ، ومراده لمراده ، ولذلك كان فى نداء الصبح خاصا به [1] :

« الصلاة خير من النوم » مرتين .

وأما صلاة الظهر : فإنها تأتيهم فى وقت قيلولتهم، ورجوعهم من تعب أسبابهم .

وأما صلاة العصر : فإنها تأتيهم وهم فى متاجرهم وصنائعهم منهمكون وعلى أسباب دنياهم مقبلون .

وأما صلاة المغرب : فإنها تأتى فى وقت تناولهم لأغذيتهم وما يقيمون به وجود بنيتهم .

وأما صلاة العشاء : فإنها تأتى وقد كثرت عليهم متاعب الأسباب التى كانوا فيها فى بياض نهارهم ؛ فلذلك قال سبحانه :

« واصطبر عليها [2] » .

وقال .

---

(١) وفى نسخة : خاصة

(٢) من آية ١٣٢ من سورة طه

« حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى[1] » .

وقد قال :

« إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا[2] »

وقد[3] قال :

« وأقيموا الصلاة[4] » .

قال الله تعالى :

« واستعينوا بالصبر والصلاة ، وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين[5] »

فجعل الصبر والصلاة مقترنين : إشارة إلى أنه محتاج[6] فى الصلاة إلى الصبر .

صبر على ملازمة أوقاتها ، وصبر على القيام بواجباتها[7] ومسنوناتها

---

(١) الآية : ٢٣٨ من سورة البقرة

(٢) الآية : ١٠٣ من سورة النساء .

(٣) وفى نسخة وقال .

(٤) من آية : ٤٣ من سورة البقرة .

(٥) الآية : ٤٥ من سورة البقرة .

(٦) وفى قروينه : يحتاج .

(٧) وفى قروينه : بمسنوناتها وواجباتها .

وصبر يمنع القلوب فيها من غفلاتها .

ولذلك قال الله تعالى بعد ذلك :

« وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين [١] »

فأفرد الصلاة بالذكر ولم يفرد الصبر به ، إذ[٢] لو كان كذلك لقال : وإنه لكبير ، فذلك يدل على ما قلناه .

أو لأن الصبر والصلاة مقترنان متلازمان ، فكان أحدهما هو عين الآخر ، كما قال فى الآية الأخرى :

(والله ورسوله أحق أن يرضوه[٣])

وقال تعالى :

(والذين يكنزون الذهب والفضة ، ولا ينفقونها فى سبيل الله[٤])

وقال تعالى :

---

(١) الآية : ٤٥ من البقرة .

(٢) إذ لم توجد فى فروينه .

(٣) الآيه : ٦٢ من التوبة .

(٤) الآية : ٣٤ من التوبة .

(وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها[1]) . فإنهم

(أسرار الصلاة وشوارق أنوارها*)

والصلاة شأنها عظيم ، وأمرها عند الله جسيم ، ولذلك قال تعالى:

(إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر[2]) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما سئل أى الأعمال أفضل؟ قال :

(الصلاة لوقتها[3])

---

(١) الآية : ١١ من الجمعة .

* العنوان من عمل المحقق .

(٢) الآية : ٤٥ من العنكبوت .

(٣) هذا الحديث رواه مسلم بسنده عن ابن مسعود رضى الله عنه ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أفضل الأعمال الصلاة لوقتها، وبر الوالدين . وفيما أخرجه أبو داود والترمذى والحاكم فى المستدرك عن أم فروة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:أفضل الأعمال الصلاة فى أول وقتها وفيما رواه البخارى ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود رضى الله عنه قال سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم أى الأعمال أحب إلى الله تعالى ؟ قال : الصلاة على وقتها ، ثم أى ؟ قال : بر الوالدين . قلت . ثم أى ؟ قال: الجهاد فى سبيل الله. قال : حدثنى بهن رسول الله صلى الله=

وقال صلى الله عليه وسلم .

« المصلى يناجى ربه[1] » .

= عليه وسلم ولو استزدته لزادنى اهـ . وفى رواية أخرى تفرد بها البخارى فى صحيحه أن أبا عمرو الشيبانى يقول : حدثنا صاحب هذه الدار ، وأشار إلى دار عبد الله قال : سألت النبى صلى الله عليه وسلم ! أى العمل أحب إلى الله ؟ قال : الصلاة على وقتها . قال : ثم أى ؟ قال : برالوالدين قال : ثم أى ؟ قال : الجهاد فى سبيل الله : قال . حدثنى بهن (ولو استزدته لزادنى) ا هـ انظر صحيح البخارى ج ١ ص ١٤٠ .

(١) ويشرح هذا الحديث ويؤكد صحته ، مارواه ابن الجوزى . فى شرح القلوب ، عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى صلى الله عليه وسلم قال : قال لى جبريل : إن الله تعالى يقرئك السلام ويقول : إذا وقف العبد بين يدى للصلاة،وقال الله أكبر أرفع الحجاب الذى بينى و بينه.

وإذا قال : الحمد لله يقول : لمن الحمد ؟ فيقول : لله ، فيقول : ومن الله ؟ فيقول : رب العالمين . فيقول : ومن رب العالمين ؟ فيقول :الرحمن الرحيم : فيقول : ومن الرحمن الرحيم ؟ فيقول : مالك يوم الدين :فيقول ياعبدى أنا مالك يوم الدين ، فيقول العبد : إياك نعبد ، وإياك نستعين فيقول . ياعبدى أنا إياى تعبد ، وإياى تستعين ، سل تعط .

فيقول ، إهدنا فيقول : أى الهدى تريد ؟ فيقول : الصراط المستقيم فيقول : أى الصراط تريد ؟ فيقول:صراط الذين أنعمت عليهم، فيقول =

وقال صلى الله عليه وسلم :

« أقرب ما يكون العبد من ربه فى السجود[1] »

ورأينا أن الصلاة اجتمع[2] فيها من العبادات ، مالم يجتمع فى غيرها ، منها :

= ياملائكتى اشهدوا أنى قد جعلت عبدى من الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء ، والصالحين .

فيقول العبد : غير المغضوب عليهم ولا الضالين ، فيقول الله تعالى : اشهدوا أنى جعلته من الذين أنعمت عليهم ، ولم أجعله من المغضوب عليهم ولا الضالين . فيقول العبد : آمين . فتقول الملائكة : آمين » ا هـ.

(١) هذا الحديث رواه الإمام مسلم وأبو داود والنسائى ولفظه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا فيه الدعاء » . ا هـ
وقريب منه ، ومناسب لمعناه ، مارواه ، أبو داود ، والترمذى ، والنسائى ، والحاكم فى المستدرك ، عن عمرو بن عبسة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« أقرب ما يكون الرب من العبد فى جوف الليل الآخر ، فإن استطعت أن تكون ممن يذكر الله فى تلك الساعة ، فكن » ا هـ

(٢) وفى نسخة فرونية : اجتمعت فيها من العبوديات .

الطهارة ، والصمت ، واستقبال القبلة ، واستفتاح[1] بالتكبير ، والقـــراءة ، والقيام ، والركوع ، والسجود ، والتسبيح فى الركوع والسجود ، والدعاء فى السجود ، إلى غير ذلك .

فهى مجموع عبارات عديدة ، لأن الذكر بمجرده عبادة ، والقراءة بمجردها عبادة ، وكذلك[2] التسبيح ، والدعاء[3] والركوع والسجود والقيام . فكل[4] واحد منها[5] بمجرده عبادة ، ولولا خشية الإطالة لبسطنا الكلام فى أسرارها وشوارق أنوارها .

وهذه اللمعة[6] هاهنا كافية ، والحمد لله .

« قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا * »

الفائدة الرابعة : قوله تعالى (لانسألك رزقا نحن نرزقك) أى لانسألك أن ترزق نفسك ، ولا أهلك .

(١) وفى نسخة فروينه : والاستفتاح بالتكبير . . . .

(٢) كذلك : لم توجد فى فروينه وكذلك فى (ا)

(٣) وفى فروينه : بعد الدعاء .

(٤) وفى فروينه : كل بمجرده .

(٥) وفى نسخة (ا) منها .

(٦) وفى فروينه : اللامعة .

* العنوان من عمل المحقق

وكيف نأمرك بذلك ، ونكلفك[1] أن ترزق نفسك ، وأنت لاتستطيع ذلك ؟

وكيف يحمد[2] بنا أن نأمرك بالخدمة ، ولا نقوم لك بالقسمة ؟

فكأنه سبحانه ، لما علم أن العباد ربما يشوش[3] عليهم طلب الرزق في دوام الطاعة ، ويحجبهم[4] ذلك عن التفرغ للموافقة ، فخاطب رسوله صلى الله عليه وسلم ، ليسمعوا فقال :

(.. وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليهــــا ، لا نسألك رزقا ، نحن نرزق) .

أى قم بخدمتنا ونحن نقوم لك بقسمتنا ، وهما شيآن :

شيء ضمنه الله لك فلا تتبعه[5] ، وشيء طلب منك فلا تهمله .

فمن اشتغل بما ضمن[6] له عما طلب منه ، فقد عظم جهله ،

---

(١) وفى نسخة (ا) وتكلفك إلى . . .

(٢) وفى فروينه : يجمل .

(٣) وفى نسخه : شوش .

(٤) وفى فروينه : وحجزهم .

(٥) وفى فروينه : فلاتتهمه وكذلك (ا)

(٦) وفى نسخة (ا) ضمنه .

واتسعت غفلته ، وقل مايتنبه لمن يوقظه ، بـــــل حقيق على العبد أن يشتغل بما طلب منه ، عما ضمن له .

إذا كان سبحانه قد رزق أهل الجحود ، فكيف لايرزق أهل الشهود ؟

وإذا[1] كان قد أجرى رزقه على أهل الكفران ، فكيف لايجرى رزقه على أهل الإيمان ؟

فقد علمت أيها العبد ، أن الدنيا مضمونة لك ، مضمون لك ، منها مايقوم بأودك والآخرة ، مطلوبة منك ، أى العمل لها بقوله[2] تعالى .

« وتزودوا فإن خير الزاد التقوى[3] »

فكيف يثبت لك عقل ، أو بصيرة ، واهتمامك فيما ضمن لك اقتطعك عن اهتمامك بما طلب منك ، حتى قال بعضهم :

« إن الله ضمن لنا الدنيا، وطلب منا الآخرة فليته ضمن لنا الآخرة ، وطلب منا الدنيا » اهـ

---

(١) وفى فروينه : إذا كان . .

(٢) وفى فروينه لقوله تعالى .

(٣) الآية : ١٩٧ من سورة البقرة .

[وأتى قوله تعالى : « نحن نرزق » على هذه الصيغة ، ليدل ذلك على الإستقرار والدوام [1]] لأن قولك[2] :

أنا أكرمك ، ليس كقولك أنا أكرمتك .

لأن قولك أنا أكرمك يدل على إكرام بعد إكرام .

وقولك أنا أكرمتك ، لا يدل إلا على أن[3] ثم إكراماً كان[4] وقوعه فيما مضى من غير أن يدل على التكرار والدوام .

فقوله تعالى : « نحن نرزقك » أى رزقاً بعد رزق ، لا نعطل عنك منتنا ، ولا نقطع عنك نعمتنا .

[5] ولما تفضلنا على العباد بالإيجاد ، فكذلك أيضاً قمنا لهم بدوام الإمداد . ثم قال تعالى :

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينه [وفى قوله سبحانه : نحن نرزقك واتيانه به على هذه الصيغة ليدل ذلك على الدوام والاستقرار]

(٢) وفى فروينه : فى قوله ، وفى (ا) لأن قوله .

(٣) وفى نسخه (ا) أن ثم .

(٤) وفى فروينه : كان يدل وقوعه من غير أن يدل على التكرار .

(٥) الواو لم توجد فى فروينه .

« والعاقبة للتقوى »

كأنه تعالى يقول : نحن نعـــــلم إذا تبتلت لخدمتنا ، وتوجهت لطاعتنا ، معرضا عن أسباب الدنيا ، تاركا الدخول فيها ، والاشتغال بها ، لا يكون رزقك فيها رزق المترفين ، ولا عيشك عيش المتوسعين ، ولكن اصطبر[١] على ذلك ، فإن العاقبة للتقوى ، كما قال تعالى فى أول الآية الأخرى :

«ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم ، زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى[٢] »

فإن قلت :

لماذا خص التقوى بالعاقبة ، وأهل التقوى لهم مع العاقبة العيشة الطيبة فى الدنيا ، لقوله تعالى :

«من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة[٣] »؟

فاعلم أنه تعالى يخاطب العباد على حسب عقولهم ، فكأنه يقول : أيها العباد إن نظرتم أن لأهل الغفلة والعدوان بداية ، فلأهل

(١) وفى فرويته : اصبر .
(٢) الآية : ١٣١ من سورة طه .
(٣) الآية : ٩٧ من سورة النحل .

التقوى[1] والإيمان نهاية ، والعاقبة للتقوى .

فخاطب العباد على حسب ماتصل إليه عقولهم ، وتدركه أفهامهم، كما جاء :

« الله أكبر » وإن كان غيره لم يشاركه فى الكبرياء .

لكن لما كانت النفوس قد تشهد كبرياء الآثار كما قال تعالى :

« لخلق السموات والأرض ، أكبر من خلق الناس[2] » .

فكأنه يقال لها :

إن كان ولابد وشهدت لشىء كبرياء ، فالله عز وجل أكبر منه ، وأكبر من كل كبير .

كما جاء : « الصلاة خير من النوم »

فلو قيل : ليس فى النوم خير ، قالت النفوس : قد أدركت لداذته وراحته ، فسلم لها ما أدركت ، ثم قيل لها :

مادعونك إليه ، خير مما هو خير عندك ، الصلاة خير من النوم .

---

(١) وفى قروينه : الايمان والتقوى .

(٢) الآية : ٥٧ من سورة غافر .

لأن ماملت إليه من المنام عرض يفنى ، وما دعوناك إليه معاملة يبقى جزاؤها مايفنى ، وماعند الله خير وأبقى .

٭ أهل المعرفة بالله كيف يتطلبون رزقه ٭

فائدة جليلة :

اعلم أن الآية علمت أهل الفهم عن الله ، كيف يتطلبون رزقه ، فإذا توقفت عليهم أسباب المعيشة أكثروا من الخدمة والموافقة ، لأن هذه الآية دلتهم على ذلك .

ألا ترى أنه قال تعالى :

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها لا نسألك رزقاً نحن نرزقك ؟ »

فجاء الوعد بالرزق بعد أمرين :

أحدهما : أمر الأهل بالصلاة ؛ والآخر : الاصطبار عليها .

ثم بعد ذلك قال : « نحن نرزقك[1] »

٭ العنوان من عمل المحقق .

(١) وفى نسخة (١) نحن نرزق والصواب نحن نرزقك

فهم أهل المعرفة بالله ، أنه[1] إذا توقفت عليهم[2] أسباب المعيشة ، قرعوا باب الرزق بمعاملة الرزاق ، لا كأهل الغفلة والعمى[3] ، إذا توقفت عليهم أسباب الدنيا ، ازدادوا كدحا عليها ، وتهافتا فيها ، بقلوب غافلة ، وعقول عن الله ذاهلة .

وكيف لا يكون أهل الفهم عن الله تعالى كذلك[4] ، وقد سمعوا الله تعالى يقول :

« وأتوا البيوت من أبوابها[5] ؟ »

فعلموا أن باب الرزق ، طاعة الرزاق ، فكيف يطلب منه رزقه[6] بمعصيته ؟

أم كيف يستمطر فضله بمخالفته ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : « إنه لا ينال ماعند الله بالسخط ؟ »

---

(١) كلمة أنه لم توجد فى نسخة (١)

(٢) عليهم لم توجد فى فروينه

(٣) وفى فروينه : لا كأهل الغفلة والعمى ، إذا توقفت .

(٤) وفى فروينة : ليس كذلك

(٥) الآية : ١٨٩ مع البقرة

(٦) رزقه لم توجد فى (١)

أي لا يطلب رزقه إلا بالموافقة له .

وقال سبحانه وتعالى مبينا لذلك :

« ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب[1] »

وقال تعالى :

وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا[2] »

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على أن التقوى مفتاح الرزقين :

رزق الدنيا ، ورزق الآخرة .

كما قال الله تعالى :

« ولو أن أهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ، ولأدخلناهم جنات النعيم ، ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل ، وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم[3] »

فبين[4] سبحانه وتعالى أنهم[5] لو أقاموا التوراة والإنجيل ،

---

(١) الآية : ٢ ، ٣ من الطلاق

(٢) الآية : ١٦ من الجن

(٣) المائدة آية : ٦٥ ، ٦٦

(٤) وفي فروينه : فبين لك

(٥) كلمة أنهم لم توجد في فروينه ، ولا في (١٠)

أى عملوا بما فيهما لأكلوا من فوقهم ، ومن تحت أرجلهم ، أى لوسعنا عليهم أرزاقهم[1] وأدمنا عليهم إنفاقنا ، لـكنهم لم يفعلوا ما نحب فلأجل ذلك لم نفعل بهم مايحبون .

(أمر الرزق *)

الآية الرابعة : فى أمر الرزق قوله تعالى :

« وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ، ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين[2] »

فهذه الآية صرحت بضمان الحق الرزق ، وقطعت ورود الهواجس والخواطر ، على قلوب المؤمنين ، فإن وردت على قلوبهم[3] كرت عليها جيوش الإيمان بالله ، والثقة به ، فهزمتها[4]

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق[5] »

---

* العنوان من عمل المحق

(١) وفى فروينه . أرزاقنا

(٢) الآية : ٦ من هود

(٣) وفى فروينه . فإن ورد على قلوبهم أسباب الذكر كرت . .

(٤) وفى (١) فهزمها .

(٥) الآية : ١٨ من الأنبياء .

فقوله تعالى :

« وما من دابة فى الأرض إلى على الله رزقها ،» . ضمان تكفل به لعباده تعريفا بوداده ، ولم يكن ذلك واجبا عليه ، بل أوجبه على نفسه إيجاب كرم وتفضل .

ثم إنه عمم الضمان فكأنه يقول :

أيها العبد ليست[١] كفالتى ورزقى خاصا بك ، بل كل دابة فى الأرض ، فأنا[٢] كافلها ورازقها ، وموصل إليها قوتها .

فاعلم بذلك سعة كفالتى وغنا ربوبيتى . وأن الأشياء لاتخرج عن إحاطتى وثق بى كفيلا ، واتخذنى وكيلا .

فإذا رأيت تدبيرى[٣] لأصناف الحيوانات ، ورعايتى لها[٤] ، وقيامى بحسن الكفالة بها[٥] ، وأنت أشرف هذا النوع ، فأنت أولى بأن تكون بكفالتى واثقا ، ولفضلى رامقا .

---

(١) وفى فرونيه . : أليست .

(٢) وفى نسخه فإنى

(٣) وفى فرونيه : ذكرى

(٤) وفى (١) ورعايتى لهم وكذلك فى فرونية .

(٥) وفى فرونيه .

ألا ترى كيف قال تعالى :

« ولقد كرمنا بنى آدم(١) » على (٢) سائر أجناس الحيوان ؟أى إذ دعوناهم إلى خدمتنا ووعدناهم دخـــول جنتنا ، وخطبناهم إلى حضرتنا .

(تفضيل الآدمى على غيره *)

ومما يوضح لك كرامة الآدمى على غيره من المكنونات (٣) ، أن المكنونات مخلوقات من أجله ، وهو مخلوق من أجـــل حضرة الله تعالى .

سمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله تعالى يقول :

« قال الله سبحانه : يا ابن آدم ؟ خلقت الأشياء كلها من أجلك ، وخلقتك من أجلى ، فلا تشتغل بما هو لك ، (٤) عما أنت له »

---

(١) الآية : ٧٠ من الاسراء .
(٢) وفى فرونيه أى : على سائر .
(٣) وفى فرونيه : من المكونات وفى (١) من المكنونات
(٤) وفى فرونيه : عمن .
* العنوان من عمل المحقق

وقال[١] سبحانه وتعالى :

« والأرض وضعها للأنام[٢] »

وقال تعالى :

« وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه[٣] » اهـ

وسمعت الشيخ رحمه الله يقول :

الأكوان كلها عبيد سخرها[٤] لك ، وأنت عبيد الحضرة »

وقال تعالى :

« الله الذى خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما[٥] »

فقد بين لك أن السموات والأرض مخلوقة من أجل أن تعلم[٦] أيها الآدمى »

---

(١) الواو لم توجد فى فروينه ولا فى (١)

(٢) الآية : من سورة الرحمن .

(٣) الآية ١٣ من سورة الجاثية

(٤) وفى وفرونيه : عبيد سخره وأنت عبد الحضرة .

(٥) الآية : ١٢ من سورة الطلاق .

(٦) وفى فروينه : [أن تعلم أيها] . لم توجد هذه العبارة .

فإذا علمت أن الأكوان مخلوقة من أجلك ، إما انتفاعا وإما اعتبارا وهو نفع أيضا .

فينبغى لك أن تعلم أن الله تعالى ، إذا رزق من هو مخلوق من أجلك ، كيف لا يكون لك رازقا ؟

ألم تسمع كيف[1] قال تعالى :

« وفاكهة وأبا ، متاعا لكم ولأنعامكم[2] » ؟

وقوله تعالى :

« ويعلم مستقرها ومستودعها[3] »

تأكيد لأنه المتكفل بها ؟ أى لا يخفى عليه مكانها ، ولا ينبهم عليه شأنها ، بل يعلم مكانها فيوصل إليها ماقسم لها .

(شأن الرزق)*

الآية الخامسة : فى شأن الرزق قوله تعالى :

---

(١) وفى فروينه : ألم تسمع قوله تعالى .
(٢) الآية : ٣١ ، ٣٢ من سورة عبس .
(٣) الآية : ٦ من سورة هود .
* العنوان من عمل المحقق

« وفى السماء رزقكم وما توعدون ، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون[١] » .

وهذه الآية هى التى غسلت الشكوك من قلوب المؤمنين ، وأشرقت فى قلوبهم أنوار اليقين ، فأوردت على قلوبهم الزوائد لما تضمنته من الفوائد ، وذلك أنها تضمنت ذكر الرزق ، ومحله ، والقسم عليه ، والتشبيه له بأمر لاخفاء به ، ولنتبع ذكر هذه الفوائد فائدة فائدة

الفائدة[٢] الأولى :

اعلم أنه تعالى لما علم كثرة اضطراب النفوس فى شأن الرزق كرر ذكره لما تكررت ورود عوارضه على القلوب ، كما تكرر الحجة إذا علمت أن الشبهة متمكنة[٣] فى نفس خصمك كما كرر تعالى الاستدلال على المعاد فى آيات عديدة لما اضطربت فيه الملحدون واستبعدوا أن يعود الإنسان بعد أن تمزقت أوصاله واضمحل بناؤه ، وصار ترابا أو

(١) الذاريات آية : ٢٢ ، ٢٣ .
(٢) وفى فروينه : لم توجد كلمة : الفائدة
(٣) وفى فروينه : مستمكنة .

أ كلته السباع والهوام فاحتج عليهم فى كتابه العزيز حججا كثيرة منها قوله تعالى .

« وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال : من يحيى العظام وهى رميم؟ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة[1] » .

وبقوله فى الآية الأخرى :

« وهو أهون عليه[2] » .

وبقوله تعالى :

« إن الذى أحياها لمحيى الموتى[3] » .

إلى غير ذلك .

وكذلك لما علم الحق شدة اضطراب النفوس فى أمر الرزق ، أكد الحجة فى ذلك فى آيات عديدة ، منها :

ما تقدم ذكره ، ومنها ما لم نذكره .

فلما علم الحق تعالى ذلك من نفوس العباد ، وقال تارة :

---

(١) الآية : ٣٩ من سورة فصلت .
(٢) الآية : ٢١ من سورة الملك
(٣) الآية : ٢٢ من سورة الذارت

« إن الله هو الرزاق » .

وقال أخرى :

« الله الذى خلقكم ثم رزقكم » .

وقال أخرى :

« نحن نرزقك » .

وقال أخرى :

« أمن هذا الذى يرزقكم إن أمسك رزقه[١]؟ » .

وقال هاهنا :

« وفى السماء رزقكم وماتوعدون[٢] » .

ليبين محل الرزق ، فتسكن إليه القلوب ، وليس الضمان مع إبهام المحل ، كالضمان مع تبيينه ، فكأنه تعالى يقول :

لم يكن يجب علينا أن نبين لكم محل رزقكم ، لكم عندنا رزق نوصله لكم إذا جاء إبانه ، وليس علينا بيانه ، ولكن بلطفه ورحمته

---

(١) الآية : ٧٨ ، ٧٩ من سورة يس .
(٢) من الآية : ٢٧ من سورة النمل .

وفضله ومنته ، بين محل الرزق ليكون ذلك أبلغ فى ثقة النفوس به ، وأقوى فى دفع الشك ، وفيه فائدة أخرى :

وهو أنه تضمن تبيين المحل رفع همم الخلق ، عن الخلق وأن لا يطلبوا[1] إلا من الملك الحق ، وذلك إذا وقع فى قلبك[2] طمع فى مخلوق ، أو حوالة على سبب قال لك تعالى :

« وفى السماء رزقكم وماتوعدون[3] » .

أى يا هذا المتطلع للرزق من المخلوق الضعيف العاجز فى الأرض ، ليس رزقك عنده وإنما رزقك عندى وأنا الملك القادر ، ولأجل[4] هذا أنه لما سمع بعض الأعراب هذه الآية ، نحر ناقته ، وخرج فارا إلى الله تعالى وهو يقول :

« « سبحان الله ، رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض[5] ؟ » .

---

(١) وفى فروينه : وأن لا يطلبوه .

(٢) وفى فروينه : بقلبك .

(٣) هذه الآية : لم توجد فى فرونية .

(٤) وفى نسخة : لأجل .

وهذه القصة يحكى نصها الإمام ابن كثير فيقول فيما رواه فى كتابه تفسير القرآن العظيم :

=

فانظر رحمك الله ، كيف فهم عن الله ، أن مراده بهذه الآية ، أن يدفع[1] همم عباده إليه ، وأن يكون رغبتهم فيما لديه ، كما قال فى الآية الأخرى :

« وإن من شىء إلا عندنا خزائنه ، وما ننزله إلا بقدر معلوم[2] » لتجأش[3] الهمم إلى بابه ، ولتجنح القلوب إلى جنابه ، فكن رحمك الله سماويا ، ولا تكن سفليا أرضيا . ولذلك[4] قال بعضهم :

إذا أعطشتك أكف اللئام كفتك القناعة شبعا وريا

فكن رجلا جسمه فى الثرى وهامت همته فى الثريا

= « قال سيفيان الثورى قرأ واصل الأحدب هذه الآيه (وفى السماء رزقكم وما توعدون) فقال ألا أرى رزقى فى السماء وأنا أطلبه فى الارض ؟ فدخل خربة فمكث ثلاثا لا يصيب شيئا ، فلما أن كان فى اليوم الثالث ، إذ هو بدوخولة من رطب وكان له أخ أحسن نية منه فدخل معه فصارتا دوخلتين ، فلم يزل ذلك دأبهم حتى فرق بينهما الموت » اه

(١) فى فروينه : يرفع .

(٢) الآية : ٢١ من سورة الحجر .

(٣) وفى فروينه : لم تفهم هذه الكلمة .

(٤) وفى فروينه : لذلك بدون واو .

فإن إراقة ماء الحيـــا ة دون إراقة مـاء المحـــيا

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول :

« والله مارأيت العز إلا فى رفع الهمم عن الخلق ، واذكر أيها الأخ رحمك الله هاهنا قوله تعالى:

« ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين[١] » .

(فمن العزة التى أعز الله بها المؤمن[٢]) رفع همته إلى مولاه، وثقته به دون ماسواه ، واستح من الله أن تكون بعد أن كساك حلة الإيمان وزينك بزينة العرفان ، أن تستولى عليك الغافلة والنسيان حتى تميل إلى الأكوان ، أو تطلب من غيره وجود إحسان ، ولذلك قال بعضهم :

أبعد نفوذى فى علوم الحقائق وبعد انبساطى فى مواهب خالقى

وفى حين إشراقى على ملكوته أرى باسطا كفى إلى غير رازقى

فإن[٣] كلفتك النفس الغافلة عن مولاها ، بأن ترفع حاجتك إلى المخلوقين ، فارفعها إلى من يرفع ذلك[٤] المخلوق حاجته إليه ، وهين

(١) من الآية : ٨ من سورة المنافقون .

(٢) ما بين القوسين نصه فى فروينه[فمن العز الذى أعز الله به المؤمن

(٣) وفى فروينة : وإن .

(٤) وفى فروينة : يرفع إليه المخلوق .

على النفس أن تهين إيمانك لتحصيل[١] هواها ، وإن تذللت[٢] لتبلغ مناها كما قال بعضهم :

تكلفت[٣] إذلال[٤] لنفس لعزها ... وهان عليها أن أهان لتكرما
تقول سل المعروف يحيى بن أكثم ... فقلت[٥] سلي ربأليحيى بن أكثما

وقبيح بالمؤمن أن ينزل حاجته بغير الله مع علمه بوحدانيته ، وانفراده بربوبيته ، ويسمع[٦] قوله تعالى :

أليس الله بكاف عبده[٧] » :

وذلك من كل أحد قبيح ، ومن المؤمن[٨] أقبح ، وليذكر قوله[٩] تعالى :

---

(١) وفى فرينه : ليحصل .
(٢) وفى فروينه : وان تذلك وكذلك فى (أ)
(٣) وفى فروينه : تكلفنى وكذلك فى (أ) .
(٤) وفى فروينه : إذلال نفسى .
(٥) وفى فروينة : فقلت سليه رب يحى بن أكثما وكذلك فى (أ) .
(٦) وفى فروينه : وهو يسمع قول الله تعالى .
(٧) الآيه : ٣٦ من سورة الزمر .
(٨) وفى فروينة : المؤمنين .
(٩) وفى فروينه : قول الله سبحانه .

« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود[1] » .

ومن العقود التى عاقدته عليها ، أن لا ترفع[2] حوائجك إلا إليه ، ولا تتوكل إلا عليه ، وذلك لازم إقرارك له بالربوبية يوم المقادير ، يوم ألست بربكم ؟ قالوا بلى :

فكيف تعرفه وتوحده هنالك[3] ، وتجهله هنا ، وقد تواتر عليك إحسانه ، وغمرك فضله وامتنانه كما قال بعضهم :

في القلب لكم منزلة علية[4] لا تسكنها سعدى[5] ولا لبناء
في الذر عرفتكم فهل يجمل بى أن أنكركم ولحيتى شمطاء

ورفع الهمة عن الخلق هو ميزان الفقراء ، ومسبار الرجال ، وكما توزن الذوات كذلك توزن الأحوال والصفات :

« وأقيموا الوزن بالقسط[6] » فيظهر الصادق بصدقه ، والمدعى بمذقه :

---

(١) الآية : ١ من سورة المائدة .
(٢) وفى (أ) أن ترفع . . . وتتوكل عليه .
(٣) وفى فروينه : توحده هناك وتجهله هاهنا .
(٤) وفى فروينه : عليا وكذلك فى (أ) .
(٥) وفى (أ) سعداء .
(٦) جزء من آية : ٩ من سورة الرحمن

« ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه ، حتى يميز الخبيث من الطيب [1] » .

وقد ابتلى الله بحكمته ووجود منته ، الفقراء الذين ليسوا بصادقين ، بإظهار ما كمنوا من الرغبة ، وأسروا من الشهوة ، فابتذلوا أنفسهم لأبناء الدنيا مباسطين لهم ، ملائين لهم ، موافقين لهم على مآدبهم ، مدفوعين على أبوابهم ، فترى الواحد منهم يتزين كما يتزين العروس ، مفتونون [2] بإصلاح ظواهرهم ، غافلون عن إصلاح سرائرهم .

ولقد رسمهم الحق سبحانه وتعالى [3] بسمة كشف بها عوراهم [4] وأظهر أخبارهم .

فبعد أن كان [5] نسبته أن لو صدق مع الله أن يقال فيه : عبد الكبير ، فأخرج عن هذه النسبة بعدم صدقه ، فصار يقال فيه [6] :

---

(١) الآية : ١٧٩ من سورة آل عمران .

(٢) وفى فروينه : معتنون .

(٣) وفى فروينه : سمة .

(٤) وفى نسخة : عوراتهم .

(٥) وفى فروينه : كانت .

(٦) كلمة فيه : لم توجد فى فروينه .

شيخ الأمير ، أولئك الكذابون على الله ؛ الصادون العباد[1] عن صحبة أولياء الله ، لأن مايشهده العموم فيهم، يحسبونه[2] على كل منتسب إلى الله ، صادق وغير صادق ، فهم حجب أهل التحقيق ، وسحب شموس أهل التوفيق ، ضربوا طبولهم ، ونشروا أعلامهم ، ولبسوا دروعهم، فإذا وقعت الحملة ولّوا على أعقابهم، نا كسين[3] ألسنتهم، منطلقة بالدعوى ، وقلوبهم خالية من التقوى ، ألم يسمعوا قوله تعالى :

« ليسأل الصادقين عن صدقهم ؟[4] »

أترى إذا سأل الصادقين أيترك المدعين من غير سؤال ؟

ألم يسمعوا قول الله تعالى :

« وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين وستردون إلى عالم الغيب والشهادة ، فينبئكم بما كنتم تعملون[5] ؟ »

---

(١) وفى فروينه : العباد .
(٢) وفى فروينه : يسحبونه .
(٣) وفى نسخة (١) نا كصين .
(٤) الآية : ٨ من سورة الأحزاب .
(٥) الآية : ١٠٥ من سورة التوبة .

فهم فى إظهار زى الصادقين ، وعملهم عمل المعرضين ، كما قيل[١] :

أما الخيام فإنها كخيامهم   وأرى نساء الحى غير نسائها
لا والذى حجت قريش بيته   مستقبلين الركن من بطحائها
ما أبصرت عينى خيام قبيلة   إلا بكيت[٢] أحبتى بفنائها

فقد علمت[٣] رحمك الله أن رفع الهمة عن الخلق هو زينة أهل الطريق ، وسيمة أهل التحقيق ، ولنا فى هذا المعنى :

بكرت تلوم على زمان أحجفا   فصدفت عنها عليها أن تصدفا
لا تكثرى عتبا لدهرك إنه   ما إن يطالب بالوفاء ولا الصفا
ماضرنى أن كنت فيه خاملا   فالبدر بدر إن بدا أو إن خفا
الله يعلم إننى ذو همة   تأبى الدنايا عفة وتظرفا
لم لا أصون عن الورى ديباجتى   وأريهم عز الملوك وأشرفا
أأريهم[٤] أنى الفقير إليهم   وجميعهم لا يستطيع تصرفا

---

(١) وفى فروينه : قال بعضهم .

(٢) وفى فروينه ظننت .

(٣) وفى نسخة : تبين .

(٤) وفى نسخة (أ) أريهم .

أم كيف أسأل رزقه من خلقه ... هذا لعمرى إن فعلت هو الجفا
شكوى الضعيف إلى ضعيف مثله ... عجز أقام بحامليه على شفا
فاسترزق الله الذى إحسانه ... عم البرية منة وتلطفا
والجأ إليه تجده فيما ترتجى ... لا تعد عن أبوابه متحرفا

الفائدة الثانية :

يحتمل أن يكون قوله سبحانه وتعالى : « وفى السماء رزقكم » أن يكون المراد إثبات رزقكم ، أى اثباته فى اللوح المحفوظ ، فإن كان المراد كذلك ، فهو تطمين للعباد ، وإعلام لهم أن (رزقكم ، أى الشىء الذى منه[1]) رزقكم[2] كتبناه عندنا وأثبتناه فى كتابنا ، وقضيناه بآياتنا[3] من قبل وجودكم ، وعيناه من قبل ظهوركم .

فلأى شىء تضطربون ؟

ومالكم إلى لا تسكنون ؟

وبوعدى لا تثقون ؟

---

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فرونيه ، وكذلك فى (ا)
(٢) وفى (ا) يرزقكم .
(٣) وفى فرونيه : بامتناننا .

ويحتمل أن يكون المراد : « وفى السماء رزقكم »

أى الشىء الذى منه رزقكم ، وهو الماء ، كما قال تعالى :

« وجعلنا من الماء كل شىء حى أفلا يؤمنين[١] » .

وكذلك قال ابن عباس رضى الله عنهما :

(هو المطر)

فيكون قوله : (وفى السماء رزقكم) (أى الشىء الذى منه أصل رزقكم[٢]) ، ولأن الماء فى نفسه رزق .

القائدة الثالثة :

يمكن أن يكون مراد[٣] الحق سبحانه وتعالى بهذه الآية ، تعجيز العباد عن دعوى القدرة على الأسباب لأن الله تعالى ، لو أمسك الماء عن الأرض ، لتعطل سبب كل ذى سبب ، من حارث ، وزارع ، وتاجر ، وخائط ، وكاتب ، وغير ذلك ، فكأنه يقول :

---

(١) الآية : ٣٠ من سورة الأنبياء .
(٢) ما بين القوسين لم يوجد فى فرونيه ، ولا فى نسخة (أ)
(٣) كلمة : مراد لم توجد فى نسخة (أ)

ليست أسبابكم هى الرازقة لكم، ولكن أنا الرازق[1] لكم ، وبيدى تيسير أسبابكم، أنا المنزل لكم ما به كانت أسبابكم، وتمت أكسابكم.

القائدة الرابعة :

فى اقتران الرزق بالأمر الموعود ، فائدة جليلة ، وذلك أن المؤمنين . لما[2] علموا أن ماوعدهم الحق لابد من كونه ، ولا قدرة لهم على تعجيله ولاتأجيله ، ولاحيلة لهم فى جلبه ، فكأنه سبحانه وتعالى يقول.

كما لاشك عندكم أن عندنا ماتوعدون ، كذلك لايكن عندكم شك فى أن عندنا ماترزقون .

وكما أنكم على استعجال ماوعدنا قبل وقته عاجزون ، كذلك أنتم عاجزون عن أن تستعجلوا رزقا أجلته ربوبيتنا، ووقته[3] إلا هيتنا .

القائدة الخامسة ، قوله سبحانه وتعالى :

« فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ماأنكم تنطقون[4] »

---

(١) وفى نسخة (١) الرزاق .
(٢) لما : لم توجد فى فروينه .
(٣) وفى نسخة (١) وقته .
(٤) الآية : ٢٣ من سورة الذاريات .

فى ذلك حجة عظيمة[1] على العباد أن يكون الوفى الوعد الذى لا يخلف الميعاد يقسم للعباد على ما ضمن لهم لعلمه بما النفوس منطوية عليه من الشك والاضطراب ووجود الإرتياب فلذلك قالت الملائكة حين سمعت هذه الآية :

« هلك بنو آدم ، أغضبوا ربهم[2] الجليل ، حتى أقسم » .

وقال بعضهم حين سمع هذه الآية :

« سبحان الله : من ألجأ الكريم إلى القسم ؟ » .

ومن علمت ثقته بك لم تحتج[3] إلى القسم معه ، وإذا علمت اضطرابه فى وعدك أقسمت له .

فهذه الآية : سرت أقواما ، وأخجلت آخرين .

أما الذين سرتهم : فهم فى المقام الأول ، إذ يزيد بها إيمانهم ويرسخ[4] بها إيقانهم فينتصروا[5] بها على وساوس الشيطان ، وشكوك النفس .

---

(١) وفى فروينه : عظمى .

(٢) كلمة (ربهم) لم توجد فى فروينة . وكذا فى نسخة (١)

(٣) وفى فروينه : لم تحتج معه إلى القسم .

(٤) وفى فروينة : ورسخ إيقانهم .

(٥) وفى فروينه : فانتصروا . وكذلك فى (١)

وأما الذين أخجلتهم[1] : فإنهم علموا أن الحق سبحانه وتعالى علم منهم عدم الثقة ، ووجود الإضطراب فأقامهم مقام أهل الشك ، فأقسم لهم فاخجلهم ذلك حياء منه ، وذلك مما أفادهم الفهم عنه .

ورب شيء واحد[2] أوجب سرور أقوام وحزن آخرين ، على حسب تفاضل الأفهام ، وواردات الإلهام ، ألم ترى أنه أنزل قوله تعالى:

« اليوم أكملت لكم دينكم ، وأتممت عليكم نعمتى ، ورضيت لكم الإسلام دينا[3] »

فرح بها[4] الصحابة ، وحزن بها أبو بكر رضى الله عنهم أجمعين لأنه فهم منها نعى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فبكى وأخذ من ذلك أن الشيء إذا استتم خيف عليه من التراجع إلى وجود النقصان كما قال[5] .

إذا تمّ شيء دنا نقصه ... توقع زوالا إذا قيل تمّ

---

(١) وفى (١) أخجلتهم ذلك وفى فروينة . أخجلهم .
(٢) كلمة (واحد) لم توجد فى فروينه . ولا فى (١) .
(٣) الآية : ٣ من سورة المائدة .
(٤) وفى فروينه : فرح بعض الصحابة وحزن لها أبو بكر .
(٥) وفى فروينه : قيل شعرا وكذا فى (١) .

إذا كنت فى نعمة فارعها فإن المعاصى تزيل النعم[1]

واعلم أن الأمر لايتقاصر ما دام الرسول صلى الله عليه وسلم حياً ،

وفرح الصحابة رضى الله عنهم أجمعين ، لظاهر البشارة التى فيها ولم يتفذوا لما نفذ إليه أبو بكر رضى الله عنه ، فظهر لذلك سر قوله صلى الله عليه وسلم :

« ما سبقكم أبو بكر بصوم ولا صلاة ولكن بشىء وقر فى صدره[2] » .

والذى[3] كان سابقا هو[4] بعينه هو الذى أوجب أن يفهم ما لم يفهم غيره .

(ومثل ذلك[5]) قوله سبحانه وتعالى:

---

(١) هذا البيت غير موجود فى فروينه . ولا فى (ا) .

(٢) هذا الحديث يقول الحافظ العراقى فى تخريجه : «حديث ما فضل ابو بكر الناس بكثرة صلاة ولا بكثرة صيام ـ الحديث :
رواه الترمذى الحكيم فى النوادر من قول أبى بكر بن عبد الله المزنى ولم أجده مرفوعا ، اهـ الإحياء جـ ١ ص ٤٠ .

(٣) والذى . لم توجد فى فروينه . ولا فى (ا) .

(٤) وفى فروينه : وهو .

(٥) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

تريد وضعه ، أو تهممت)[1] بأمر أنت عالم أنه متكفل بذلك ، وقائم به إليك ، كان ذلك منازعة للربوبية ، وخروجا عن حقيقة العبودية ، واذكر هاهنا قوله سبحانه وتعالى:

«أو لم ير الإنسان أنا خلقناه من نطفة فإذا هو خصيم مبين [2] »

ففى هذه الآية توبيخ للإنسان لما غفل عن أصل نشأته ، وخاصم منشئه ، وغفل عن سر بدايته ، ونازع مبدأه ، وكيف يصلح لمن خلق من نقطة، أن ينازع الله فى أحكامه ، وأن يضادده[3] فى نقضه وإبرامه فاحذر رحمك الله التدبير مع الله

واعلم أن التدبير من أشد حجب القلوب عن مطالعة الغيوب ، وإنما التدبير للنفس ينبع من وجود الموادة لهـا ، (ولو غبت عنها فناء ،

= أثابه الله إيمانا يجد حلاوته فى قلبه. ويقول أبو الدرداء رضى الله عنه: « من غض بصره عن النظر الحرام : زوج من الحور العين حيث أحب ، ومن اطلع فوق بيوت الناس حشره الله يوم القيامة أعمى)

(١) ما بين القوسين جاء فى فروينة [أنزل بك أمرا تريد رفعه ، أو رفع عنك أمرا تريد وضعه أو هممت . . .]

(٢) الآية : ٧٧ من سورة يس .

(٣) وفى فروينة : أو أن .

وكنت بالله بقاء(١)) لغيبك ذلك التدبير عن لنفسك أو بنفسك، وما أقبح عبدا جاهلا بأفعال الله غافلا عن حسن نظر الله ؛ ألم تسمع قوله تعالى :

« قل كفى بالله ؟ (٢) »

وأين الاكتفاء بالله لعبد مدبر مع الله ؟(٣) ولوا كتفى بتدبير الله له لاقتطعه ذلك عن التدبير مع الله .

« طريدان التدبير على المتوجهين والسالكين * »

تنبيه وإعلام :

اعلم أن التدبير أكثر طريانه على العباد المتوجهين ، وأهل السلوك من المريدين قبل الرسوخ فى اليقين ، ووجود القوة والتمكين ، وذلك لأن أهل الغفلة والإساءة قد أجابوا الشيطان فى الكبائر والمخالفات واتباع الشهوات، فليس للشيطان حاجة أن يدعوهم إلى التدبير ، ولو دعاهم إليه (لأجابوه بسرعة(٤)) فليس هو أقوى أسبابه فيهم ، إنما يدخل

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينة [ولو غبت عنها فنا ، وكنت بالله بقا]

(٢) الآية : ٤٣ من سورة الرعد .

* العنوان من عمل المحقق

(٣) وفى نسخة أخرى : فلو اكتفى .

(٤) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينة .

ولذلك[1] قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

النفوس على ثلاثه أقسام

نفس لاتشترى لخستها ، ونفس تشترى لكرامتها ، ونفس لايقع عليها الشراء لثبوت حريتها .

[فالأولى[2] : نفوس الكافرين ، لايقع عليها الشراء لخستها .

والثانى : نفوس المؤمنين ، وقع عليها الشراء لكرامتها .

والثالث : نفوس الأنبياء والمرسلين ، لم يقع عليها الشراء لثبوت حريتها[3] » اهـ]

الفائدة السادسة :

وهو أنه تعالى اقسم بالربوبية الكاملة للسماء والأرض ، [ولم يقسم بغيرها من الأسماء ، وذلك لأن الربوبية الكاملة للسماء والأرض[4]] لاينبغى أن يشك فى الثقة بها ، ومن شأنهما كفالة هـذا

---

(١) وفى فروينه : ذلك .

(٢) وفى فرينه : فالأول ، وهو الأصح لأن السياق يقتضى ذلك .

(٣) ما بين القوسين لم يوجد فى ا)

(٤) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه

العالم العظيم ، الذى أنت فيه[1] ، وإذا نسبت إليه كنت كلا شىء موجود فيه ، فذلك[2] أبلغ فى وجود الثقة من أن يقول :

فهو السميع [3] ، أو العليم ، أو الرحمن ، أو غير ذلك من الأسماء [4]، فافهم .

الفائدة السابعة ، قوله سبحانه وتعالى :

« فورب السماء والأرض إنه لحق »

والحق هو ضد الباطل ، والباطل هو المعدوم الذى لاثبات له ، والرزق حق ، كما أن الرزاق[5] حق .

والشك فى الرزق ، شك فى الرزاق ، حتى كان بعضهم ينبش المقابر ثم تاب ، فقال لبعض العارفين :

نبشت ألف قبر فوجدتهم[6] كلهم وجوههم محولة عن القبلة ، فقال عارف ذلك الزمان :

---

(١) وفى فروينه : منه .
(٢) وفى نسخة : فذاك .
(٣) كلمة أو : لم توجد فى فروينه ولا فى (أ)
(٤) وفى فروينه من الأقسام .
(٥) وفى فروينه : أن الرازق .

إنما حول وجوههم عن القبلة تهمه الرزق » .

الفائدة الثامنة ، قوله تعالى : « مثل ما أنكم تنطقون » .

تأكيد فى إثبات الرزق وتقرير لحقيقته ، وأنه لاينبغى أن يرتاب فيه مؤمن ، ولا يشك فيه موقن ، وأن ثبوته بمشهد بصائر القلوب ، كثبوت المنطق الظاهر بمشهد الأبصار ، فنقل المعنى إلى الصورة ، ومثل الغيب بالشهادة .

وقطع شك العباد فى أمر الرزق ، أى فكما أنكم تنطقون ، لا تشكون فى ذلك ، لما أثبته العيان ، كذلك لاترتابوا فى أمر الرزق فقد أثبته نور الإيمان .

فانظر رحمك الله اعتناء الحق سبحانه وتعالى بأمر الرزق وتكراره له ، وتبين مواطنه[1] ، وتنظيره وتمثيله بالأمور المحسوسة التى لايرتاب فيها شاهدها ، وإقسامه على ذلك بالربوبية المحيطة بالسماء والأرض ، وكذلك تكرر فى كلام صاحب الشرع صلوات الله عليه ، فقال :

« إن روح القدس نفث فى روعى ، أن نفسا لن تموت حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب[2] » .

---

(١) وفى نسخة أخرى موطنه وتبصيره

(٢) سيأتى تخريجه فيما بعد إن شاء الله تعالى .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا[1] » .

وقال عليه الصلاة والسلام :

« طالب العلم تكفل الله رزقه[2] » .

إلى غير ذلك من الأحاديث الواردة فى ذلك :

---

(١) هذا الحدث رواه الترمذى والنسائى وابن ماجه من حديث ابن هبيرة وقال الترمذى حديث حسن صحيح .

وفيما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، وابن خزيمة ، والترمذى ، وابن ماجه ، وابن حبان فى الصحيح ، والحاكم فى المستدرك عن ابن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لو أنكم توكلون على الله تعالى حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا » اهـ .

(٢) يؤيد هذا الحديث ما رواه أحمد والحاكم وصححه : وغيرهما ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع » ، ويشرح هذا كله ما رواه أبو داود والترمذى عن أبى الدرداء رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : من سلك طريقا =

(وجود السبب لا ينافى التوكل) *

فائـــــدة :

اعلم أنه(١) لا ينافى التوكل على الله فى أمر الرزق وجود السبب كما أشار(٢) إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه قال :

« فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب » .

= يبتغى فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع ، وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » اهـ .

* العنوان من عمل المحقق

(١) وفى فروينه : اعلم أن .

(٢) وفى فروينه : كما قد أشار .

(٣) هذا جزء من حديث صحيح رواه ابن ماجه واللفظ له ، والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط مسلم ، ولفظه : عند جابر رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يا أيها الناس اتقوا الله واجملوا فى الطلب فإن نفساً لن تموت حتى =

فقد أباح الطلب ، ولو كان منافيا لمقام التوكل على الله ، لما أباحه، لأنه لم يقل إلا تطلبوا ، وإنما قال : أجملوا فى الطلب .

فكأنه قال[1] :

إذا طلبتم فاطلبوا مجملين ، أى كونوا مع الله فى الطلب متأدبين ، وإليه مفوضين ؛

فقد أباح صلوات الله عليه وسلامه ، وجود الطلب ، والطلب من الأسباب ، وقد سبق قوله عليه الصلاة والسلام :

= تستوفى رزقها ، وإن أبطأ عنها، فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب ، خذوا ما حل ودعوا ما حرم » .

وفى رواية أخرى : عن أبى حميد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أجملوا فى طلب الدنيا ، فإن كلا ميسر لما خلق الله له » .

رواه ابن ماجه واللفظ له وأبو الشيخ ابن حيان فى كتاب الثواب والحاكم إلا أنهما قالا :

فإن كلا ميسر « لما كتب له منها » وقال الحاكم صحيح على شرطهما » أنظر الترغيب والترهيب ج ٤ ص ١٠ ، ١١

(١) وفى (ا) يقول .

«أحل ما أكل المرء من كسب يمينه» .

إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جواز الأسباب ، بل على الحث[1] عليها ، والندب إليها .

«حكمة الأخذ بالأسباب»*

وفى الأسباب فوائد منها[2] :

أن الحق تعالى ، علم ضعف قلوب العباد وقصورهم عن مشاهدة القسمة وعجزهم عن صدق الثقة ، فأباح لهم الأسباب إسنادا لقلوبهم ، وتثبيتاً لنفوسهم ، فكان ذلك من فضله عليهم .

الفائدة الثانية :

إن فى الأسباب صيانة للوجوه عن الابتذال بالسؤال وحفظا لبهجة الإيمان أن تزول[3] بالطلب من الخلق فما يعطيك الله من الأسباب فلا

---

(١) وفى فروينة : الحظ .

* العنوان من عمل المحقق

(٢) وفى نسخة : فوائد منها .

(٣) وفى فروينه : أن تذل .

منة فيه لمخلوق عليك ، إذ لا يمن عليك أحد إن اشترى منك أو استأجرك على عمل شيء ، فإنه فى حظه سعى ونفع نفسه قصد ، فالسبب أخذ منه بغير منة .

القائدة الثالثة :

إن فى شغل العباد بأسبابهم شغلا عن معصيته، والتفرغ إلى مخالفته، ألا تراهم إذا تطلعت[1] أسبابهم فى أعيادهم وغيرها، كيف يتعرف أهل الغفلة لمخالفة الله تعالى؟. وينهمكون[2] فى معصية الله فكان شغلهم بالأسباب رحمة من الله عليهم .

الفائدة الرابعة :

إن فى الأسباب والقيام بها رحمة بالمتجردين ومنة من الله على المتوجهين لطاعته والمتفرغين لها، ولا قيام لأهل الأسباب بها فكيف كان يصح لصاحب الخلوة خلوته ، ولصاحب المجاهدة مجاهدته ، فجعل الحق تعالى الأسباب كالخدمة للمتوجهين إليه ، والمقبلين عليه .

---

(١) وفى فروينه : إذا تعطل .

(٢) وفى فروينه : على .

الفائدة الخامسة :

إن الحق تعالى أراد من المؤمنين أن يتألفوا لقوله تعالى: «إنما المؤمنون إخوة».

فكانت الأسباب سبباً لتعارفهم ، وموجبة لتوادهم ، ولا ينكر الأسباب إلا جاهل أو عبد عن الله غافل ؛

ولم يبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لما عاد الناس إلى الله أمرهم بالخروج عن أسبابهم ولكن أقرهم على ما يرضاه الله منها ودعاهم إلى وجود الهدى والقرآن والسنة محشوان بإثبات الأسباب .

ولقد أحسن من قال :

ألم تر أن الله قال لمريم إليك فهزى الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أدنى الجذع من غير هزها إليها ولكن كل شيء له سبب

اشارة إلى قوله تعالى :

« وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا[1] » .

وظاهر صلوات الله عليه وسلامه بين درعين يوم أحد ، وأكل عليه الصلاه والسلام ، القثاء بالرطب ، وقال :

---

(١) الآية : ٢٥ من سورة مريم .

« هذا يدفع ضرر هذا ، وذلك كثير [1] »

وفى قوله صلى الله عليه وسلم : « تغدو خماصا وتروح بطانا » . إثبات الأسباب أيضاً .

لأن غدوها ورواحها ، سبب أقيمت فيه ، فهو كغدو الآدميين إلى مكاسبهم ، ورواحهم إليها .

والقول الفصل فى ذلك :

أنه لا بد لك من الأسباب وجودا ، ولابد لك من الغيبة عنها شهودا . .

فاثبتها من حيث أثبتها بحكمته ، ولا تستند إليها لعلمك بأحديته .

فإن قلت : فما هو الإجمال فى الطلب فى قوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) ونص الحديث كما رواه الامام البخارى والامام مسلم ، وأحمد فى مسنده عن عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل القثاء بالرطب » . وفيما روى عن سهل ابن سعد ، وأخرجه أبو داود والترمذى عن عائشة ، وأخرجه الطبرانى فى المعجم الكبير عن عبدالله بن جعفر . ورواه ابن حبان فى الصحيح عن أنس رضى الله عنه . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل البطيخ بالرطب) اه

« فاتقوا الله واجملوا فى الطلب ؟ »

« أوجه الإجمال فى الطلب * »

فاعلم أن الإجمال فى الطلب يحتمل وجوها كثيرة ، ونحن نذ كر لك منها ، ما فتح الله به بفضله .

فاعلم رحمك الله : أن الطالب [١] للرزق على قسمين :

عبد يطلبه منهمكا عليه ، ومتوجها بكل همته إليه ، وذلك مما يصرف وجهته [٢] عن الله ، لأن الهمة إذا توجهت لشيء انصرفت عما عداه .

قال الشيخ أبو مدين [٣] رحمه الله :

« ليس للقلب إلا وجهة واحدة ، إن وجهته إليها انصرف عن غيرها وقد قال الحق [٤] سبحانه وتعالى :

---

(١) وفى فروينه : الطالب

(٢) وفى فروينه . وجهه . * العنوان من عمل المحقق

(٣) سبق أن ترجمنا له من قبل فارجع لترجمته إن أردت

(٤) وفى فروينه : الله

ماجعل الله لرجل من قلبين فى جوفه [١] » اهـ

أى ما جعل له من وجهتين [٢] فى وقت واحد وذلك لضعف البشرية عن التوجه إلى وجهتين .

(فما توجه إنسان إلى وجهتين [٣]) إلا ويقع الخلل فى إحدى الوجهتين ، والقيام بالأوجه [٤] كلها فى الوقت الواحد من غير أن يقع فى شىء منها خلل ، إنما ذلك من شأن الإلاهية . ولذلك قال سبحانه وتعالى :

« وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله [٥] »

فأفاد [٦] بذلك أنه متوجه لأهل السماء ، ولأهل الأرض ، لا يشغله

---

(١) الآية : ٤ من سورة الأحزاب

(٢) وفى نسخة : وجهين

(٣) ما بين القوسين غير موجود فى فروينه

(٤) وفى فروينه : بالوجه

(٥) الآية : ٨٤ من سورة الزخرف

(٦) وفى فروينه : فذلك

توجهه (لأهل السماء عن توجهه لأهل الأرض ، ولا توجهه[1] لأهل الأرض عن توجهه لأهل السماء ، (ولا شيء عن شيء[2])

فلذلك كرر سبحانه وتعالى ذكر الالاهية[3] فى الآية الكريمة، ولو لم يكررها لم يفد ذلك من هذا اللفظ، بل مما يوجبه ماهو الحق عليه سبحانه.

فتبين لك من هذا : أن من طلب الرزق مكبا[4] عليه ، مشتغلا عن الله تعالى به ، فليس مجملا فى الطلب ، ومن طلبه على غير ذلك فهو مجمل .

وجه ثان وهو : أن الإجمال فى الطلب أن يطلب من الله تعالى ، ولا يعين قدرا ، ولا سببا ، ولا وقتا ، فيرزقه الحق ماشاء ، كيف شاء ، فى أى وقت شاء ، وذلك من حسن الأدب فى الطلب .

ومن طلب وعين قدرا ، أو سببا أو وقتا ، فقد تحكم على ربه ؛ وأحاطت الغفلة بقلبه .

ويحكى عن بعضهم ، أنه كان يقول :

---

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .
(٢) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه :
(٣) وفى : نسخة : الاهيته .
(٤) وفى فروينه : منكبا عليه .

« وودت لو أنى تركت الأسباب وأعطيت كل يوم رغيفين »

يريد بذلك أن يستريح من تعب الأسباب . قال .

فسجنت ثم كنت فى السجن يؤتى لى كل يوم برغيفين ، فطال ذلك على حتى ضجرت ، ففكرت يوما فى أمرى .

فقيل لى :

« إنك طلبت منا كل يوم رغيفين ولم تطلب منا العافية ، فأعطيناك ما طلبت » .

فاستغفرت الله [1] من ذلك ، ورجعت إلى الله فإذا بباب السجن يقرع ، فتخلصت وخرجت .

فتأدب بهذا [2] أيها المؤمن ، ولا تطلب أن يخرجك من أمر ؛ ويدخلك فيما سواه ، إذا كان ما أنت فيه مما يوافق لسان العلم ، فإن ذلك من سوء الأدب مع الله .

فاصبر لئلا تطلب الخروج بنفسك ، فتعطى ما طلت وتمنع الراحة

---

(١) لفظ الجلالة لم يوجد فى فروينه ولا فى (ا)

(٢) كلمة : بهذا لم توجد فى فروينه ولا فى (ا)

فيه ، فرب تارك[1] سببا ، وداخل فى غيره ليجد الثروة والراحة ، فأتعب وقوبل بوجود التعسر[2] عقوبة لوجود الاختيار .

وفى كلام كتبناه فى هذا الكتاب :

طلبك للتجرد مع إقامة الله إياك فى الأسباب من الشهوة الخفية .

وطلبك الأسباب مع إقامة الله إياك فى التجريد انحطاط عن الهمة العالية .

فافهم رحمك الله : أن من شأن هذا العدو أن يأتيك فيما أنت فيه مما أقامك الله فيه ، فيحقره عندك لتطلب غيرما أقامك[3] الله فيه ، فيتشوش[4] قلبك ، ويتكدر وقتك .

وذلك أنه يأتى للمتسببين[5] فيقول :

لو تركتم الأسباب وتجردتم ، لأشرقت لكم الأنوار ، ونصفت

---

(١) وفى فروينه . شيئا .
(٢) وفى نسخة أخرى . التعسير .
(٣) لفظ الجلالة لم يوجد فى فروينه .
(٤) وفى (ا) فيشوش .
(٥) وفى فروينه . ويقول .

منكم القلوب والأسرار ؛ قائلا[1] :

وكذلك صنع فلان وفلان ، ويكون هـــذا العبد ليس مقصودا بالتجرد ، ولا طاقة له به ، وإنما[2] صلاحه فى الأسباب فيتركها فيتزلزل إيمانه ، ويذهب إيقانه ، ولا يتوجه إلى الطلب من الخالق ، وإلى الاهتمام بأمر الرزق ، فيرمى فى بحر القطيعة[3] ، وذلك قصد العدو فيه .

لأنه إنما يأتيك فى صورة ناصح ، إذ لو أتاك فى غيرها لم تقبل منه ، كما أتى آدم وحواء عليهما السلام فى صورة ناصح :

« وقال: ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين[4] » (كما تقدم بيانه[5]) .

« وقاسمهما إنى لكما لمن الناصحين[6] » . كما تقدم بيانه .

وكذلك يأتى للمتجردين ويقول لهم :

---

(١) وفى نسخة (ا) : قابلا والصواب قائلا .

(٢) وفى فروينه : إنمـــا صلاحه .

(٣) وفى نسخة أخرى : القطعة .

(٤) الآية : ٢٠ من سورة الأعراف .

(٥) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٦) الآية : ٢١ من سورة الأعراف .

إلى متى تتركون الأسباب ؟ ألم تعلموا أن ترك الأسباب تتطلع معه القلوب إلى ما فى أيدى الناس ، ويفتح باب الطمع ، ولا يمكن الإسعاف ولا الإيثار ، ولا القيام بالحقوق ؟ وعوض ما تكون منتظرا ما يفتح به عليك من الخلق ، فلو دخلت فى الأسباب بقى غيرك منتظرا ما يفتح عليه منك » اهـ

إلى غير ذلك ، ويكون هذا العبد قد طاب وقته وانبسط نوره ، ووجد الراحة بالانقطاع عن الخلق ، فلا يزال به حتى يعود إلى الأسباب فيصيبه كدرتها ، وتغشاه ظلمتها ، ويعود الدائم فى سببه أحسن حالا منه.

لأن ذلك ما سلك طريقا ثم رجع عنها ، ولا قصد مقصدا ثم انعطف عنه ، فافهم واعتصم بالله منه :

« ومن يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم » .

وإنما قصد الشيطان بذلك أن يمنع العباد من الرضا عن الله فيما هم فيه ، وأن يخرجهم [عما اختاره الله تعالى لهم إلى مختارهم لأنفسهم][1] .

وما أدخلك الله تعالى فيه ، تولى إعانتك عليه ، وما دخلت فيه بنفسك ، وكلك إليه .

---

(١) ما بين القوسين نصه فى فروينه : عن مختار الله إلى مختارهم لأنفسهم .

« وقل رب أدخلنى مدخل صدق وأخرجنى مخرج صدق واجعل لى من لدنك سلطانا نصيراً »[1] .

فالمدخل الصدق : أن تدخل به لا بنفسك ، والمخرج الصدق أيضا كذلك ، فافهم .

والذى يقتضيه الحق منك أن تمكث حيث أقامك ، حتى يكون الحق تعالى هو الذى يتولى إخراجك ، كما تولى إدخالك ، وليس الشأن أن تترك السبب ، إنما الشأن أن يتركك السبب . قال بعضهم :

تركت السبب كذا وكذا مرة[2] فعدت إليه ، ثم تركنى السبب فلم أعد إليه .

[ودخلت على الشيخ أبى العباس المرسى ، وفى نفسى العزم على][3] التجريد قائلا فى نفسى :

إن الوصول إلى الله تعالى على هذه الحالة بعيد من الاشتغال بالعلم الظاهر ، ووجود المخالطة للناس .

---

(١) الآية : ٨٠ من سورة الإسراء .

(٢) وفى نسخة (١) ثم عدت .

(٣) ما بين القوسين نصه فى فرونيه : « ودخلت على الشيخ وفى عزمى التجريد » .

فقال لى من غير أن أسأله :

صحبنى إنسان مشتغل بالعلوم الظاهرة[١] وهو متصدر فيها فذاق من هذه الطريق شيئاً فجاء إلى فقال :

يا سيدى ؛ أخرج[٢] عما أنا فيه وأتفرغ بصحبتك ؟

فقلت له : ليس الشأن ذا ، ولكن أمكث فيما أنت فيه ، وما قسم الله لك[٣] على أيدينا فهو إليك واصل .

ثم قال الشيخ ونظر إلىّ وقال[٤] :

« هكذا شأن الصديقين لا يخرجون عن شىء حتى يكون الحق تعالى هو الذى يتولى إخراجهم » .

فخرجت من عنده [وقد غسل الله تعالى من قلبى تلك الخواطر][٥] ووجدت الراحة بالتسليم إلى الله ، ولكنهم كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

---

(١) هو : لم توجد فى فروينه

(٢) وفى فروينه : نخرج عما أنا فية ونتفرغ لصحبتك ؟

(٣) لك : ساقطه فى فروينه .

(٤) قال : لم توجد فى فروينه ، ولا فى (١)

(٥) ما بين القوسين نصه فى فروينة [وقد غسل الله تلك الخواطر من قلبى

« هم القوم لا يشقى بهم جليسهم[1] » .

---

(١) هذه فقرة من حديث صحيح ونصه كما أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه ، عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال: إن لله تبارك وتعالى ملائكة سيارة فضلا يتبعون مجالس الذكر فاذا وجدوا مجلسا فيه ذكر قعدوا معهم وحف بعضهم بعضا بأجنحتهم حتى يملؤا مابينهم وبين السماء الدنيا فإذا تفرقوا عرجوا وصعدوا الى السماء قال: فيسألهم الله عز وجل وهو أعلم بهم من أين جئتم ؟ فيقولون : جئنا من عند عباد لك فى الأرض يسبحونك ويكبرونك ويهللونك ويحمدونك ويسألونك قال : وماذا يسألونى ؟ قالوا : يسألونك جنتك . قال : وهل رأوا جنتى؟ قالوا : لا ، أى رب . قال : فكيف لو رأوا جنتى ؟ قالوا : ويستجيرونك . قال : وممَّ يستجيرونى ؟ قالوا : من نارك يارب . قال : وهل رأوا نارى ؟ قالوا : لا . قال : فكيف لو رأوا نارى ؟ قالوا : ويستغفرونك . قال فيقول: قد غفرت لهم فأعطيتهم ماسألوا، وأجرتهم مما استجاروا قال : فيقول : رب فيهم فلان عبد خطاء إنما مرَّ فجلس معهم ، قال : فيقول : وله غفرت ، هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » اهـ صحيح مسلم جـ١٧ ص١٥

وفى رواية أخرى فيما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن لله ملائكة يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا: هلموا الى حاجتكم ، فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا. قال : فسألهم ربهم وهو أعلم بهم . مايقول عبادى؟ قال ، يقولون: =

[وجه ثالث[1]] وقد يكون الإجمال فى الطلب ، أن تطلب من الله تعالى ، ويكون قصدك مناجاته لا عين ما طلبت ، وإنما يكون الطلب توسلا لها [2] . ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

« لا يكن همك فى دعائك الظفر بقضاء حاجتك ، فتكون محجوبا عن ربك ، ولتكن همتك مناجاة مولاك » اهـ

= يسبحونك، ويكبرونك ،ويحمدونك ، ويمجدونك . قال: فيقول : هل رأونى ؟ قال :فيقولون : لا والله يارب مارأوك . قال، يقول : كيف لو رأونى ؟ قال ، يقولون : لورأوك كانوا أشد لك تمجيدا ، وأكثر لك تسبيحا . قال ،فيقول . فما يسألونى ؟ قال ، يقولون : يسألونك الجنة. قال فيقول : وهل رأوها ؟ قال يقولون : لا والله يارب مارأوها قال يقول : فكيف بهم لو رأوها؟قال ،يقولون : لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة.قال:فمم يتعوذون؟قال،يقولون : يتعوذون من النار.قال ، فيقول : وهل رأوها؟ قال ،يقولون : لا والله مارأوها. قال،فيقول : فكيف بهم لو رأوها ؟ قال يقولون .. لو رأوها كانوا أشد منها فرارا ، وأشد لها مخافة . قال ، فيقول : أشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال ، يقول ملك من الملائكة : فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة . قال : هم القوم لا يشقى بهم جليسهم » رواه البخارى .

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه ولا فى (ا) .

(٢) وفى فروينه : فلذلك .

وقيل: إن موسى عليه السلام، كان يطوف فى بنى إسرائيل ويقول « من يحملنى رسالة إلى ربى ؟ »

وذلك: لتطول مناجاته مع الله تعالى .

[وجه رابع[1]] وقد يكون الإجمال فى الطلب، أن تطلب وأنت تشهد أنك مطلوب بما قسم لك، وأنك[2] مقصود به وليس طلبك موصلا اليه، فيكون طلبك وأنت غريق فى بحر العجز مغموس فى وجود الفاقه .

وقد يكون الإجمال فى الطلب أن لا تطلب بحظ البشرية، ولكن لإظهار العبودية، كما حكى أن سمنون[3] المحب رحمه الله كان يقول:

وليس لى فى سواك حظ فكيفما شئت فاختبرنى

---

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه ولا فى (١) .

(٢) وفى نسخة (١) وأنت .

(٣) وهو أبو الحسن سمنون بن حمزة الخواص رحمه الله تعالى . وكنيته: أبو الحسن، ويقال: أبو القاسم . سمى نفسه سمنونا الكذاب، صحب السرى السقطى، وأبا أحمد القلانسى، ومحمد بن على القصار، وغيرهم يقول عنه الشعرانى:

« كان رضى الله عنه يتكلم فى المحبة أحسن كلام، وهو من كبار المشايخ رضى الله عنه، مات بعد أبى القاسم الجنيد على ما قيل، ومن =

«ابتلى بعلة الأسر ، وهو احتباس البول [فصبر وتجلد ، فطاوله ذلك[1]] فصبر وتجلد إلى أن جاءه بعض أصحابه . فقال[2] .

= كلامه رضى الله عنه ، لا يعبر عن شيء إلا بما هو أرق منه، ولا شيء أرق من المحبة ، فبم يعبر عنها ؟ » اهـ .

وعن محمد بن الحسين رحمه الله يقول : سمعت أبا العباس محمد بن الحسن البغدادى يقول : سمعت جعفرا الخلدى يقول : قال لى أبو أحمد المغازلى : كان ببغداد رجل فرق على الفقراء أربعين ألف درهم، فقال لى سمنون : يا أبا أحمد ، ألا ترى ما قد أنفقه هذا ، وما قد عمله ؟ ونحن ما نجد شيئا ! !

فامض بنا إلى موضع فصلى بكل درهم أنفقه ركعة . فضينا إلى المدائن، فصلينا أربعين ألف صلاة » اهـ ومن كلامه رضى الله عنه : أول وصل العبد هجرانه لنفسه ، وأول هجران العبد للحق مواصلته لنفسه ، وسئل مرة عن التصوف فقال « هو أن لا تملك شيئا ، ولا يملكك شيء » . وسئل عن المحبة فقال :

« صفاء الود مع دوام الذكر » . وكان رضى عنه ظريف الخلق ، أكثر كلامه فى المحبة وكان كبير الشأن ، كما قال عنه القشيرى فى رسالته.

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٢) وفى نسخة أخرى : وقال

ياأستاذى سمعتك البارحه وأنت تطلب من الله الشفاء والعافية .
ولم يكن هو طالب .
ثم جاء ثان ، ثم جاء ثالث ، ثم جاء رابع .
فعلم أن مراد الحق منه إظهار الحاجة والفاقه ، فسأل الله [١] الشفاء
ثم صار يدور على صبيان المكاتب ويقول :
« أدعوا لعمكم الكذاب »

(وجه خامس)[٢] وقد يكون الإجمال في الطلب أن تطلب من الله ما يكفيك ، ولا تطلب منه ما يطغيك ، غير متطلع إلى ماسوى الكفاية بالشره ، ولا منبسطا إليه بالرغبة ، وقد علمنا ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذ قال :
« اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا »[٣].

---

(١) وفي فروينه : فسأل من الله .
(٢) ما بين القوسين لم يوجد في فروينه .
(٣) وفيما أخرجه البخارى ومسلم في صحيحيهما والترمذى وابن ماجه ، عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم اجعل رزق آل محمد في الدنيا قوتا » .

والطالب لما زاد على الكفاية ملوم [١] وطالب الكفاية غير ملوم بذلك [٢].

جاء فى الحديث عنه صلى الله عليه وسلم :

« ولا تلام على كفاف » [٣]

ويكفيك فى ذلك ما قال رسول الله لثعلبة من حاطب ، لما قال :

يارسول الله ، ادع الله أن يرزقنى مالا .

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

ياثعلبة بن حاطب ، قليل تؤدى شكره ، خير من كثير لاتطيقه .

(فكرر عليه ثعلبة) [٤] ، فأعاد عليه الصلاة والسلام [٥] ماقال أولا :

---

(١) وفى نسخه (ا) لوم

(٢) وفى فروينة : ولذلك

(٣) بل إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أثنى على من هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا ، وأثبت الفلاح والفوز لمن قنع بذلك ، فقد روى الطبرانى فى المعجم الكبير والحاكم فى المستدرك عن فضاله بن عبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أفلح من هدى إلى الإسلام وكان عيشه كفافا ، وقنع به » اهـ

(٤) ما بين القوسين لم يوجد فى (ا)

(٥) وفى فروينه : فقال يارسول الله أدع الله أن يرزقنى مالا فقال رسول الله : يا ثعلبة . . .

« قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه »

فما زال إلى أن دعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بما اختار لنفسه ، فكان عاقبة اختياره لنفسه ، ومخالفته لمختار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن كثر ماله حتى تعطل عن بعض الصلوات أن يصليها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا صلاة الجمعة، ثم كثرت أغنامه ومواشيه، حتى لم يمكنه صلاة الجمعة أيضاً ، ثم جاءه مصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (يأخذ منه الزكاة ، فقال:)[١]

ما أراها إلا جزية ، (أو أخت الجزية ،)[٢] وامتنع من دفع الزكاة ، وقصته مشهورة[٣] ، فأنزل الله تعالى فيه :

---

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينة .

(٢) ما بين القوسين لم يوجد فى (ا) ولا فى فروينة . وفى فروينة: ما أراها إلا أخت الجزية .

(٣) والقصة بتمامها يرويها ابن كثير : فقد روى ابن جرير ، وابن أبى حاتم من حديث معان بن رفاعة عن على بن يزيد عن أبى عبد الرحمن القاسم ، عن أبى أمامه الباهلى عن ثعلبة بن حاطب الانصارى أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم : ادع الله أن يرزقنى مالا ، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ويحك يا ثعلبة ، قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه » . قال : ثم قال مرة أخرى : فقال : « أما ترضى أن تكون مثل نبى الله؟ فو الذى نفسى بيده لو شئت =

. . . .

= أن تسير الجبال معى ذهبا وفضة لسارت ، قال : والذى بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقنى مالا لأعطين كل ذى حق حقه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « اللهم ارزق ثعلبه مالا » قال : فاتخذ غنما فنمت كما ينمى الدود ، فضاقت عليه المدينة ، فتنحى عنها فنزل واديا من أوديتها حتى جعل يصلى الظهر والعصر فى جماعة ويترك ما سواهما ثم نمت وكثرت فتنحى حتى ترك الصلوات إلا الجمعة ، وهى تنمى كما ينمى الدود ، حتى ترك الجمعة ، فطفق يتلقى الركبان يوم الجمعه ليسألهم عن الأخبار ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما فعل ثعلبة ؟ فقالوا يارسول الله ، اتخذ غنما فضاقت عليه المدينة ، فأخبره بأمره ، فقال : « ياويح ثعلبة ، ياويح ثعلبة ، ياويح ثعلبة » . وأنزل الله جل ثناؤه « خذ من أموالهم صدقة . الآية ، ونزلت فرائض الصدقة ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجلين على الصدقة من المسلمين ، رجلا من جهينة ورجلا من سليم ، وكتب لهما كيف يأخذان الصدقة من المسلمين وقال لهما :

مرا بثعلبة وفلان — رجلا من بنى سليم — فخذا صدقاتهما ، فخرجا حتى أتيا ثعلبة ، فسألاه الصدقة ، وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هـذه إلا جزية ، ما هـذه إلا أخت الجزية ما أدرى ما هذا ؟ انطلقا حتى تفرغا ثم عودا إلى فانطلقا وسمع بهما السلمى فنظر إلى خيار أسنان إبله . فعزلها للصدقة ثم =

. . . .

= استقبلهما بها : فلما رأوها قالوا : ما يجب عليك هذا؟ وما نريد أن نأخذ هذا منك؟ فقال : بلى فخذوها فإن نفسى بذلك طيبة ، وإنما هى له ، فأخذاها منه ، ومرا على الناس فأخذا الصدقات ، ثم رجعا إلى ثعلبة فقال : أرونى كتابكما ، فقرأه فقال : ما هذه إلا جزية ، ما هذه إلا أخت الجزية انطلقا ، حتى أرى رأى ، فانطلقا حتى أتيا النبى صلى الله عليه وسلم ، فلما رآهما قال : « ياويح ثعلبة » قبل أن يكلمهما ، ودعا للسلمى بالبركة ، فأخبراه بالذى صنع ثعلبة والذى صنع السلمى . فأنزل الله عز وجل :

« ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن الآية . قال : وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، رجل من أقارب ثعلبة ، فسمع ذلك فخرج حتى أتاه فقال : ويحك يا ثعلبة ، قد أنزل الله فيك كذا وكذا ، فخرج ثعلبة حتى أتى النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأله أن يقبل منه صدقته فقال : إن الله منعنى أن أقبل منك صدقتك فجعل يحثو على رأسه التراب ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : هذا عملك قد أمرتك فلم تطعنى فلما أبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يقبل صدقته رجع إلى منزله فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم يقبل منه شيئا ، ثم أتى أبا بكر رضى الله عنه ، حين استخلف فقال : قد علمت منزلتى من رسول الله ، وموضعى من الأنصار ، فأقبل صدقتى ، فقال أبو بكر لم يقبلها منك رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبى =

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا الله من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله ، بخلوا به وتولوا وهم معرضون ، فأعقبهم نفاقا فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون »[1]

[وجه سادس] .

وقد يكون الإجمال فى الطلب . . .[2] أن يطلب العبد حظوظ دنياه . قال تعالى :

= أن يقبلها فقبض أبو بكر ولم يقبلها . فلما ولى عمر رضى الله عنه ، أتاه فقال : يا أمير المؤمنين ، اقبل صدقتى ، فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبو بكر ، وأنا أقبلها منك ؟ فقبض ولم يقبلها . فلما ولى عثمان رضى الله عنه ، أتاه فقال : اقبل صدقتى ، فقال : لم يقبلها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، وأنا أقبلها منك ؟ فلم يقبلها منه ، فهلك ثعلبة فى خلافة عثمان » اهـ .

(١) الآية ٧٥ — ٧٧ من سورة التوبة وبعد الآية هنا سقط نصه فى فروينه [وقد يكون الإجمال فى الطلب أن يكون طلبك غير شاك فى القسمة ، ولا تاركا الحرمة) وهذا السقط خطأ فى فروينه لأنه ابتداء الحديث عن الوجه السابع كما سيأتى بعد فى موضعه .

(٢) هنا سقط ونصه فى فروينه [أن تطلب من الله ما فيه رضاه وغير الإجمال . . .] وسياق الكلام يقتضى صحة ذلك .

« فمن الناس من يقول ربنا آتنا فى الدنيا وما له فى الآخرة من خلاق ، ومنهم من يقول ربنا آتنا فى الدنيا حسنة ، وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار »[١] .

[وجه سابع][٢] :

وقد يكون الإجمال فى الطلب أن يكون طلبك غير شاك فى القسمة ولا تاركا حفظ الحرمة .

[وجه ثامن][٣] :

وقد يكون الإجمال فى الطلب ، أن تطلب ولا تستعجل الإجابة ، وغير الإجمال أن تستعجلها وقد نهى النبى صلى الله عليه وسلم ، عن ذلك بقوله[٤] :

« يستجاب لأحدكم ما لم يقل دعوت فلم يستجب لى »[٥]

---

(١) الآية : ٢٠١ من سورة البقرة.

(٢) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٣) كذلك ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه

(٤) بقوله ، لم توجد فى فروينه .

(٥) هذا الحديث رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى ، وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يستجاب لأحدكم مالم يعجل يقول : قد دعوت فلم يستجب لى» اه

وقد دعا موسى وهرون عليهما السلام على فرعون ، فيما حكاه الله تعالى عنهما بقوله :

« ربنا اطمس على أموالهم ، واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم »[١]

فقال سبحانه وتعالى :

« قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون »[٢]

وكان بين قوله تعالى لهما : « قد أجيبت دعوتكما » ، وإهلاك فرعون أربعون عاما .

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله ، فى قوله سبحانه وتعالى :

« فاستقيما » أى على عدم استعجال ما طلبتما .

« ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون » . قال : هم المستعجلون الإجابة ،

[وجه تاسع][٣] :

(١) الآية : ٨٨ من سورة يونس

(٢) الآيه : ٨٩ من سورة يونس

(٣) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

وقد يكون الإجمال فى الطلب أن يطلب وهو شاكر لله تعالى إن أعطى، [وشاهد حسن اختيار ربه][1] إذا منع ؛ فرب طالب لا يشكر إن أعطى، ولا يشهد حسن اختيار[2] ربه فى المنع ، بل طالب من الله جازم أن المصلحة له ، أن يعطى .

ومن أين لهذا العبد الجاهل أن يحكم على علم الله ، وأن يعلم ما فيه[3] غيب الله ؟

وكفى بالعبد جهلا أن يتخير على مولاه ، بل إذا سألته فسله مفوضا إليه غير مدبر معه ولا مختار عليه :

« وربك يخلق ما يشاء ويختار ما كان لهم الخيرة »[4]. هذا فيما أبهم أمره والبيان فى ذلك: أن المدعو به على ثلاثة أقسام :

ما هو خير قطعا ، فاطلبه من الله تعالى من غير استثناء ، كالإيمان ، وجميع الطاعات .

---

(١) وفى فروينه : إن أعطى شاهدا حسن اختياره

(٢) وفى فروينه : حسن اختياره

(٣) وفى نسخة : فى غيب الله

(٤) الآية : ٦٨ من سورة القصص .

وما هو شر قطعا ، فاطلب[1] من الله السلامة منه من غير استثناء، كالكفر والمعصية .

وما هو مبهم الأمر ، كالغنى ، والعز ، والرفعة ، فاطلب ذلك[2] من الله تعالى قائلا :

« إن علمت ذلك خيرا لى » .

كذلك[3] سمعته من الشيخ رحمه الله .

[وجه عاشر][4] :

وقد يكون الإجمال فى الطلب أن يكونوا فى الطلب على سابق قسمته معتمدين ، ولا يكونوا إلى طلبهم مستندين .

وقد يكون الإجمال فى الطلب : أن يطلبوا وهم لعدم الاستحقاق شاهدون ، [فأولئك حرى بهم أن يستوجبوا[5]] منة رب العالمين ، قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

---

(٥) وفى نسخة : تطلب

(٦) كذلك لم توجد فى فروينه

(٧) وفى نسخة :وكذلك

(٨) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٩) ما بين القوسين نصه فى فروينه [فذاك حرى أن يستوجبوا وكذلك فى(١)]

« ما طلبت[١] شيئاً إلا وقدمت إساءتى أمامى » اهـ

يريد رحمه الله ، حتى لا يطلب[٢] من الله بوصف يستحق العطاء ، بل لا يكون طلبه وجود فضله إلا بفضله .

فهذه عشرة أوجه فى الإجمال فى الطلب ، وليس القصد بها الحصر ، إذا الأمر أوسع من ذلك ، ولكن بحسب ماناول الغيب ، وأنعم به المولى سبحانه وتعالى ، وهو كلام صاحب الأنوار المحيطة .

فما يأخذ الآخذ منه إلا على حسب نوره ، ولا يأخذ من جواهر بحره إلا على قدر قوة غوصه ، وكل يفهم على حسب المقام الذى أقيم فيه :

« تسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها عن بعض فى الأكل[٣] »

وما لم يأخذوه أكثر مما أخذوا ، واسمع قوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) وفى فروينه : ما طلبت من الله شيئا .

(٢) وفى نسخة . لا أطلب :

(٣) وهذا اقتباس من الآية الكريمة : « صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد . . . الرعد آية : ٤

« وأوتيت جوامع الكلم ، واختصر لى الكلام اختصارا »(١)

---

(١) هذا الحديث رواه أبو يعلى فى مسنده عن عمر رضى الله عنه .
وفيما رواه عبد الرحمن بن اسحاق بسنده عن خالد بن عرفطة قال : كنت جالسا عند عمر إذ أتى برجل من عبد القيس مسكنه بالسوس فقال له عمر : أنت فلان بن فلان العبدى ؟ قال نعم ، قال وأنت النازل بالسوس ، قال نعم ، فضربه بقناة معه قال فقال الرجل : مالى يا أمير المؤمنين ؟ فقال له عمر : اجلس فجلس فقرأ عليه بسم الله الرحمن الرحيم · آلر تلك آيات الكتاب المبين إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون . نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » . فقرأه عليه ثلاثا وضربه ثلاثا ، فقال له الرجل مالى يا أمير المؤمنين ؟ فقال : أنت الذى نسخت كتاب دانيال، قال مرنى بأمرك أتبعه . قال أنطلق فامحه بالحميم والصوف الأبيض ثم لا تقرأه ولا يقرأه أحدا من الناس ، فلئن بلغنى عنك أنك قرأته أو أقرأته أحدا من الناس لأنهكتك عقوبة . . ثم قال : اجلس ، فجلس بين يديه فقال : انطلقت أنا فانتسخت كتابا من أهل الكتاب ثم جئت به فى أديم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ماذا فى يدك يا عمر ؟ قلت يا رسول الله كتاب نسخته لنزداد به علما فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحمرت وجنتاه . ثم نودى بالصلاة جامعة فقالت الأنصار : أغضب نبيكم صلى الله عليه وسلم ؟ السلاح السلاح ، فجاءوا حتى أحدقوا بمنبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

=

فلو عبر العلماء بالله أبد الآباد ، عن أسرار الكلمة الواحدة من كلامه ، لم يحيطوا بها علما ، ولم يقدروها فهما ، حتى قال بعضهم :

« عملت بهذا الحديث سبعين عاما وما فرغت منه ، وهو قوله عليه الصلاة والسلام :

« من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه[1] »

وصدق رضى الله عنه ، ولو مكث عمر الدنيا أجمع وأبد الآباد لم يفرغ من حقوق هذا الحديث ، وما أودع فيه من غرائب العلوم وأسرار الفهوم .

=(ياأيها الناس إنى قد أوتيت جوامع الكلم وخواتيمه، واختصر لى اختصارا ، ولقد أتيتكم بها بيضاء نقية فلا تتهوكوا ولا يغرنكم المتهوكون) . قال عمر ، فقمت فقلت ، رضيت بالله ربا ، وبالإسلام دينا ، وبك رسولا .

ثم نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم) اهـ .

(١) هذا الحديث أخرجه الترمذى ، وابن ماجه عن أبى هريرة ، وأحمد فى مسنده والطبرانى فى المعجم الكبير عن الحسين بن على ، والحاكم فى التاريخ عن على ، والحاكم فى الكنى عن أبى بكر ، والطبرانى فى المعجم الصغير عن زيد بن ثابت ، والشيرازى عن أبى ذر ، وابن عساكر عن الحارث بن هشام رضى الله عنهم

(التوكل والأخذ بالأسباب)*

انعطـــــاف :

أنظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم

« لو توكلتم على الله حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا[1] » . تراه يدل على الأمر بالتوكل على الله تعالى ، لا على نفي الأسباب ، بل يدل على إثباتها لقوله عليه الصلاة والسلام :

« تغدو خماصا وتروح بطانا » .

---

* العنوان من عمل المحقق

(١) هذا الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده . وابن خزيمة ، والترمذى ، وابن ماجة ، وابن حبان فى الصحيح والحاكم فى المستدرك عن عمر رضى الله عنه ، ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« لو أنكم توكلتم على الله تعالى حق توكله ، لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا وتروح بطانا) اه .

ومن طريف ما يحكى ويؤيد هذا أنه قيل لحاتم الأصم : من أين تأكل ؟ فقال : من عند الله . فقيل له : الله ينزل لك دنانير ودراهم من السماء ؟ فقال كأن ماله إلا السماء ؟ يا هذا ، الأرض له والسماء له . فإن لم يؤتنى رزقى من السماء ، ساقه لى من الأرض . وأنشد :

وكيف أخاف الفقر والله رازقى ورازق هذا الخلق فى السر واليسر

تكفــــل بالأرزاق للخلق والضب فى البيداء والحوت فى البحر اه

فقد أثبت لها غدوها ورواحها ، وهو سببها ونفى عنها الإدخار .

فكأنه صلى الله عليه وسلم يقول :

« لو توكلتم على الله حق توكله ، لما ادخرتم ولأغناكم التوكل على الله عن الإدخار معه ورزقتم كما يرزق الطير ، تؤتى برزق يومها ، ولا تدخر لغدها ، ثقة منها ، بأن الله تعالى لا يضيعها ، فأنتم أيها المؤمنون أولى بذلك .

فأفاد عليه السلام : أن الإدخار ، إنما هو من ضعف اليقين .

فإن قلت : أكل ادخار هذا حكمه ، أو هو[1] مختلف الحال .

(حكم الادخار وبيان أقسامه)*

فاعلم أن الإدخار على ثلاثة أقسام : إدخار الظالمين ، وإدخار المقتصدين ، وإدخار السابقين .

فأما القسم الأول : فهم المدخرون بخلا واستكثارا ، الممسكون مباهاة وافتخارا .

(١) وفى فروينه : أم .

* العنوان من عمل المحقق .

فقد[١] استحكمت الغفلة على قلوبهم ، واستولى الشره على نفوسهم ، فهم لا تفرغ من الدنيا نهمتهم ، ولا تتوجه إلى غيرها همتهم ، الثابت فقرهم وإن كانوا أغنياء ، الظاهر ذلهم وإن كانوا أعزاء ، فهم من الدنيا لا يشبعون ، وعن طلبهما لا يفترون .

تلاعبت بهم الأسباب ، وتفرقت بهم الأرباب ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون .

لم يبق فى قلوبهم متسع لوعى الحكمة[٢] واستماع الموعظة ، فقل أن ترفع أعمالهم ، أو تزكى أحوالهم لأن خوف الفقر قد سكن قلوبهم ، وقد قال صلى الله عليه وسلم :

« من سكن خوف الفقر قلبه ، قلما يرفع له عمل[٣] »

فيجب على المؤمن المعافى مما هم فيه داخلون ، والسالم مما هم فيه منصرفون[٤] ، والمتطهر مما هم به متدنسون ، أن يحمد الله تعالى

---

(١) فقد : لم توجد فى قرينه .

(٢) وفى نسخة أخرى : حكمته .

(٣) وفى فروينه : تزكوا .

(٤) ويشهد لصحة ذلك ويؤكده ، ما راه الإمام أحمد بسنده عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :=

على ما خصه به من افضاله ، وأنعم به عليه من نواله ، وقـــــل إذا رأيتهم :

« الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاهم به ، وفضلنى على كثير ممـن خلق تفضيلا »

كما أنك إذا رأيت مصابا فى بدنه ، حمدت الله الذى عافاك وشهدت ما أنعم به عليك مولاك ، كذلك يجب عليك وأحرى أن تشكر الله ، إذا عافاك من أسباب الدنيا ، والخوض [1] فيها ، وابتلى بذلك غيرك (وأن لا تحقرهم [2]) بل اجعل عوض (احتقارك بهم [3]) وعوض

= يقول الله تعالى : « يا ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنى ، وأسد فقرك ، وإلا تفعل ملأت صدرك شغلا ، ولم أسد فقرك » . رواه الترمذى وابن ماجه من حديث عمران بن زائدة وقال الترمذى حسن غريب .

(١) وفى فروينه : والحرص فيها .
(٢) وفى فروينه أن تحقرهم وفى (د) أن تحقره .
(٣) ما بين القوسين نصه فى فروينه [احتقارك لهم رحمتك لهم]

دعائك عليهم دعائك لهم . واقتد بما فعل العارف بالله ، معروف[1] رحمه الله فما فعله هو عن المعروف عبر هو وأصحابه على دجلة ، فرأى أصحابه

---

(١) هو أبو محفوظ معروف بن فيروز الكرخي رضى الله تعالى عنه . وهو من جملة المشايخ المشهورين بالزهد والورع والفتوة مجاب الدعوة يستسقى بقبره وهو من موالى على بن موسى الرضا رضى الله عنه . صحب داود الطائى رضى الله عنه ومن كلامه رضى الله عنه : إذا أراد الله بعبد خيراً فتح عليه باب العمل . وأغلق عنه باب الجدل. وإذا أراد الله بعبد شرا أغلق عليه باب العمل وفتح له باب الجدل) . وكان رضى الله عنه يقول : (ما أكثر الصالحين ، وما أقل الصادقين فيهم) وكان رضى الله عنه : (لولا إخراج حب الدنيا من قلوب العارفين ماقدروا على فعل الطاعات ، ولو كان من حب الدنيا ذرة فى قلوبهم لما صحت لهم سجدة واحدة) . ومن كلامه رضى الله عنه : العارف يرجع إلى الدنيا اضطراراً ، والمفتون يرجع إليها اختياراً) . وكان يقول :

(إذا عمل العالم بالعلم استوت له قلوب المؤمنين ، وكرهه كل من فى قلبه مرض) . وكان يقول : اذا أراد الله بعبد خير زوى عنه الخذلان واسكنه بين الفقراء الصادقين . واذا أراد الله بعبد شرا عطله عن الأعمال الصالحة حتى تكون على قلبه أثقل من الجبال وأسكنه بين الأغنياء) . توفى ببغداد ودفن بها سنة مائتين وقبره ظاهر يزار ليلا ونهارا . رضى الله عنه ورحمه رحمة واسعة .

سمارية(١) بها قوم أهل لهو ، وفسوق ، وطرب . فقالوا :

يا أستاذ ، أدع الله عليهم ، فرفع يديه وقال :

« اللهم كما فرحتهم فى الدنيا ، فرحهم فى الآخرة »

فقالوا . يا أستاذ ، إنما قلنا لك ، أدع عليهم . فقال :

إذا افرحهم فى الآخرة تاب عليهم ، ولا يضركم من ذلك شىء ،

فالتصقت السمارية فى الوقت إلى البر ، نزل الرجال ناحية ، والنساء ناحية .

فتطهر هؤلاء وهؤلاء ، وخرجوا إلى الله تائبين ، فكان منهم زهاد(٢) وعباد ، ببركة دعوة معروف .

فإذا(٣) نظرت أهل التخليط والإساءة ، فاعلم أنه محكوم عليهم بسابق العلم ، ونافذ المشيئة ، وإن لم تفعل خيف عليك أن تبتلى بمثل محنتهم وأن تقطع كعطيتهم .

واسمع ما قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله

---

(١) وفى فروينه : فيها . وكذلك فى (ا)

(٢) وفى فروينه : فكان منهم عبادا وزهادا ببركات .

(٣) وفى نسخة : وإذا .

« أكرم المؤمنين وان كانوا عصاة فاسقين ، وأمرهم[1] بالمعروف، وانههم عن المنكر ، واهجرهم رحمة بهم لا تعززا[2] عليهم»

وقال رحمة الله عليه :

« لو كشف عن نور المؤمن العاصى لطبق ما بين السماء والأرض .

فما ظنك بنور المؤمن المطيع ؟ » اهـ

ويكفيك فى تعظيم المؤمنين ، وان كانوا[3] عن الله غافلين ، قول رب العالمين :

« ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا ، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله[4] »

فانظر كيف أثبت لهم الاصطفاء مع وجود ظلمهم، ولم يجعل ظلمهم[5] مخرجا لهم عن اصطفائيته ، ولا من وارثه كتابه .

(١) وفى فروينه : ومرهم .
(٢) وفى نسخة أخرى : تعززا .
(٣) وفى نسخة: وان كانوا غافلين عن الله .
(٤) الآية : ٣٢ من سورة فاطر .
(٥) وفى نسخة (ا) الاصطفائية .

واصطفاهم بالإيمان وإن كانوا ظالمين بوجود العصيان .

فسبحان الواسع الرحمة ، والعظيم المنة .

واعلم أنه لابد فى مملكته من عباد ، هم نصيب الحلم، ومحل ظهور الرحمة والمغفرة ، ووقوع الشفاعة.

وافهم ماقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

والذى نفسى بيده لو لم تذنبوا لذهب الله بكم وجاء بقوم يذنبون فيستغفرون الله فيغفر لهم(٤) »

وقوله عليه الصلاة والسلام :

---

(٤) وفيما أخرجه الإمام مسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لولم تذنبوا لذهب الله بكم، ولجاء بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم »

وفيما أخرجه الإمام أحمد فى مسنده ، والإمام مسلم فى صحيحه ، والترمذى عن أبى أيوب رضى الله عنه ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : «لولا أنكم تذنبون لخلق الله خلقا يذنبون فيغفر لهم »

وفيما أخرجه البزار عن أنس رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لولم تذنبوا لخشيت عليكم ماهو أكبر منه العجب »

أما بالنسبة لما يؤكد قبول الاستغفار ما رواه الإمام أحمد فى مسنده .=

« شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي(١) »

وجاء رجل إلى الشيخ أبي الحسن رحمه الله فقال :

ياسيدي ! كان البارحة بجوارنا من المنكرات كيت ، كيت ، وظهر من ذلك الرجل استغراب أن يكون هذا ، فقال :

= بسنده عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال ابليس: يارب. وعزتك لا أزال أغوى بني آدم مادامت أرواحهم في أجسادهم ؛ قال الله تعالى : وعزتي وجلالي لا أزال أغفر لهم ما استغفروني » اهـ

(١) هذا الحديث الصحيح أخرجه الطبراني في المعجم الصغير ، عن عبد الله بن مبارك عن عاصم الأحول ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي يوم القيامة . أما الرواية التي لم تذكر (يوم القيامة) فالحديث أخرجه عن الرزاق في الجامع ، وأحمد في مسنده ، وأبو داود ، والترمذي ، وابن خزيمة ، وابن حبان في الصحيح ، والحاكم في المستدرك ، والبيهقي في الشعب والزهد عن أنس . وأخرجه أحمد في مسنده . وأبو داود . والنسائي وابن خزيمة وابن حبان في الصحيح . والحاكم في المستدرك والبيهقي في الشعب والزهد . عن جابر وأخرجه الطبراني في لمعجم الكبير . عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأخرجه البيهقي في البعث . والخطيب في تاريخ بغداد . عن كعب بن عجرة وأخرجه بن عدي في الكامل . في تاريخ بغداد . عن ابن عمر رضي الله عنه .

ياهذا كأنك تريد أن لا يعصى الله فى مملكته ، من أحب أن لا يعصى الله فى مملكته فقد أحب أن لا تظهر مغفرته ، وأن لا تكون شفاعة رسول الله عليه الصلاة والسلام » اهـ

وكم من مذنب كثرت[1] إساءته ، وزل[2] مخالفته . أوجبت له الرحمة من ربه ،

فكن له راحما ، وبقدر إيمانه وإن عصى عالما ·

القسم الثانى ، من أقسام الادخار ، ادخار المقتصدين :

وهم الذين لم يدخروا استكثارا[3] ، ولا مباهاة ، ولا افتخارا ، إنما علموا من نفوسهم الاضطراب عند الفقر[4] ، فعلموا أنهم إن لم يدخروا تشوش عليهم إيمانهم ، وتزلزل إيقانهم ، فادخروا لضعفهم عن حال المتوكلين ، وعلما منهم بعجزهم عن مقام اليقين ، وقد قال رسول الله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) وفى فروينه : كسره .
(٢) وفى نسخة أخرى : وذله .
(٣) وفى فروينه : الذين يدخرون استكثارا .
(٤) وفى فروينه الفقد

« المؤمن القوى خير عند الله من المؤمن الضعيف، وفى كل خير(١) »

فالمؤمن القوى ، هو الذى أشرق فى قلبه نور اليقين ، فعلم أن الله تعالى سائق إليه رزقه ، ادخر أو لم يدخر ، [وأنه إن لم يدخر ، ادخر له الحق تعالى(٢):] وأن المدخرين محالون على مدخراتهم ، وأهل التوكل محالون(٣) على الله ، لا على شيء دونه .

فالمؤمن القوى : من لم يستند إلى الأسباب ، سواء كان فيها ، أو لم يكن .

---

(١) هذا جزء من حديث أخرجه الإمام مسلم فى صحيحه . وابن ماجه . والنسائى . عن أبى هريرة . ونصه . عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
(المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفى كل خير ، أحرص على ما ينفعك ، واستعن بالله ولا تعجز ، وإن أصابك شيء فلا تقل : لو أنى فعلت كذا ، كان كذا ، وكذا ، فإن لو تفتح عمل الشيطان ، ولكن قل : قدر الله ،وما شاء فعل) اهـ .
(٢) ما بين القوسين نصه فى فروينه [إذا لم يدخر . أدخر الحق له]
(٣) وفى فروينه : محتالون .

والمؤمن الضعيف ، الداخل فى الأسباب مع المراكنة ، والخارج عنها مع التطلع إليها .

القسم الثالث : بالنسبة إلى الادخار وعدمه : السابقون .

وهم الذين سبقوا إلى الله ليخلص قلوبهم مما سواه . فلم تعقهم العوائق ، ولم تشغلهم عن الله العلائق ، فسبقوا[1] إلى الله ، إذ لا مانع لهم .

وإنما منع العباد من السبق إلى الله تعالى ، جواذب التعلق بغير الله .

فكلما همت قلوبهم أن ترحل إلى الله ، جذبها ذلك التعلق إلى ما به تعلقت ، فكرت راجعة إليه ، ومقبلة عليه ، فالحضرة محرمة على من هذا وصفه ، وممنوعة ممن هذا نعته .

قال بعض العارفين :

« أتظن أن تدخل إلى[2] الحضرة الإلاهية ، وشيء من ورائك يجذبك ؟ » .

وافهم ها هنا قوله سبحانه :

---

(١) وفى فروينه : فسبقوا إليه.

(٢) إلى : لم توجد فى فروينه.

« يوم لا ينفع مال ولا بنون ، إلا من أتى الله بقلب سليم [1] »

وإن القلب السليم : هو الذى لا تعلق له بشيء دون الله تعالى .

وقوله سبحانه وتعالى :

« ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة[2] » يفهم منه أيضا:

أنه لا يصح مجيئك إلى الله تعالى بالوصول إليه ، إلا إذا كنت فردا مما سواه .

وقوله تعالى :

« ألم يجدك يتيما فآوى[3] يفهم منه :

أنه لا يأويك إليه ، إلا إذا صح يتمك مما سواه .

وقوله عليه الصلاة والسلام :

« إن الله وتر يحب الوتر »[4] .

---

(١) الآية : ٨٨ ، ٨٩ من سورة الشعراء .

(٢) الآية : ٩٤ من سورة الأنعام .

(٣) الآية : ٦ من سورة الضحى .

(٤) هذا الحديث رواه أبو داود والترمذى ، وقال حديث حسن وفيما أخرجه أبو يعلى فى مسنده : وابن خزيمة ، عن على عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :
=

أى يحب القلب الذى لا يشفع بمشوبات الآثار ؛ فكانت هذه القلوب لله ، وبالله ، تركوا الله يتصرف لهم ، فلم يكلهم إلى أنفسهم ، ولم يدعهم لتدبيرهم ، فهم أهل الحضرة المفاتحون بعين المنة . لا تقطعهم[1] عن الله محاسن الآثار ، ولا تشغلهم عنه بهجة الحسن المعار ، ولنا فى هذا المعنى[2] :

يا بهجة الحسن التى ما مثلها   من بهجة طرحت على الأكوان
لى فيك معنى ما تبدى سره   إلا ثنى طرفى ومد عنانى

وقال بعضهم :

« لو كلفت أن أرى غيره لم أستطع[3] ، لأنه لا غير معه ، حتى أشهده معه » .

= (إن الله وتر يحب الوتر ، فأوتروا يا أهل القرآن) .
وفيما أخرجه أحمد فى مسنده . وأبو داود . والحاكم فى المستدرك . عن بريدة رضى الله عنها . أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (الوتر حق ، فمن لم يوتر فليس منا) .

(١) وفى فروينه : لا تقطعهم ،
(٢) وفى نسخة (د) فى هذا المعنى شعرا .
(٣) وفى فروينه : فإنه .

وهذا حال أقوام تولتهم الرعاية ، واكتنفتهم العناية .

فأى تدبير بهؤلاء ؟ أم كيف يمكن هؤلاء أن يكونوا من المدخرين ، وهم فى حضرة رب العالمين ؟

وإن ادخروا لم يكونوا على ما ادخروه معتمدين؟ أم كيف يمكنهم أن يكونوا إلى سواه مستندين ، وهم لوجود الأحدية مشاهدون ؟

قال[1] الشيخ أبو الحسن الشاذلى رحمه الله :

قوى علىّ الشهود مرة فسألت[2] أن يستر ذلك عنى ، فقيل[3] :

لو سألته بما سأله موسى كليمه ، وعيسى روحه ، ومحمد صفيه ، لم يفعل ، ولكن سله أن يقويك ، فسألته فقوانى » اهـ .

فمن كان هذا حاله، فكيف يحتاج إلى الإدخار ؟ أم كيف يمكنه أن يستند إلى الأغيار[4] ؟

وكفى بالمؤمن أن يدخر إيمانا بالله ، وثقة به ، وتوكلا عليه .

---

(١) وفى فروينه : وقال .
(٢) وفى نسخة : فسألته .
(٣) وفى فروينة : فقيل له .
(٤) وفى فروينه : الآثار .

وأهل الفهم عن الله : توكلوا عليه ، فـكان هو المذخر لهم ، واستحفظوه ، فـكان هو الحافظ لهم ، وكانوا له وبه ، فـكان بمعونته لهم ، فـكفاهم ما أهمهم ، وصرف عنهم ما أغمهم .

اشتغلوا بما أمرهم ، عما ضمن لهم ، علما[1] منهم بأنه لا يكلهم إليهم ، ومن فضله لا يمنعهم ، فدخلوا فى الراحه ، ورفعوا فى جنة التسلم ، ولذاذة التفويض ، فرفع الله بذلك مقدارهم ، وكمل أنوارهم ، ويحق أن يرفع المحاسبة عنهم بفضله ، كما قال رسول الله عليه الصلاة والسلام :

« سبعون ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب »[2] .

---

(١) وفى نسخة أخرى : علما منه .

(٢) هذا جزء من حديث شريف أخرجه البزار ، عن أنس رضى الله عنه ، ولفظه عن أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « سبعون ألفا من أمتى يدخلون الجنة بغير حساب ، هم الذين لا يكتوون ، ولا يكوون ، ولا يسترقون ، ولا يتطيرون ، وعلى ربهم يتوكلون » .

وفيما أخرجه البخارى ومسلم عن سهل بن سعد ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « ليدخلن الجنة من أمتى سبعون ألفا ، أو سبعمائة =

قيل : من هم يا رسول الله ؟ قال :

هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون » اهـ .

وكيف يحاسب من لا شيء له؟ أم كيف يسأل عن فعله من شهد[1] أنه لا فعل له ؟

وإنما يحاسب المدعون ، ويناقش الغافلون ، الذين يشهدون أنهم مالكون ، أو مع الله فاعلون .

ومن لم يدخر ، ثقة بالله ، وتوكلا عليه ، ساق الله له رزقه بوجود الهنا ، وأوجد فى قلبه وجود الغنا .

أفلس بعض العارفين ، فقال لزوجته :

أخرجى كل ما فى البيت ، فتصدق به ، ففعلت إلا الرحا ، فإنها قالت :

= ألف، متماسكون. آخذ بعضهم بيد بعض ، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم ، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر ، اهـ .

(١) وفى قرونيه : يشهد .

لعلنا نحتاج إليها ، ولا نجد مثلها ؛ فهى قد فعلت[١] ، وإذا بالباب قد دق[٢] ، فقيل :

هذا قمح [أرسل إلى الشيخ ، فلأت][٣] الدار قمحا ، فلما رجع العارف ونظر ، قال :

أخرجت كل ما فى البيت[٤] ؟ قالت : نعم .

قال : وليس[٥] الأمر كذلك .

فقالت : ما تركت إلا الرحا ، خيفة أن نحتاج إليها .

فقال : لو أخرجت الرحا ، لجاءك دقيق،ولكن أبقيتها[٦] فجاءك ما به تتعبين » اهـ .

---

(١) وفى نسخة : فعلت ذلك .
(٢) وفى فروينه : وإذا بالباب يدق
(٣) وفى فروينه : أرسل للشيخ فليت .
(٤) وفى نسخة : الدار
(٥) وفى فروينه : فليس .
(٦) وفى فروينه : ولكن أبقيتها ، وكذلك فى (ا) وهو الأصح .

« إدخار الأنبياء إمساك بالأمانة* »

فإن[1] ادخر السابقون فلا لأنفسهم ، ولكن [ادخار أمانة ، لأنهم][2] خزان أمناء ، وعبيد كبراء ، إن أمسكوا الدنيا أمسكوها بحق ، وإن بذلوها بذلوها بحق .

[وليس الممسك لها بحق] [3] بدون الباذل لها بحق ، ولا يشهدون أنهم مع الله مالكون ، بل ما فى أيديهم يشهدونه ، من ودائع الله ، ويتصرفون فيها[4] بالنيابة عن الله :

سمعوا قوله تعالى .

« وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه[5] » . فعلموا أنه لا ملك لهم مع الله ، وإنما هى نسبة أضيفت إليك ، وإضافة منة مَنَّ[6] بها

---

(١) وفى فروينه : وإن

(٢) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٣) ما بين القوسين غير موجود فى فروينه .

(٤) وفى فروينه : فيه

(٥) الآية : ٧ من سورة الحديد .

(٦) منة لم توجد فى فروينه.

عليك ، ليرى [كيف تعمل[1]] وهو العليم الخبير .

أتقف مع ظاهرها ، أم تتفقد[2] إلى أسرارها ؟

ولذلك كان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، لا تجب عليهم الزكاة، لأنهم لا ملك لهم مع الله حتى تجب عليهم الزكاة فيه ، وإنما تجب عليك زكاة ما أنت له مالك .

[إنما يشهدون[3] ما فى أيديهم] من ودائع الله تعالى لهم ، يبذلونه فى أوان بذله ، ويمنعونه من غير محله .

ولأن الزكاة إنما هى[4] طهرة لما عساه أن يكون [ممن وجبت[5]] عليه ، لقوله تعالى :

« خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها[6] » .

والأنبياء عليهم الصلاة والسلام مبرؤن من الدنس ، لوجود العصمة

---

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .
(٢) وفى نسخة : تفقد
(٣) ما بين القوسين نصه فى فروينه [إنما كان فى أيديهم]
(٤) وفى فروينه إنما طهر لما عساه . .
(٥) وفى فروينه عمن أوجبت .
(٦) من الآية: ١٠٣ من سورة التوبة .

ولأجل ذلك ، لم يوجب أبو حنيفة[1] رحمه الله على الصبيان زكاة،

---

(١) هو أبو حنيفة النعمان بن ثابت رضى الله تعالى عنه . ولد سنة ثمانين من الهجرة ، وكان فى زمنه أربعة من الصحابة : أنس بن مالك ، وعبد الله بن أبى أوفى ، وسهل بن سعد وأبو الطفيل وهو آخرهم موتا ولم يأخذ عن واحد منهم .

كان رضى الله عنه حسن الثياب طيب الريح كثير الكرم ، حسن المواساة لإخوانه ، كان يعرف بريح الطيب إذا أقبل وإذا خرج من داره أكره رضى الله عنه ، على توليته القضاء ، وضرب على رأسه ضربا شديدا أيام مروان فلم يقبل التولية .

وكان أحمد بن حنبل رضى الله عنه ، إذا ذكر ذلك بكى وترحم عليه ثم أكرهه أبو جعفر بعد ذلك وأشخصه من الكوفة إلى بغداد فأبى وقال: لا أكون قاضيا فحبسه . وأخرجه المنصور مرات من الحبس يتوعده وهو يقول . يامنصور اتق الله ولا تول إلا من يخاف الله تعالى ، والله ما أنا مأمون فى الرضا ، فكيف أكون مأمونا فى الغضب؟

ويقول عنه الشافعى رضى الله عنه: « الناس عيال على أبى حنيفة رضى الله عنه فى الفقه » وذكر عنه . الإمام الشعرانى فى طبقاته قائلا :

« كان لاينام الليل وسموه الوتد لكثرة صلاته .وصلى الصبح بوضوء العشاء أربعين سنة . وكان رضى الله عنه لايجلس فى ظل جدار غريمه ، ويقول كل قرض جر نفعا فهو ربا.وكان عامة الليل يقرأ القرآن كله فى =

لعدم دنس المخالفة ، والمخالفة لا تكون إلا بعد جريان التكليف ، وذلك بعد البلوغ .

وافهم ها هنا قوله صلى الله عليه وسلم :

« نحن معاشر الأنبياء ، لا نورث ما تركناه صدقة[1] » . يتبين لك ما ذكرناه ، ويتضح ما قررناه .

= كل ركعة ، وكان يسمع بكاؤه حتى يرحمه جيرانه . وختم القرآن فى الموضع الذى مات فيه سبعة آلاف مرة » اهـ

وقال عبد الله بن المبارك عن أبى حنيفة رضى الله عنه « إنه صلى صلوات الخمس أربعين سنة بوضوء واحد » . اهـ

وسئل رضى الله عنه : أيما أفضل ؟ علقمة أو الأسود؟ فقال : والله مانحن بأهل أن نذكرهم ، فكيف نفاضل بينهم ؟

ومن كلامه رضى الله عنه : « لو أن عبدا عبد الله تعالى حتى صار مثل هذه السارية ثم انه لا يدرى مايدخل بطنه حلال أو حرام ماتقبل منه) اهـ وكان يقول : بلغنى أنه ليس فى الدنيا أعز من فقيه ورع) اهـ ومناقبه كثيرة مشهورة . توفى رضى الله عنه ببغداد سنة خمسين ومائة وهو ابن سبعين سنة .

(١) هذا الحديث أخرجه الإمام أحمد فى مسنده عن أبى هريرة ، والنسائى فى سننه عن عمر ، وعبد الرحمن بن عوف ، وسعد وعثمان وطلحة والزبير ، رضى الله عنهم .

وإذا كان أهل المعرفة بالله تعالى المشاهدون لأحديته ، لا يشهدون لهم مع الله ملكا ، فما ظنك بالأنبياء والرسل ؟ صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

وأهل التوحيد والمعرفة : إنما غرفوا من بحارهم ، واقتبسوا من أنوارهم .

يحكى أن الشافعي[1] ، وأحمد[2] ، رحمهما الله ، كانا جالسين ،

---

(١) هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رضي الله عنه ؛ ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما ذكر ذلك الشعراني في طبقاته ، يلتقي معه في عبد مناف . ولد رضي الله عنه بغزة ثم حمل إلى مكة وهو ابن سنتين وعاش أربعا وخمسين سنة ، وأقام بمصر أربع سنين ونيفا ، ثم توفي بمصر ليلة الجمعة بعد المغرب سنة أربع ومائتين . أما نشأته فيقول عنها الشعراني :

« نشأ رضي الله عنه في حجر أمه في قلة عيش ، وضيق حال ، وكان في صباه يجالس العلماء ويكتب ما يستفيده في العظام ، ونحوها لعجز عن الورق ، حتى ملأ منها خبايا ، وتفقه في مكة على مسلم بن خالد الزنجي ونزل في شعب الخيف منها ؛ ثم قدم المدينة فلزم الإمام مالكا رضي الله عنه ، وقرأ عليه الموطأ حفظا فأعجبه قراءته ، وقال له اتق الله فإنه سيكون لك شأن .

=

. . . .

= وكان سنه حين أتى مالكا ثلاث عشرة سنة ، ثم رحل إلى اليمن حين تولى عمه القضاء بها ، واشتهر بها ، حين رحل إلى العراق وجد فى الاشتغال بالعلم ، وناظر محمد بن الحسن وغيره ، ونشر علم الحديث ، وأقام مذهب أهله ، ونصر السنة ، واستخرج الأحكام منها ، ورجع كثير من العلماء عن مذاهب كانوا عليها ، إلى مذهبه ، ثم خرج إلى مصر آخر سنة تسع وتسعين ومائة ، وصنف كتبه الجديدة بها ورحل الناس إليه من سائر الأقطار » .

أما الربيع بن سليمان فيقول عنه : « رأيت على باب الإمام الشافعى رضى الله عنه ، سبعمائة راحلة ، تطلب سماع كتبه رضى الله عنه ، وكان يقول مع ذلك إذا صح الحديث فهو مذهبى . ويقول : وددت أن الخلق تعلموا هذا العلم على أن لاينسب إلىّ منه حرف » . وكان الشافعى يقول: وددت أنى إذا ناظرت أحدا أن يظهر الله تعالى الحق على يديه » . ومن كلامه رضى الله عنه : « من أراد الآخرة فعليه بالإخلاص فى العلم» ومن كلامه أيضا : أظلم الظالمين لنفسه : من تواضع لمن لايكرمه ، ورغب فى مودة من لاينفعه » . ومن كلامه : لاشىء أزين بالعلماء من الفقر والقناعة ، والرضا بهما » . ومن كلامه : «من أحب أن يقضى له بالحسنى ، فليحسن بالناس الظن» . ومن كلامه : أبين مافى الإنسان ضعفه ، فمن شهد الضعف من نفسه ، نال الاستقامة مع الله تعالى » . ومن كلامه : دققوا مسائل العلم لئلا تضيع دقائقه » . ومن كلامه: جمال العلماء كرم النفس =

= وزينة العلم الورع والحلم » . ومن كلامه : من طلب العلم بعز النفس لم يفلح ، ومن طلبه بذل النفس وخدمة العلماء أفلح ، . ومن كلامه : لاعيب بالعلماء أقبح من رغبتهم فيما زهدهم الله فيه ، . ومن كلامه : من لم تعزه التقوى فلا عز له) . وكان رضى الله عنه يقول ، (من أحب أن يفتح الله عليه بنور القلب ، فعليه بالخلوة وقلة الأكل ، وترك مخالطة السفهاء ، وبغض أهل العلم الذين لا يريدون بعلمهم إلا الدنيا . وكان يقول : لو اجتهد أحدكم كل الجهد على أن يرضى الناس كلهم عنه ، فلا سبيل له ؛ فليخص العبد عمله بينه وبين الله تعالى) . وكان رضى الله عنه يقول : (أرفع الناس قدرا من لا يرى قدره ، وأكثرهم فضلا من لا يرى فضله) . وحكمه النفسية كثيرة ، ومناقبه مشهورة رضى الله عنه وأرضاه .

(٢) هو الإمام أحمد بن حنبل رضى الله تعالى عنه . كان يضرب به المثل فى اتباع السنة واجتناب البدعة ، وكان لا يدع قيام الليل قط ، وله فى كل يوم وليلة ختمة ، وكان يسر ذلك عن الناس . وكان يقول ، طوبى لمن أخمل الله تعالى ذكره . وكان يقول : رأيت رب العزة فى المنام فقلت : يارب ما أفضل ما تقرب به المتقربون إليك ؟ فقال : بكلامى يا أحمد فقلت بفهم أو بغير فهم ؟ قال بفهم وبغير فهم) . ويقول عنه الإمام الشعرانى فى الطبقات الكبرى

(قال أبو عصمة رضى الله عنه : بت ليلة عند أحمد رضى الله عنه =

. . . . .

= فجاء نبى بماء فوضعه فلما أصبح نظر إلى الماء كما هو فقال . ياسبحان الله رجل يطلب العلم ولا يكون له من الليل) .

وكان يلبس الثياب النقية البياض ، ويتعهد شاربه وشعر رأسه وبدنه وكان مجلسه خاصا بالآخرة لايذكر فيه من أمر الدنيا . وكان يأتى العرس والأملاك والختان ، ويأكل ؛ وتعرت أمه من الشياب فجاءته زكاة فردها وقال : العرى لهم خير من أوساخ الناس ، وأنها أيام قلائل ثم نرحل من هذه الدار . وكان إذا جاع أخذ الكسرة اليابسة فنفضها من الغبار ثم صب عليها الماء فى قصعة حتى تبتل ، ثم يأكلها بالملح) . ويقول عنه الشعرانى أيضاً : (كان إذا مشى فى الطريق لايمكن أحدا يمشى معه . ولما مرض عرضوا بوله على الطبيب فنظر إليه وقال : هذا بول رجل قد فتت الغم والحزن كبده . . . وكان يحيى الليل كله منذ كان غلاما . . . وكان من أصبر الناس على الوحدة لايراه أحد إلا فى المسجد أو جنازة : أو عيادة : وكان يكره المشى فى الأسوق . . وكان ورده كل يوم وليلة ثلثمائة ركعة . . . وحج رضى الله عنه خمس حجات ثلاثاً منها ماشيا : وكان ينفق فى كل حجة نحو عشرين درهما . . ولما دخل أحمد على المتوكل قال المتوكل لأمه : يا أماه نارت الدار بهذا الرجل ثم أتوا بثياب نفيسة فألبسوها له : فبكى وقال : سلمت منهم عمرى كله حتى إذا دنا أجلى بليت بهم وبدنياهم : ثم نزعها لما خرج) اهـ أنظر الطبقات الكبرى للشعرانى . ومناقبه كثيرة مشهورة . توفى رضى الله =

إذا أقبل شيبان [١] ، الراعى رحمه الله ، فقال أحمد [٢] للشافعى .

= عنه سنة إحدى وأربعين ومائتين : وقد استكمل سبع وسبعين سنة : ولما مرض رضى الله عنه : اجتمع الناس والدواب على بابه لعيادته حتى امتلأت الشوارع والدروب : ولما قبض صاح الناس وعلت الأصوات بالبكاء ، وارتجت الدنيا لموته ، وخرج أهل بغداد إلى الصحراء يصلون عليه ، فحزروا من حضر جنازته من الرجال ثمانمائة ألف ، ومن النساء ستون ألف امرأة سوى من كان فى الأطراف والسفن والأسطحة (رضى الله عنه ورحمه رحمة واسعة) أنظر الطبقات الكبرى للشعرانى

(١) يقول عنه صاحب الكواكب الدرية — عن شيبان الراعى: —

(كان من رؤوس الزهاد، وأكابر العارفين الأمجاد، نعم وكان فى المجاهدة فائقاً ، وفى التوكل على ربه مبالغاً واثقاً) .

ويقول الغزالى عنه فى الإحياء : (كان الشافعى رضى الله عنه يجلس بين يديه كما يجلس الصبى فى المكتب ، ويسأله كيف يفعل فى كذا وكذا ؟ فيقال له : مثلك يسأل هذا البدوى !!! فيقول : إنه وفق لما علمناه : قال فى الفتوحات لما سأله أحمد بن حنبل والشافعى رضى الله عنهما عن زكاة الغنم قال : على مذهبنا أو على مذهبكم ؟ إن كان على مذهبنا فالكل لله لانملك شيئا : وإن كان على مذهبكم ففى كل أربعين شاة : شاة) ومن نسى صلاة من الخمس لايدرى عنها ما يلزمه ؟ فقال : هذا غفل عن الله: فيؤدب بإعادة الخمس حتى لايغفل عن مولاه بعدها) اهـ . =

أريد أن أسأل هذا المشار إليه فى هذا الزمن ؟

فقال الشافعى : لا تفعل .

فقال : لابد من ذلك .

فقال : يا شيبان ، ما تقول : فيمن نسى أربع سجدات من أربع ركعات ؟ .

فقال : يا أحمد ؟

هذا قلب غافل عن الله عز وجل ، يجب أن يؤدب حتى لا يعود إلى مثل ذلك .

= وله أحوال ساميات ، وكرامات ظاهرات ، منها ، أنه كان إذا أجنب ولا ماء عنده جاءت سحابة فأظلته فاغتسل منها . ومنها أنه كان إذا ذهب للجمعة خط على غنمه خطا فلا تتحرك ولا يعترضها وحش ولا إنس حتى يرجع.

ومن كلامه رضى الله عنه « حقيقة المحبة أرق بلا رقاد ، وجسم بلا فؤاد ، وتهتك فى العباد وتشرد فى البلاد » . توفى رضى الله عنه بمصر ودفن بالقرافة بقرب الشافعى رضى الله عنه بالتربة التى فيها المزنى وبينه وبين المزنى قبر الخياط كان رضى الله تعالى عنه من أكابر الصالحين » اهـ أنظر الكواكب الدرية جـ ١ ص ١٢٣ ، ١٢٤ .

فخر أحمد مغشيا عليه ، ثم أفاق ، ثم سأله فقال:

ما تقول : فيمن له أربعون شاه ؟ وماز كاتها[١] ؟

فقال : على مذهبنا أو على مذهبكم ؟

فقال : وهما مذهبان ؟

قال : نعم .

قال : أما على مذهبكم ففى الأربعين شاة شاة ، وأما على مذهبنا فالعبد لا يملك مع سيده شيئا » .

وقد جاء فى الحديث:أن النبى صلى الله عليه وسلم ،ادخر قوت سنة .

فإما أن يكون[٢] ذلك لما قلناه أولا ، من أن إدخار الأنبياء عليهم الصلاة والسلام : إنما هو إمساك بالأمانة مختارين[٣] له وقتا يصلح انفاقه ، وإنما ادخر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لأجل عائلته ، أو ليبين جواز الإدخار لأمته ، فإنه[٤] إذا لم تقع الحوالة عليه لنا فى[٥]

---

(١) مازكاتها : لم توجد فى فروينه .

(٢) وفى فروينه : لك .

(٣) وفى نسخة : متحينين .

(٤) وفى فروينه : وإنه إذا لم يقع .

(٥) وفى فروينه : لا ينافى .

التوكل ، ومما يدلك على أن المراد إنما كان[1] ليبين جوازه أنه[2] كان عليه الصلاة والسلام ، أغلب أحواله عدم الادخار ، وإنما ادخر توسعة على أمته ، ورحمة بهم ، واشفاقا على الضعفاء منهم .

إذ لو لم يدخر ، لم يكن[3] لمؤمن أن يدخر بعده، ففعل ذلك ليبين حكمه ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : [إنى لا[4]] أنسى ، أو أنس لأسن »

فبين لك صلى الله عليه وسلم ، أن النسيان ليس من شأنه ، ولا من وصفه، وإنما يدخل فيه ، ليبين حكمه وما يتعلق به لأمته. فافهم الحديث.

(طالب العلم تكفل الله برزقه) *

فائدة : قوله عليه الصلاة والسلام[5]] « طالب العلم تكفل الله برزقه » .

---

(١) وفى فروينه : وإنما هو ليبين .

(٢) وفى فروينه : فإنه .

(٣) وفى فروينة : يمكن .

(٤) وفى فروينة : إنما أنسى . والحديث لم نوفق لتخريجه .

(*) العنوان من عمل المحقق .

(٥) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه ؛ ووجد بدلا منه . وفى الحديث . . .

اعلم أن العلم حيثما تكرر فى الكتاب العزيز ، أو فى السنة ، إنما المراد به العلم النافع الذى تقارنه الخشية،وتكتنفه المخافة[1] قال الله تعالى:

« إنما يخشى الله من عباده العلماء [2] » .

فبين أن الخشية تلازم العلم ،وفهم من هذا : أن العلماء إنما هم أهل الخشية ، وكذلك قوله تعالى :

« قال الذين أوتوا العلم[3] »

« والراسخون فى العلم[4] ».

« وقل رب زدنى علما[5] » .

وقوله عليه الصلاة والسلام :

« إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم[6] » .

---

(١) وفى فرويته : المخالفة وهو خطأ .

(٢) من الآية : ٢٨ من سورة فاطر .

(٣) من الآية : ٨٠ من سورة القصص .

(٤) من الآية : ٧ من سورة آل عمران .

(٥) من الآية : ١١٤ من سورة طه .

(٦) هذا الحديث رواه الإمام أحمد والحاكم وصححه وغيرهما ولفظه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم : =

وقوله عليه الصلاة والسلام :

«العلماء ورثة الأنبياء [١] » .

وقوله هاهنا ، « طالب العلم تكفل الله برزقه » :

إنما المراد بالعلم في هذا الموطن [٢] : العلم النافع القاهر للهوى القامع [٣]

وذلك متعين بالضرورة .

لأن كلام الله تعالى ؛ وكلام رسول الله عليه الصلاة والسلام أجل

من أن يحمل على غير هذا وقد بينا ذلك في غير هذا الكتاب .

والعلم النافع : هو الذي يستعان به على طاعة الله تعالى ويلزمك

المخافة من الله تعالى والوقوف على حدود الله وهو علم المعرفة بالله

= « إن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاء بما يصنع » وفي حديث طويل آخر رواه أبو داود والترمذي ؛ عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من سلك طريقا يبتغي فيه علما . . . . . . الحديث وفيه وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع . . . . .

(١) الحديث رواه أبو داود ، والترمذي وغيرهما .

(٢) وفي فروينه : في هذه المواطن .

(٣) وفي فروينة : القامع للدنيا .

ويشمل العلم النافع ، العلم بالله ، والعلم بما به أمر الله إذا كان تعلمه بالله

فقوله عليه الصلاة والسلام « طالب العلم تكفل الله برزقه »

أى تكفل له أن يوصله له مع الهناء والعزة والسلامة من الحجبة وإنما أولنا هذا للتأويل ، وأن معنى التكفل ، تكفل خاص ، وذلك لأن الحق سبحانه وتعالى ، فتكفل برزق العباد أجمع طلبوا هذا العلم أو لم يطلبوه .

فدل على أن هذه الكفالة كفالة خاصة كما ذكرنا ، لأنه أفردها بالذكر .

ولهذا المعنى قال الشيخ أبو العباس فى حزبه لما قال :

---

(١) وفى فروينه : تكفله .

(٢) هو الإمام أحمد أبو العباس المرسى رضى الله عنه . كان من أكابر العارفين يقول عنه الشعرانى : (كان يقال أنه لم يرث علم الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه غيره ، وهو أجل من أخذ عنه الطريق ولم يضع رضى الله عنه شيئا من الكتب . وكان رضى الله عنه يقول : (علوم هذه الطائفة علوم تحقيق وعلوم التحقيق لا تحملها عقول عموم الخلق) وكذلك شيخه أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه لم يضع شيئا وكان يقول : كتبى أصحابى . ومن كلامه رضى الله عنه .

=

« وأعطنا كذا وكذ ، قال : والرزق الهنى ، الذى لا حجاب به فى الدنيا ، ولا سؤال ولا حساب ولا عقاب عليه فى الآخرة ، على بساط علم التوحيد والشرع سالمين من الهوى والشهوة والطبع » اه .

= جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام خلقوا من الرحمة ونبينا صلى الله عليه وسلم هو عين الرحمة) . وكان يقول : (إن لله تعالى عبادا محق أفعالهم بأفعاله وأوصافهم بأوصافه ، وذاتهم بذاته ، وحملهم من أسراره ما يعجز عامة الأولياء عن سماعه) وكان يقول (إذا كمل الرجل نطق بجميع اللغات ، وعرف جميع الألسن إلهاما من الله عز وجل) ومن كلامه أيضا : (والله ما رأيت العز إلا فى رفع الهمة عن الخلق . ولقد رأيت يوما كلبا ومعى شيء من الخبز فوضعته بين يديه ، فلم يلتفت له فقربته من فيه فلم يلتفت إليه . فاذا على يقال : أف لمن يكون الكلب أزهد منه) ومن كلامه كذلك : (للناس أسباب وسببنا نحن الإيمان والتقوى قال الله تعالى : (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض) ويحدث الإمام الشعرانى أيضا عن سيدى أبى العباس فيقول : (كان رضى الله عنه أكثر ما يتكلم فى مجالسه فى العقل الأكبر ، والاسم الأعظم ، وشعبه الأربع ، والأسماء والحروف ، ودوائر الأولياء ، ومقامات المؤمنين والأملاك المقربين ، عند العرش وعلوم الأسرار ، وامداد الأذكار ، ويوم المقادير ، وشأن التدبير ، وعلم البدء ، وعلم المشيئة ، وشأن القبضة وعلم الأفراد وما سيكون يوم =

(شرح ما قاله الشيخ أبو العباس فى حزبه ✲)

فسأل من الله الرزق الهنى ، وهو للتكفل به لطالب العلم ، ثم فسر الرزق الهنى ، بأنه الذى لا حجاب معه فى الدنيا [ولا حساب له فى الآخرة[1]] لأن ما وقعت فيه الحجبة فلا هناء فيه ، إذ الحجبة توجب

= القيامة من أفعال الله تعالى : مع عباده من حمله ، والعامة ووجوه انتقامه وكان رضى الله عنه يقول : لولا ضعف العقول لأخبرت بما يكون من رحمة الله تعالى : اهـ وكان يقول رضى الله عنه : لو علم الشيطان أن ثم طريقا توصل إلى الله تعالى افضل من الشكر لوقف عليها ، ألا تراه كيف قال : ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم ، وعن أيمانهم وعن شمائلهم ، ولا تجد أكثرهم شاكرين ، ولم يقل صابرين ولا خائفين ولا راجعين ، وكان رضى الله عنه يقول :

(لى أربعون سنة ما حجبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ولو حجبت طرفة عين ما أعددت نفسى من جملة المسلمين) ومكانته معروفة ومناقبه كثيرة مشهورة رضى الله تعالى عنه توفى سنة ست وثمانين وستمائة رحمه الله رحمة واسعة .

(١) أبو العباس : لم توجد هذه العبارة فى فروينه .

✲ العنوان من عمل المحق .

تكسر[1] السر بالمنع عن المحاضرة ، والصدعن المفاتحة ، لا على مايفهمه العموم من أن الرزق الهنى الذى حصل من غير وجود تعب ولا نصب.

فالهناء عند أهل الغفلة فيما يرجع إلى الأبدان ، وعند أهل الفهم فيما يرجع إلى القلوب .

ووقوع الحجبة فى الرزق : إما بشهود الغفلة والأسباب عن الله تعالى ، وإما بأن تتناوله ليس قصدك التقوى على طاعة الله تعالى .

فالأول حجبة فى الحصول . والثانى : حجبة فى التناول .

وقول الشيخ : ولا سؤال[2] ولا حساب، ولاعقاب عليه فى الآخرة

فالسؤال : أن يكون عن[3] حقوق النعيم لقوله تعالى :

« ثم لتسألن يومئذ عن النعيم[4] »

وأكل النبى عليه الصلاة والسلام ، وبعض أصحابه طعاما ، ثم قال :

---

(١) وفى نسخة : تكدر .

(٢) وفى قرويته : ولا حساب ولا سؤال .

(٣) وفى نسخة (١) من حقوق ...

(٤) الآية : ٨ من سورة التكاثر .

« والله لتسألن عن نعيم هذا اليوم [1] »

وكان الشيخ رحمه الله يقول:

السؤال على قسمين : سؤال تشريف ، وسؤال تعنيف.

---

(١) هذا الحديث ورد بعدة روايات منها : قال الإمام أحمد حدثنا شريح بسنده عن أبي عسيب يعنى مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلا فمر بي فدعانى فخرجت إليه ثم مر بأبى بكر فدعاه فخرج إليه فانطلق حتى دخل حائطا لبعض الأنصار فقال لصاحب الحائط : « أطعمنا » فجاء بعذق فوضعه فأكل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ثم دعا بماء بارد فشرب وقال: لتسألن عن هذا يوم القيامة » اهـ ومنها ما رواه الإمام أحمد بسنده عن عمار قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأبو بكر، وعمر ، رطبا ، وشربوا ماء ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :(هذا من النعيم الذى تسألون عنه) . رواه النسائى من حديث حماد بن سلمة عن عمار بن أبى عمار عن جابر، رضى الله عنه . وفى حديث طويل رواه ابن جرير بسنده عن أبى حازم عن أبى هريرة رضى الله عنه . وفيه : (... فقال النبى صلى الله عليه وسلم : (لتسألن عن هذا يوم القيامة أخرجكم من بيوتكم الجوع فلم ترجعوا حتى أصبتم هذا ، فهذا من النعيم اهـ .

فسؤال أهل الموافقة والعناية سؤال التشريف [١] ؛ وسؤال أهل الغفلة عن الله ، والإعراض عنه سؤال التعنيف [٢] .

وافهم رحمك الله : أن الحق سبحانه وتعالى ، إنما يسأل أهل الصدق وإن كان هو العالم بأخبارهم ، ويخفى أسرارهم ، ليظهر مرتبة صدقهم للعباد ، وينشر محاسنهم فى المعاد ، كما يقول السيد لعبده :

ما صنعت فى أمر كذا كذا [٣] ؟ وهو يعلم أنه أحكمه وأتقنه ، ولكن أراد أن يعلم الحاضرون اعتناءه بأمره ، وقيامه [٤] وعنايته بشأنه فافهم .

وقول الشيخ رحمه الله : « ولا حساب » :

فالحساب هو نتيجة السؤال ، وإذا سلموا من السؤال سلموا من الحساب ، وإذا سلموا من السؤال والحساب سلموا من المعاقبة ، فذكرها الشيخ رحمه الله ، وإن كانت ملازمة ليتبين ما يستلزم هذا الرزق من المنن التى لو انفردت واحدة منها لكان حريا أن تطلب.

---

(١) وفى نسخة (ا) تشريف .
(٢) وفى نسخة (د) تعنيف.
(٣) كلمة وكذا : لم توجد فى فروينه .
(٤) كلمة : وقيامه : لم توجد فى فروينه

وقول الشيخ رحمه الله : على بساط علم التوحيد » :

أى على أن أشهدك فيما رزقتنى وأراك فيما أطعمتنى ، فلا أشهد ذلك من غيرك ، ولا أضيفه لأحد من خلقك .

وكذلك أهل الله ، لا يأكلون إلا على مائدة الله ، أطعمهم من أطعمهم، لعلمهم أن غير الله تعالى ، لا يملك معه شيئا فيسقط[١] بذلك شهود الخلق عن قلوبهم ، فلم يصرفوا لغير الله حبهم ، ولا وجهوا لمن سواه ودّهم ، إذ رأوا أنه هـــو الذى أطعمهم ومنحهم من فضله وأكرمهم .

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله يوما :

« إنا نحن لا نحب إلا الله تعالى » . أى لا يتوجه الحب منا إلى الخلق.

فقال له رجل : قد أبى[٢] ذلك جدك ياسيدى ، بقوله عليه الصلاة والسلام :

« جبلت القلوب على حب من أحسن إليها ؟ »

---

(١) وفى فروينه : فسقط

(٢) وفى فروينه : أتى وهو خطأ

فقال : نعم ، نحن قوم لا نرى المحسن إلا الله تعالى ، فلذلك جبلت قلوبنا على محبته » اهـ

ومن رأى أن المطعم هو الله[1] سبحانه وتعالى ، تجدد عنده مزيد الحب على حسب ما يتجدد من تناول النعم، لقوله عليه الصلاة والسلام: « أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه [2] » . وقد سبق بيانه .

ومن رأى أن الله هو المطعم له ، صانته هذه المطالعة عن الذل للخلق، أو أنه [3] يميل قلبه بالحب لغير الملك الحق ، ألم تسمع قول إبراهيم الخليل عليه السلام :

« والذى هو يطعمنى ويسقين [4] ؟ »

فشهد لله تعالى بانفراده بذلك ، واعترف له تعالى بوحدانيته فيه .

---

(١) وفى فروينه : الحق .

(٢) هذا جزء من حديث صحيح أخرجه الترمذى والحاكم فى المستدرك عن ابن عباس رضى الله عنهما ، ولفظه : عن ابن عباس رضى الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أحبوا الله لما يغذوكم به من نعمه . وأحبونى لحب الله وأحبوا أهل بيتى لحبى) اهـ

(٣) كلمة : أنه لم توجد فى فروينه

(٤) الآية : ٧٩ من سورة الشعراء

وقول الشيخ رحمه الله : « على بساط علم التوحيد والشرع » :

لأن من استرسل من[١] إطلاق التوحيد ، ورأى أن الملك لله وأن لا ملك لغيره معه ، ولم يتقيد بظواهر الشريعة فقد قذف به فى بحر الزندقة ، وعاد حاله بالوبال عليه ، ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيداه وبالشريعة مقيدا .

وكذلك المحقق ؛ فلا منطلقا مع الحقيقة ، ولا واقفا مع ظاهر اسناد الشريعة :

« وكان بين ذلك قواما[٢] »

فالوقوف مع ظواهر الإسناد شرك ، والإنطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل .

ومقام أهل[٣] الهداية فيما بين ذلك : من بين فرث ، ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين »

---

(١) وفى نسخة (ا) مع إطلاق .

(٢) الآية : من سورة الفرقان .

(٣) وفى فروينه : ومقام الهداية.

احوال العبد بالنسبة إلى الرزق*

فصل : واعلم أنه يرد فى شأن الرزق أمور ، ويعرض فيه عوارض . وقد ذكر الشيخ رحمه الله كثيرا منها بقوله :

« وسخرلى أمر هذا الرزق ، واعصمنى من الحرص والتعب فى طلبه ، ومن شغل القلب وتعلق الهم به ؛ ومن الذل للخلق بسببه ، ومن التفكير والتدبير فى تحصيله ، ومن الشح والبخل بعد حوله » اهـ .

وليس العوارض الواردة فى شأن الرزق بمنحصرة حتى تستوفى . فلنتكلم على ماقاله الشيخ رحمه الله :

فاعلم أن للعبد بالنسبة إلى الرزق ، ثلاثة أحوال :

حال قبل أن يرزقه ، وهى حالة السعى .

وحال بعد ذلك ، وهى حالة الحصول .

وحال بعد انقضائه ، وهى الحالة الثالثة

---

* العنوان من عمل المحقق

فأما[1] ما يعرض قبل حصوله : فالحرص والتعب فى طلبه ، وشغل القلب وتعلق الهم به ، والذل للخلق بسببه ، والتفكير والتدبير فى تحصيله .

فأما الحرص : فهو الرغبة القائمة بالنفس فى التحصيل له ، والانكباب على ذلك ، وهو ينشأ عن فقدان الثقة ، وضعف اليقين :

وهما ناشئان عن فقدان النور ، وفقدان النور ناشىء عن وجود الحجبة .

إذ لو كان القلب بأنوار المشاهدة معمورا ، وبمنن الله مغمورا ، لم تطرقه طوارق الحرص ، ولو انبسط نور اليقين على القلب لكشف له عن سابق القسمة ، فلم يمكنه الحرص ، وعلم العبد أن له عند الله قسمة لابد أن يوصلها إليه .

وأما التعب فى طلبه : فإما أن يكون تعب الظواهر ، ويكون الاستعاذة منه [إلى الله تعالى[2]] لأنه إذا استولى على الطالب للرزق التعب فى الظاهر ، شغله ذلك عن القيام بالأوامر ؛

---

(١) وفى نسخة (١) فأما يعرض .
(٢) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

والرزق مع الراحة ، فيه إعانة على التفرغ إلى طاعة الله تعالى ، والقيام بخدمته .

وإن كان التعب هو تعب القلوب ، لا تعب الظواهر ، فهو أولى بأن يستعاذ منه ، وذلك : بأن القلوب يتعبها تكلفها فى طلب الرزق والفكرة فيه ، ويثقلها ما حملت من ذلك ؛ ولا راحة لها إلا بالتوكل على الله .

لأن التوكل على الله ، وضع أثقاله ، والله تعالى يحملها عنه ، لقوله تعالى :

« ومن يتوكل على الله فهو حسبه[1] »

ثم قال الشيخ رضى الله عنه :

« ومن شغل القلب وتعلق الهم به »

فشغل القلب بأمر الرزق ، قاطع عظيم ، حتى قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

« أكثر ما حجب الخلق عن الله تعالى شيئان :

---

(١) من الآية : ٣ من سورة الطلاق .

همّ الرزق ، وخوف الخلق .

وهمّ الرزق أشد الحجابين ، وذلك : أن أكثر الناس قد يخلو من هم خوف الخلق ، ولا يخلو من همّ الرزق[1] ، إلا قليل ، لا سيما وشاهد الفاقة قائم بوجودك ، وأنت مفتقر إلى ما يقيم بنيتك ويشد قوتك .

قوله : وتعلق الهم به ، أى تعلق الهمة بأمر الرزق ، توجها واستغراقاً ، حتى لا يبقى فيه متسع لغيره ، وهذه حالة توجب القطيعة ، وتكسف[2] أنوار الوصلة ، وتنادى على صاحبها[3] بخراب قلبه من نور اليقين وفلسه من القوة والتمكين .

وقوله : ومن الذل للخلق بسببه

فاعلم أن من ضعف يقينه ، وقل من قسمة العقل نصيبه . فالذلة لازمة له : لطمعه فى الخلق ، ولعدم ثقته بالملك الحق ، وذلك

---

(١) كلمة الرزق : لم توجد فى فروينه .

(٢) وفى فروينه : وتكشف ، والأصح تكسف . من الكسوف وهو أليق هنا .

(٣) وفى فروينه : صاحبه .

لأنه لم يشهد سابق قسمة الله تعالى ، ولم يظفر بصدق وعده ، فذل للخلق متملقاً ، ولح[1] إليهم متملقا . وذلك عقوبة الغفلة عن الله تعالى . ولعذاب الآخرة أشد .

ولو صح إيمانه وثقته بالله ؟ كان لذلك عزيزاً، ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

فعزة المؤمن بربه لا يعتز بغيره ، لعلمه أن العزة لله جميعاً ، وأنه العزيز فلا عزيز معه ، والمعز فلا معز معه[2]. فأعزته الثقة ، ونصره التوكل ، فلن يهن لصدق ثقته بربه فى قسمته ؛ ولم يحزن لاعتماده عليه فى وجود منته ، سامعا قوله تعالى :

« ولا تهنوا ولا تحزنوا وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنون[3] »

فعزة المؤمن بترك الطمع فى الخلق ، ووجود الثقة بالملك الحق ، أبى له إيمانه، أن يرفع حاجته لغير ربه ، أو أن يصرف لما سواه[4] قلبه، ولذلك قال بعضهم :

---

(١) وفى فروينه : ولجأ .
(٢) وفى فروينة : والمعز معزته .
(٣) الآية : ١٣٩ من سورة آل عمران .
(٤) وفى فروينه : لما سوا توجه قلبه .

حرام على من وحـــد الله ربه
وأفرده أن يجتدى[1] أحدا رفدا[2]

ويا صاحبي قف لى مع الحق وقفة
أموت بها وجدا وأحيا بها وجدا

وقل لملوك الأرض تجهد جهـــدها
فذا الملك ملك لا يباع ولا يهتدى

ومن حرره الله من رق الطمع ، وأعزه بوجود الورع ، فقد أجزل منته ، وكمل عليه همته[3] .

واعلم[4] أن الله قد كساك أيها المؤمن خلعا عديدة منها :

خلعة الإيمان ، والمعرفة ، والطاعة والسنة ، فلا تدنسها بالطمع فى المخلوقين ، وبالاستناد إلى غير رب العالمين .

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله : رأيت النبى عليه الصلاة والسلام، فى المنام فقال لى :

---

(١) وفى نسخة : يجدى .
(٢) وفى فروينه : فردا .
(٣) وفى نسخة : نعمته .
(٤) اعلم : لم توجد فى فرويذه .

يا على ! طهر ثيابك من الدنس تحظ بمدد الله فى كل نفس .

فقلت : يارسول الله ، وماثيابى ؟ فقال :

اعلم أن الله تعالى كساك حلة الإيمان ، وحلة المعرفة ، وحلة التوحيد ، وحلة المحبة .

قال : ففهمت حينئذ قوله تعالى : « وثيابك فطهر » .

(فمن عرف الله صغر لديه كل شىء ، ومن أحب الله هان عليه كل شىء ، ومن وحد الله لم يشرك به شيئاً ، ومن آمن بالله ، أمن من كل شىء ، ومن أسلم لله ، قل مايعصيه ، وإن عصاه اعتذر إليه ، وإن اعتذر إليه قبل عذره)[1]

واعلم رحمك الله ، أن رفع الهمة لسالكى طريق الآخرة ، عن الخلق ، وعدم التعرض لهم ، أزين لهم من الحلى للعروس ، وهم أحوج إليه من الماء لحياة النفوس .

ومن خلعت عليه خلعة الملك فحفظها وصانها ، فحرى أن تدام[2] له ، وأن لا تسلب عنه .

(١) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٢) وفى نسخة (ا) أن تدوم له .

والمدنس لخلع المواهب ، فحرى أن لا تترك له ،

فلا تدنس أيها الأخ إيمانك بطمعك فى المخلوقين ، ولا تجعلن اعتمادك إلا على رب العالمين ، فإن اعتززت بالله دام بدوام من اعتززت به ، وإن اعتززت بغيره فلا بقاء لعزك ، إذ لا بقاء لمن أنت به معتز ، وأنشد لى[1] بعض الفضلاء لنفسه :

ليكن بربك كل عـــــز ك يستقـــــر ويثبت
فإن اعتززت بمن يمو ت فإن عزك ميت

ودخل إنسان على بعض العارفين وهو يبكى فقال : ما شأنك ؟

قال : مات أستاذى .

فقال له ذلك العارف : ولم جعلت أستاذك من يموت ؟

ويقال لك : إذا اعتززت بغير الله فقدته ، وإذا استندت إلى غيره عدمته :

«وانظر إلى إلهك الذى ظلت عليه عاكفا لنحرقنه ثم لننسفنه فى اليم نسفا ، إنما إلهكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شىء علما[2]»

وكن أيها العبد إبراهيميا فقد قال أبوك إبراهيم صلوات الله عليه وسلامه :

---

(١) لى : لم توجد فى فروينة .
(٢) الآية : ٩٧ و ٩٨ من سورة طه .

« لا أحب الآفلين[١] » . وماسوى الله تعالى آفل إما وجودا ، وإما إمكانا »

وقد قال الله تعالى :

« ملة أبيكم إبراهيم[٢] » أى اتبعوا ملة أبيكم ابراهيم . فواجب على المؤمن أن يتبع ملة ابراهيم .

وملة ابراهيم ، رفع الهمة عن الخلق ، فإنه يوم زج به فى المنجنيق تعرض له جبرائيل عليه السلام فقال :

أما إليك فلا ، وأما إلى الله فبلى .

قال : سله ؟ قال :

حسبى من سؤالى علمه بحالى .

فانظر كيف رفع ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه همته عن الخلق، ووجهها الى الملك الحق ، فلم يستغث بجبرائيل ،ولا احتال على السؤال من الله تعالى ، بل رأى الحق أقرب إليه من جبرائيل ومن سؤاله ، فلذلك سلمه من النمرود ونكاله ، وأنعم عليه بنواله وأفضاله وخصه بوجود اقباله.

(١) من الآية : ٧٦ من سورة الأنعام .
(٢) من الآية : ٧٨ من سورة الحج .

ومن ملة ابراهيم : معاداة كل ماشغل عن الله ، وصرف الهمة بالرد[1] الى الله تعالى لقوله :

« فإنهم عدو لى إلا رب العالمين[2] »

والغنى إن اردت الدلالة عليه ، نهو فى اليأس من النـاس ، ولقد قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

(أيست من نفع نفسى لنفسى ، فكيف لا أيأس من نفـع غيرى لنفسى ؟ ورجوت الله لغيرى ، فكيف لا أرجوه لنفسى ؟

وهذا هو الـكيمياء والاكسير الذى من حصل له ؛ حصل له غنى لا فاقة فيه ، وعز لا ذل معه ، وانفاق لا نفاد له ، وهو كيمياء أهـل الفهم عن الله تعالى :

قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

صحبنى انسان وكان ثقيلا على فبسطته فانبسط فقلت له :

ياولدى ، ماحاجتك ؟ ولم صحبتنى ؟

قال ياسيدى ، قيل لى إنك تعلم الـكيمياء فصحبتك لأتعلم منك

---

(١) وفى فروينة : بالود .

(٢) الآية : ٧٧ من سورة الشعراء .

فقلت له : صدقت ، وصدق من حدثك ، ولكن أخالك أن[1] لا تقبل.

فقال : لى أقبل.

فقلت له : نظرت إلى الخلق فوجدتهم على قسمين :

أعداء ، وأحباء .

فنظرت إلى الأعداء فعلمت أنهم لا يستطيعون أن يشوكونى بشوكة لم يردنى الله بها ، فقطعت نظرى عنهم .

ثم تعلقت بالأحباء فرأيتهم لا يستطعون أن ينفعونى بشىء لم يردنى الله به ، فقطعت إياسى منهم ، وتعلقت بالله تعالى ، فقيل لى :

إنك لن تصل إلى حقيقة هذا الأمر [حتى لا تشك فينا ، وتيأس من غيرنا أن يعطيك[2]] غير ما قسمناه لك .

وقال مرة أخرى رحمه الله ، لماسئل عن الكيمياء ، فقال :

---

(١) أن : غير موجودة فى فروينه .

(٢) ما بين القوسين نصه فى فروانيه [حتى تقطع يأسك منها كما قطعته من غيرنا أن نعطيك] .

أخرج الطمع من قلبك ، واقطع بأسك من ربك ، أن يعطيك غير ما قسم لك .

وليس يدل على شعار[1] العبد كثرة عمله ، ولا مداومته على ورده ، وإنما يدل على نوره غناه بربه ، وانحياشه إليه بقلبه ، وتحرره من رق الطمع ، وتحليه بحلية الورع ، وبذلك تحسن الأعمال ، وتزكو الأحوال . قال الله تعالى :

«إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها ، لنبلوهم أيهم أحسن عملا [2]» .

فحسن الأعمال إنما هو بالفهم عن الله .

والفهم هو ما ذكرناه من الاغتناء بالله ، والاكتفاء به ، والاعتماد عليه ، ورفع الحوائج إليه ، والدوام بين يديه ، وكل ذلك من ثمرة الفهم عن الله تعالى .

وتفقد وجود الورع من نفسك أكثر مما تتفقد ما سواه ، وتطهر من الطمع فى الخلق ، فلو تطهر الطامع فيهم بسبعة أبحر ما طهره إلا اليأس منهم ، ورفع الهمة عنهم .

---

(١) وفى فروينه : على فهم العبد .

(٢) الآية : ٧ من سورة الكهف .

وقدم على بن أبى طالب رضى الله عنه البصرة ، فدخل جامعها فوجد القصاص[1] يقصون ، فأقامهم حتى جاء إلى الحسن[2] البصرى ، فقال :

---

(١) وفى فروينه : فوجد القصاصين

(٢) هو أبو سعيد الحسن البصرى رضى الله عنه . كان والده من أهل ميسان فسبى ، فهو مولى الأنصار ، وكان قد غلب عليه الخوف حتى كأن النار لم تخلق إلا له وحده ، وكان رضى الله عنه يقول : ذهبت المعارف وبقيت المناكر ، ومن بقى من المسلمين فهو مغموم) .

ومن كلامه رضى الله عنه (من شرط المتواضع أن يخرج من بيته فلا يلقى أحدا إلا رأى له الفضل عليه) وكان يقول (إذا أذنب العبد ثم تاب لم يزدد بتوبته من الله تعالى إلا قربا . وإذا أذنب ثانيا لم يزدد كذلك إلا قربا) وكان يقول (أدركنا أقواما كانوا فيما أحل الله لهم أزهد منكم فيما حرم عليكم) . ومن كلامه : (إذا أراد الله بعبد خيرا فى الدنيا لم يشغله بأهل ولا ولد) . وكان يقول : (لو نظرت يا ابن آدم إلى سير أجلك لأبغضت غرور أملك) . ومن كلامه رضى الله عنه : (من لبس الصوف تواضعا لله عز وجل . زاده نورا فى بصره وقلبه . ومن لبسه للتكبر والخيلاء كور فى جهنم مع المردة . وكان ينشد ويقول :

ليس من مات فاستراح بميت   إنما الميت ميت الأحياء

وقيل له مرة: إن الفقهاء يقولون كذا وكذا ، فقال: وهل رأيتم

يا فتى ! إني سائلك عن شيء، فإن أجبت عنه أبقيتك، وإلا أقمتك كما أقمت أصحابك ، وكان قد رأى عليه سمتا وهديا .

فقال الحسن : سل عما شئت .

فقال له علي رضي الله تعالى عنه :

ما ملاك الدين ؟ قال : الورع .

قال : فما فساد الدين ؟ قال الطمع .

قال : اجلس ، فمثلك من يتكلم على الناس .

وسمعت شيخنا أبا العباس(١) رحمه الله يقول :

= فقيها قط بأعينكم؟ إنما الفقيه الزاهد في الدنيا ، البصير بذنبه المداوم على عبادة ربه عز وجل) وكان يقول : (الدنيا مطيتك إن ركبتها حملتك ، وإن ركبتك قتلتك) . ومن كلامه : (كانوا يقولون لسان الحكيم من وراء قلبه . إن أراد أن يقول يرجع إلى قلبه، فإن كان له قال وإلا أمسك، وإن الجاهل قلبه في طرف لسانه لا يرجع إلى قلبه ما أتى على لسانه تكلم به) ومن كلامه أيضا : (يبعث الله أقواما يطلبون هذا العلم حسبة وليس لهم فيه نية فيتعبهم في طلبه كي لا يضيع العلم وتبقى عليهم تبعته) اهـ .

(١) كلمة : أبا العباس . لم توجد في قروينة .

« كنت فى ابتداء أمرى بثغر الإسكندرية ، جئت إلى بعض من يعرفنى ، فاشتريت منه حاجة بنصف درهم ، ثم قلت فى نفسى : لعله لا يأخذه منى ، فهتف بى هاتف :

« السلامة فى الدين ، بترك الطمع فى المخلوقين »

وسمعته يقول :

صاحب الطمع لايشبع أبدا ، ألا ترى حروفه كلها مجوفة ؟ الطاء والميم ، والعين

فعليك أيها المريد برفع همتك عن الخلق ، ولا تذل لهم فى شأن الرزق ، فقد سبقت قسمته وجودك ، وتقدم ثبوته ظهورك ، واسمع ما قال بعض المشايخ :

أيها الرجل : ما قدر لما ضغيك أن يمضغاه ، فلابد أن يمضغاه ، فكله ويحك بعز ولا تأكله بذل .

اعلم[1] أن من عرف الله وثق بضمانه ، وكفالته ، وأنه لا يكمل فهم العبد حتى يكون بما فى يدى الله (أوثق منه بما فى يديه[2]) وبضمان الحق

---

(١) وفى نسخة . واعلم .

(٢) مابين القوسين نصه فى فروينه [واثق منه بما فى نفسه] .

أوثق منه بضمان الخالق ، ويكفيك جهلا أن لاتكون كذلك .

ورأى بعضهم رجلا يلازم الجامع ، ولا يخرج عنه ، فتعجب من ملازمته ، وفكر فى نفسه من أين يأكل ؟

فقال له يوما : من أين تأكل ؟

فقال له ذلك الرجل[١] : إن لى صاحبا يهوديا وعدنى كل يوم برغيفين ، فهو يأتينى بهما .

(فقال له : ذاك إذا ؟[٢])

فقال له ذلك العارف : يامسكين ! وثقت لى بوعد يهودى ، وماثقت لى بوعد الله[٣] سبحانه وتعالى ؟ وهو الصادق الوعد الذى لايخلف الميعاد ؟ وقد قال تعالى :

« وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها[٤] ؟ »

فاستحيا منه ذلك الرجل وذهب .

---

(١) وفى فروينه : العارف ، وكذلك فى (ا)

(٢) مابين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٣) وفى فروية : بوعد الحق

(٤) الآية : ٦ من سورة هود .

وعن آخر : أنه صلى خلف إمام أياما ، فقال له الإمام يوما ؛ وقد تعجب من ملازمته المسجد[1] ، وتركه الأسباب من أين تأكل ؟ فقال : قف حتى أعيد صلاتى ، فإنى لا أصلى خلف من شك فى الله .

والحكايات فى هذا كثيرة .

قيل لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه :

لو أن إنسانا أدخل بيتا وطين ذلك البيت عليه ، من أين يأتيه رزقه ؟ فقال :

يأتيه رزقه من حيث يأتيه أجله .

فانظر هذه الحجة ، ما أبهرها ، وهذه البينة ما أظهرها .

وقول الشيخ رحمه الله : « ومن التفكير والتدبير فى تحصيله » :

فالتفكر : أن تستحضر فى نفسك أنه لا بد لك من غذاء يقيم بنيتك .

والتدبير :[2] أن تقول هو من وجه كذا ، وكذا ، لا ولكن هو من وجه كذا وكذا ، ويكثر ذلك ، ويتردد على القلب حتى لا تدرى

---

(١) وفى نسخة : المساجد .

(٢) وفى فروينه : هو أن تقول .

إن كنت مصليا[١] ماذا صليت ، أو تاليا ماذا تلوت ، فتتكدر عليك تلك[٢] الطاعة التى أنك[٣] فيها ، وتحرم أنوارها ، وتمنع أسرارها .

فإذا اورد عليك ذلك ، فاهـــــدم بناءه بفأس الثقة ، ودكه بوجود اليقين .

واعلم رحمك الله ، أن الله تعالى قد تولى تدبيرك من قبل أن تكون ، وإنك إن أردت نصح نفسك فلا تدبر لها ، فإن التدبير منك لها إضرار بها (إذ ذاك[٤]) مما يوجب إحالتك عليك ، ويمنع إمداد اللطف أن يصل إليك ، والمؤمن لا يدعه الحق سبحانه وتعالى لوجود التدبير ، ولا لمنازعة المقادير .

فإن عرض ذلك عليك[٥] ، أو خطر فلا (تثبت له[٦]) ؛ فإن نور الإيمان لا يدعه لذلك :

---

(١) وفى نسخة (ا) مصلى .
(٢) وفى فروينه لم توجد كلمة تلك .
(٣) وفى فروينه : أنت وكذا فى (ا)
(٤) وفى فروينه وفى نسخة (ا) ذلك .
(٥) وفى فروينه : عليه .
(٦) وفى فروينه : فلا يثبت لأن نور .

« وكان حقا علينا نصر المؤمنين[١] »

« بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق[٢] ».

وقول الشيخ رحمه الله : « ومن الشح والبخل بعدحصوله » فهذان من العوارض بعد الحصول ، وهما ينشآن عن ضعف اليقين، وعدم الثقة، فحينئذ يكون الشح ، ويقع البخل ، وقد ذم الله تعالى الشح والبخل كليهما فى كتابه العزيز[٣] فقال تعالى :

« ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون[٤] ».

فمفهومه أن صاحب الشح لا فلاح له [أى لا نور له[٥]] ، والفلاح هو [النور[٦]] .

وقال تعالى فى وصف المنافقين :

---

(١) الآية : ٤٧ من سورة الروم .

(٢) الآية : ١٨ من سورة الأنبياء .

(٣) العزيز : لم توجد فى فزوينة .

(٤) من الآية : ٩ من سورة الحشر .

(٥) وفى فروينة : أى لافوز له .

(٦) وفى فروينه الفوز .

« أشحة على الخير أولئك لم يؤمنوا فأحبط الله أعمالهم[1] » .

وقال تعالى :

« ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين ، فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون »[2] .

وقال تعالى :

« ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه »[3] .

والبخل[4] والشح يطلق على أقسام ثلاثة :

الأول : أن تبخل بما في يدك أن تبذله في واجبات الله تعالى .

الثاني :[5] أن تبخل به ولم يتعلق بك الوجوب على عباد الله .

الثالث : أن تبخل[6] بنفسك أن تبذلها لله تعالى .

---

(١) من الآية : ١٩ من سورة الأحزاب .
(٢) الآية : ٧٥ ، ٧٦ من سورة التوبة .
(٣) من الآية : ٣٨ من سورة محمد .
(٤) والبخل : لم توجد فى فروينه .
(٥) وفى فروينه : أن يبخل به ولم يتعلق به الوجوب عن عباد الله .
(٦) وفى فروينة أن يبخلك .

والبخل الأول هو أن تبخل فلا تؤتى الزكاة وقد خوطبت بها[1] ، أولا تقوم بحق وقد تعين عليك ، من نفقات الأبوين فى فقرهما ، والأولاد فى فقرهم ، وصغرهم ، وكنفقات الزوجات .

وبالجملة : فكل حق أوجب الله عليك[2] القيام به فتخلفك عنه مما يطلق عليك لسان الذم ، وتستحق به العقوبة ، وفى ذلك جاء قوله تعالى :

«والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم[3] » .

قال أهل العلم :

الكنز هو المال[4] الذى لاتؤدى زكاته ، فإذا أديت زكاته لا يكون كنزا ، معناه لا يدخل تحت هذا الوعيد ولا يطلق عليه لسان الذم.

القسم الثانى : البخل بالبذل فيما لم يتعلق به الوجوب ، كمن أخرج زكاة ماله ثم لم يبذل منه شيئا بعد ذلك ، وهذا وإن كان قد فعل ما أمره

(١) وفى فروينه : وقد خوطب .
(٢) وفى نسخة أخرى : عليه .
(٣) من الآية : ٣٤ من سورة التوبة .
(٤) المال : لم توجد فى فروينه .

الله تعالى به من إخراج ما وجب[1] عليه ، فينبغى أن يقتصر عليه ، فإن الإقتصار على الواجبات ، وترك نوافل الخيرات إنما هو حال الضعفاء .

فلا ينبغى للمؤمن المتقى[2] بإصلاح شأنه مع الله تعالى أن يترك معاملة الله تعالى فيما لم يوجبه الله عليه ، فإنه إن كان كذلك ، كان حاله كمن يصلى الفرائض ولا يقوم برواتبها :

ويكفيك أيها العبد قوله تعالى فيما حكاه عنه رسول الله عليه الصلاة والسلام :

« ما تقرب إلى المتقربون بمثل أداء ما افترضت عليهم ، ولا يزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت له سمعاً و بصراً ، ولسانا ، وقلبا ، وعقلا ، ويدا ، ومؤيدا[3] » .

---

(١) وفى نسخة أخرى : ما أوجب .

(٢) وفى فروينه لم توجد كلمة المتقى والأصح ذكرها .

(٣) وفيما أخرجه الإمام البخارى فى صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول الله سبحانه :

« من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدى بشىء أحب إلى من أداء ما افترضته عليه ، ومايزال عبدى يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعطينه ؛ ولئن استعاذ بى لأعيذنه » .

فقد بين سبحانه وتعالى ، أن تكرار النوافل ، والقيام بها يوجب للعبد وجود[1] الحب من الله تعالى ، والنوافل كل ما يطلبك بها لسان إيجاب من صلاة أو صدقة أو حج أو غير ذلك ؛

ومثل القائم بالفرائض من الصلوات المقتصر عليها ، والقائم بها ، وبالنوافل (أو المخرج[2]) للزكاة ، المقتصر عليها والمخرج لها ، والمؤثر معها ، كعبدين لسيد جعل عليهما كل يوم خراجا على كل عبد درهمين .

فأما العبد الواحد ، فإنه (يؤتى للسيد[3]) بذلك ولا يزيد عليه شيئاً ، ولا يهاديه ولا يواده .

وأما العبد الآخر فإنه يقوم للسيد (كل يوم[4]) بما قام به صاحبه لكن يشترى من الطارف والفواكه مايهدى إلى سيده زائدا عن خراجه .

فهذا العبد لامحالة أحظى عند السيد ، وأوفر نصيباً من الحب ، وأقرب إلى إقبال السيد .

---

(١) وفى فروينه : وجوب .
(٢) وفى نسخة : كالمخرج .
(٣) مابين القوسين نصه فى فروينه : يأتى السيد .
(٤) مابين القوسين غير موجود فى نسخة (ا)

لأن العبد القائم بما خورج عليه غير متودد للسيد ، وإنما[1] أعطاه إشفاقا من عقوبته .

والعبد الذى أعطى اسيده ما خارجه عليه ، وهاداه بعد ذلك، فهو قد سلك مسلك التودد للسيد والتعرض لحبه فهو حرى أن يظفر بقربه وحبه[1] .

وإنما جعل الحق تعالى الإيجاب على العباد علما منه بما هم عليه من وجود الضعف ، وبما نفوسهم متصفة به ، من وجود الكسل، فأوجب عليهم ما أوجب ، لأنه لو خيرهم فيما أوجب عليهم لم يكونوا به قائمين إلا قليلا ، وقليل ما هم ، فأوجب عليهم وجود طاعته .

وفى التحقيق : ما أوجب عليهم إلا دخول جنته ، فساقهم إلى الجنة بسلاسل الإيجاب .

« عجب ربك من قوم يساقون إلى الجنة بالسلاسل[3] » .

---

(١) وفى فروينه : وأما

(٢) كلمة حبه : لم توجد فى فروينة .

(٣) هذا الحديث رواه أبو هريرة رضى الله عنه ؛ وأخرجه أحمد فى مسنده والبخارى ، وأبو داود ، ولفظه: عن أبى هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل) .

تنبيه وإعلام : اعلم رحمك الله أنا تلمحنا الواجبات فرأينا الحق تعالى جعل فى كل ما أوجبه تطوعا من جنسه فى أى الأنواع كان[1] ليكون ذلك التطوع فى ذلك الجنس جابرا لما عساه أن يقع من الخلل فى قيام العبد بالواجبات .

وكذلك جاء فى الحديث :

« إنه ينظر فى مفروض صلاة العبد فإن نقص منها شىء كمل له من النوافل[2] » .

---

(١) وفى فروينه : من الجنس .

(٢) ولمعنى هذا الحديث جاءت روايات أخرى منها ما أخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم . (إن أول مايحاسب به العبد يوم القيامة من عمله الصلاة فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر ، وإن انتقص من فريضته قال الرب : انظروا هل لعبدى من تطوع فيكمل بها ماانتقص من فريضته ثم يكون سائر عمله على ذلك) .

ولهذا يقول الإمام النووى رضى الله عنه :

(قال العلماء : والحكمة فى شرعية النوافل تكميل الفرائض بها إن عرض فيها نقص ، كما ثبت فى الحديث فى سنن أبى داود وغيره ولترتاض نفسه بتقديم النافلة ويتنشط بها ويتفرغ قلبه أكمل فراغ للفريضة ، ا هـ صحيح مسلم شرح النووى . جـ ٦ ص ١٠

فافهم رحمك الله هذا ، ولا تكن مقتصرا على ما فرض الله عليك بل ليكن فيك ناهضة حب توجب إكبابك على معاملة الله فيما لم يوجبه عليك .

ولو كان العباد لا يجدون فى موازينهم إلا فضل الواجبات وثواب ترك المحرمات لفاتهم من الخير والمنة ما لم يحصره حاصر ، ولا يحرزه[1] جازر ، فسبحان الفاتح للعباد باب المعاملة والمبين[2] لهم أسباب المواصلة

واعلم أن الحق تعالى علم أن فى عباده ضعفاء وأقوياء ، فأوجب الواجبات وبين المحرمات ؛

فالضعفاء اقتصروا على (الواجبات ، والترك المحرمات[3]) وليس فى قلوبهم من سلطان الحب ، ووجود الشغف ما يحملهم على المعاملة من غير إيجاب ، فمثلهم[4] كمثل العبد الذى[5] يعلم السيد منه أنه إن لم يخارجه لم يهد إليه شيئا ؛

---

(١) وفى فروينه : ولا يحرزه حاوز ، وكذلك فى (ا) .
(٢) وفى فروينه : والمهيء .
(٣) وفى فروينه : [اقتصروا على القيام بما أوجب والترك لما حرم] .
(٤) وفى فروينه : فمثله .
(٥) الذى : لم توجد فى فروينه .

فلذلك وقت سبحانه الأوراد، ووظف[1] وظائف العبودية ، وعرف ذلك بالطالع[2] ، والغارب ، والزوال .

وصيرورة[3] كل شيء مثله فى الصلاة ، وبالحول فى الأموال النامية فى العين والحرث والماشية ، وبوقت حصول المنفعة فى الزرع.

« وآتوا حقه يوم حصاده[4] » .

وبعشر ذى الحجة فى الحج ، وبشهر رمضان فى الصيام .

فوظف الوظائف ، ووقتها ، وجعل للنفوس فيما سواها فسحة للحظوظ والسعى فى الأسباب .

وأهل الله تعالى ، وأهل[5] الفهم عنه جعلوا[6] الأوقات كلها وقتا واحدا ، والعمر كله نهجا إلى الله قاصدا ، فعلموا أن الوقت كله له ، فلم يجعلوا منه شيئا لغيره ، ولذلك قال الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

---

(١) وفى نسخة : وصف وضائف .
(٢) وفى فروينه : المطالع والمغارب .
(٣) وفى فروينه : وصيرورية ظل كل شيء مثليه .
(٤) من الآية : ١٤١ من سورة الأنعام .
(٥) وفى فروينه : أهل بدون واو .
(٦) وفى فروينه : فجعلوا .

عليك بورد واحد ، وهو إسقاط الهوى ومحبة المولى ·

أبت المحبة أن تستعمل محبا إلا فيما يوافق محبوبه » اهـ

وعلموا أن الأنفاس أمانات الحق عندهم ، وودائعه لديهم ، فعلموا أنهم مطالبون برعايتها فوجهوا اهممهم لذلك .

وكما أن له الربوبية الدائمة كذلك حقوق ربوبيته عليك دائمة ، فربوبيته عليك [١] غير مؤقتة بالأوقات ، فحقوق ربوبيته ينبغى أن تكون أيضا كذلك .

يقول الشيخ أبو الحسن رحمه الله :

فإن لكل وقت سهما فى العبودية يقتضيه الحق منك بحكم الربوبية » اهـ

ولنحبس عنان المقال لئلا نخرج عن غرض الكتاب .

القسم الثالث من أقسام الإيثار: وهو الإيثار بالنفس .

فهذا [٢] هو أفضل الوجوه الثلاثة ، وإنما أوثر [٣] بغيره لأجله ،

---

(١) عليك : ساقطة من فروينه .

(٢) كلمة فهذا : لم توجد فى فرينه .

(٣) وفى فروينه : وإنما أمر بغيره .

فمن آثر الله تعالى بما أوجبه عليه قد لا يؤثره بما فى يديه مما لم يوجبه عليه، ومن آثر الله تعالى بما فى يديه مما لم يوجبه عليه فقد لا يؤثره بنفسه ولا يسخوا ببذلها ، فإن السخاء بالنفس والبذل لها من أخلاق الصديقين ، وشأن أهل اليقين ، الذين عرفوا الله فبذلوا له نفوسهم [1] علما منهم ، أن العبد لا يملك مع السيد شيئا وإذا كان الإيثار بالنفس هو أكمل الوجوه فيكون البخل بها أقبح الوجوه .

فقد تبين من هذا قول الشيخ : «ومن الشح والبخل بعد حصوله» على طريق الإلماح لا الاستقصاء ، فإن الكتاب غير موضوع لهذا المعنى .

القسم الثالث من أقسام العوارض فى شأن الرزق :

فإنا ذكرنا أن العوارض التى تعرض فى شأن الرزق على ثلاثة أقسام :

عوارض قبل الحصول ،

وعوارض فى حين الحصول ،

---

(١) وفى قرينه : أنفسهم .

وقد تقدم[1] ذكرها في (كلام[2]) الشيخ فيهما ، وبينا نحن ذلك .

وعوارض بعد حصوله ، ونفاده من الأسف والندم عليه ، ودوام التطلع إليه .

فينبغي أن تطهر منها أيضا ؛ واسمع قوله تعالى :

« لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم[3] »

وقول النبي عليه الصلاة والسلام ، لما توفي ولد لإحدى بناته ، قال عليه الصلاة والسلام :

« أعلمها أن لله ما أخذ . وله ما أعطى[4] »

ومن أسف على فقد شيء دون الله تعالى فقد نادى على نفسه بوجود الجهل ، وثبات القطيعة[5] إذ لو وجد الله لم يفقد شيئا دونه ، فمن وجد الله فلا يجد شيئا دونه حتى يكون له فاقدا .

---

(١) كلمة تقدم : لم توجد في فرينه .

(٢) وفي فروينه : وقد ذكرها كلام الشيخ . . .

(٣) من الآية : ٢٣ من سورة الحديد .

(٤) هذا الحديث رواه الإمام البخاري في صحيحه والإمام مسلم عن أسامة بن زيد رضي الله عنه .

(٥) وفي فروينه : القطعة وكذلك في (١) .

وليعلم العبد أن ما فاته ليس له [1] برزق ، وما كان [2] عنده ففقده فليس له ، لأنه لو كان رزقه ما ذهب عنه إلى غيره ، بـل كان عارية عنده ، أخـــــذ العارية من أعارها ، واسترجع الشيء من أوجـــده .

وكان لبعضهم ابنة عم مسماة عليه من الصغر ، فلما كبر جرى ما منع زواجه إياها ثم تزوجت بزوج [3] غيره فجاء إليه بعض أهل الفهم وقال له [4] :

يصلح لك أن تعتذر إلى هذا الزوج الذى تزوج ابنة عمك . إذ كنت أنت المتطلع لزوجته ، إذ هى زوجته فى الأزل .

وكفى بالمؤمن تحـــــذرا [5] من الندم على ما فات قول الله تعـالى :

« ومن الناس من يعبد الله على حرف فإن أصابه خير اطمأن به

(١) له : لم توجد فى فروينه .

(٢) وفى فروينه : أو ما كان . .

(٣) « بزوج » لم توجد فى فروينه .

(٤) له . غير موجودة فى فروينه .

(٥) وفى نسخة : تحذرا .

وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين [1] »

فقد ذم الحق تعالى من يسكن للأشياء في حين وجدها ، ألا تراه كيف قال :

« فإن أصابه خير اطمأن به ؟ »

أى اطمأن بذلك الخير ، ولو فهم لما اطمأن بشيء دون الله تعالى ، ولكانت طمأنينته بالله وحده ، وكذلك من يحزن عليها عند فقدها ، لقوله تعالى :

« وإن أصابته فتنة »

والفتنة فقد ذلك المشتهى الذى كان إليه ساكنا ،

« انقلب على وجهه » أى دهش عقله ، وذهلت نفسه وغفل قلبه وما ذلك إلا لعدم معرفته بالله تعالى ، ولو عرف الله تعالى أغناه وجوده عن كل موجود ، واستغنى به عن كل مفقود .

ومن [2] فقد الله لم يجد شيئا ، (ومن وجده لم يفقد شيئا [3]) ،

---

(١) الآية : ١١ من سورة الحج
(٢) وفى فروينه : فمن .
(٣) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

وكيف يفقد شيئا من بجديده ملكوت كل شيء؟

وكيف يفقد شيئا من وجد(الموجد لكل)[1] شيء ؟

وكيف يفقد شيئا من وجد الظاهر فى كل شيء ؟

فما سوى الله عند أهل المعرفة لا يتصف بوجود ولا بفقد ، إذ لا يوجد غيره معه ، لثبوت أحديته ؛ ولا فقد لغيره لأنه لا يفقد إلا ما وجد ولو انهتك[2] حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان ، ولأشرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان .

وإذ قد فهمت هذا فينبغى لك أيها العبد أن لا تأس على فقد شيء، وأن لا تركن بوجود[3] شيء ، فإن من وجد شيئا فركن إليه أو فقد شيئا فحزن عليه فقد أثبت عبوديته لذلك الشيء الذى أفرحه وجوده[4] ، وأحزنه فقده . .

وافهم[5] هاهنا قوله عليه الصلاة والسلام :

---

(١) وفى فروينة : من وجد بكل شيء .

(٢) وفى فروينه : انكشف .

(٣) وفى نسخة : يوجد .

(٤) وفى فروينة : وجده .

(٥) وفى نسخة: فافهم .

« تعس عبد الدينار ، تعس عبد الدرهم ، تعس عبد الخميصة ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش [1] »

فلا تحكم فى قلبك أيها المؤمن شيئا إلا حب الله ووده ، فإنك أشرف من أن تكون عبدا لغيره ، فقد جعلك عبدا كريما ، فلا تكن عبدا لئيما .

وقد أبى لأهل الفهم عن الله تعالى ، فهمهم ، أن يركنوا لوجد أو يتطلعوا لفقد ، حفظا لعبوديتهم [2] وتصحيحا لحريتهم عما[3] سواه .

(١) هذا الحديث الشريف رواه الإمام البخارى ، عن أبى هريرة رضى الله عنه ، ولفظه :

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة ، وعبد القطيفة ، إن أعطى رضى ، وإن لم يعط سخط ، تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش ، طوبى لعبد آخذ بعنان فرسه فى سبيل الله أشعث رأسه مغبرة قدماه ، إن كان فى الحراسة كان فى الحراسة وإن كان فى الساقة كان فى الساقة إن استأذن لم يؤذن له ، وإن شفع لم يشفع) اهـ

(٢) وفى قروينه : لعبودتهم له .

(٣) وفى نسخة : مما

وسمعت شيخنا أبا العباس رحمه الله يقول :

الكائن فى الحال على قسمين ، عبد هو فى الحال بالحال ، وعبد هو فى الحال بالمحول .

والذى [1] هو فى الحال بالحال : هو عبد الحال الذى يفرح بها [2] إذا وجدها ، ويحزن عليها إذا فقدها .

وعبد هو فى الحال بالمحول : فذلك عبد الله لا عبد الحال ، وهو الذى لا يأس عليها إذا فقدها ، ولا يفرح إذا وجدها [3] .

فقوله تعالى : « ومن الناس من يعبد الله على حرف » أى على وجهة واحدة . فإن زالت ، زالت طاعته ، وانفصلت موافقته ، ولو فهم عنا لعبدنا على كل حالة وفى كل وجهة ، كما أنه ربك تعالى فى كل حال كذلك ، فكن له عبدا فى جميع الأحوال .

فقوله سبحانه وتعالى :

« فإن أصابه خير اطمأن به » أى إن أصابه خير مما يلائم نفسه هو

---

(١) وفى فروينه . فالذى .

(٢) وفى فروينة : لها .

(٣) وفى نسخة : ولا يفرح بها .

فى نظره خير ، وقد يكون شرا فى نفس الأمر .

« وإن أصابته فتنة انقلب » . أى فقد ذلك الخير الذى كان به[1] مطمئنا ، وسماه فتنه لأن فى الفقد اختبار إيمان المؤمن[2] . وفى الفقد يظهر أحوال الرجال ،

فكم من ظان أن غناه بالله ، وإنما غناه بوجود أسبابه ، وتعددات اكتسابه ؟

وكم من ظان[3] أن أنسه بربه ، وإنما أنسه بحاله ، دليل ذلك فقدانه لأنسه عند فقدان حاله . فلو كان أنسه بربه ، لدام أنسه بدوامه ، ولبقى ببقائه

وقوله تعالى : « خسر الدنيا والآخرة »

خسر الدنيا بفقدان ما أراد منها ، وخسر الآخرة ، لأنه لم يعمل لها ، فقد فاته [4] ماطلبه وهو ما طلبنا[5] حتى نكون له ، فافهم .

---

(١) وفى فرينة : فيه .
(٢) وفى فروينة : المؤمين .
(٣) (أن) لم توجد فى فروينة . .
(٤) كلمة (فاته) لم توجد فى فروينة والأصح ذكرها ليستقيم المعنى .
(٥) وفى فروينه : فما

(أمثلة للمدبرين مع الله تعالى *)

فصل: نذكر فيه أمثلة التدبير مع الله ، والمدبرين معه ، وأمثلة الرزق وضمان الحق تعالى له ، فإن بالمثال يتبين الحال .

مثل المدبر مع الله ، كمن بنى بناءه على شاطىء البحر ، كلما اجتهد فى بنائه ، كثرت عليه الأمواج ، فتداعى جميع أنحائه .

كذلك المدبر مع الله تعالى ، يبنى مبانى التدبير ، وتهدمها واردات المقادير لأجل ذلك قيل :

« يدبر المدبر ، والقضاء يضحك »

وقال الشاعر :

متى يبلغ البنيان يوما تمامه ... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم؟

مثال آخر :

مثل المدبر مع الله تعالى كرجل جاء إلى رمال مترا كمة ، فوضع عليها بناءه فجاءت العواصف فنسفت الرمال ، فتهدم ما بناه ، كما قيل :

---

* العنوان من عمل المحقق

(١) وفى فروينه : بناء .

وعهودهم بالرمل قد درست وكذاك ما يبنى على الرمل

مثال آخر :

مثل المدبر مع الله تعالى، كمثل ولد سافر مع والده ، فسارا ليلا ؛ والأب لإشفاقه على الولد يراقبه من حيث لا يراه الولد ، والولد لا يرى الوالد للظلمة الحائلة بينهما ، فالولد مهموم بأمر نفسه كيف يفعل فى شأنه ، فإذا طلع القمر ورأى قرب الأب منه سكن جأشه ، وهدأ روعه لأنه رأى قرب أبيه منه فاغتنى بتدبيره له عن تدبيره لنفسه ،

كذلك المدبر مع الله تعالى لنفسه ، إنما دبر لأنه فى ليل القطيعة ، فلم يشهد قرب الله تعالى منه(١) ، فلو طلع قمر التوحيد ،أو شمس المعرفة، لرأى قرب الحق تعالى منه ، فاستحى أن يدبر معه ، واغتنى بتدبير الله تعالى له، عن تدبيره لنفسه .

مثال آخر :

التدبير شجرة تسقى بماء سوء الظن، وثمرتها القطيعة عن الله تعالى، إذ لو حسن العبد ظنه بربه لماتت شجرة التدبير من قلبه لانقطاع غذائها، وإنما كان ثمرتها القطيعة عن الله تعالى لأن من دبر لنفسه فقد اكتفى بعقله ورضى بتدبيره ، واحتال على وجوده ، فعقوبته أن يحال عليه ،

---

(١) د فى فروينه : لم توجد كلمة (منه) .

وأن يمنع واردات المنن أن تصل إليه .

مثال آخر :

مثل المدبر مع الله كعبد أرسله سيده إلى بلد له ليصنع له فيها قماشا[١] فدخل العبد تلك البلدة ، فقال : أين أسكن ؟ ومن أتزوج ؟

فاشتغل بذلك ، وصرف همته لـ هنا لك، وعطل ما أمره به السيد حيث[٢] دعاه سيده إليه ، فجزاؤه من سيده[٣] أن جازاه بالقطيعة ، ووجود الحجبة لا شتغاله بأمر نفسه ، عن حق سيده .

كذلك أنت أيها المؤمن ، أخرجك الحق إلى هذه الدار، وأمرك فيها بخدمته ، وقام لك بوجود التدبير لك منه[٤] . فإن اشتغلت بتدبير نفسك عن حق سيدك ، فقد عدلت عن سبيل الهدى وسلكت مسلك الردى .

مثال آخر :

مثل المدبر مع الله تعـــالى ، والذى لا يدبر كعبدين للمالك

---

(١) وفى نسخة : بها .
(٢) وفى نسخة (ا) حتى
(٣) وفى فروينه : السيد .
(٤) لك : لم وجد فى فروينه .

أما أحدهما : فمشتغل بأوامر سيده ولا[1] يلتفت إلى ملبس ولا مأكل، بل إنما تهمه[2] خدمة السيد فأشغله ذلك عن التفرغ لحظوظ نفسه، ومهماتها .

وعبد آخر : كيفما طلبه السيد وجده فى غسل ثيابه ، وسياسة مركوبه ، وتحسين زيه .

فالعبد الأول أولى بإقبال السيد من العبد الثانى ، المشتغل بحظوظ نفسه ، ومهماتها عن حقوق سيده ، والعبد إنما اشترى للسيد لا لنفسه.

وكذلك العبد البصير ، لا تراه إلا مشغولا بحقوق الله تعالى ، ومراقبة أوامره عن محاب نفسه ، ومهماتها ، فلما كان كذلك قام له الحق تعالى بكل أمره ، وتوجه له[3] بجزيل عطائه لصدقه فى توكله :
« ومن يتوكل على الله فهو حسبه[4] » .

والغافل ليس كذلك ، لا تجده إلا فى تحصيل أسباب دنياه ، وفى الأشياء التى توصله إلى هواه ، قائما بوجود التدبير من نفسه لنفسه ،

(١) وفى فروينه : لا .
(٢) وفى فروينه : همته .
(٣) وفى فرونيه : إليه .
(٤) من الآيه ٣: من سورة الطلاق .

محالا عليها ، مقطوعا به عن وجود حسن الثقة وصدق التوكل .

مثال آخر :

مثل[1] المدبر مع الله تعالى كالظل المنبسط فى عدم استواء الشمس فإذا استوت الشمس فى ذلك الظل ، حتى لا يبقى منه إلا بقية رسم لا تمحوه المقابلة ، كذلك شمس المعرفة إذا قابلت القلوب محت منها وجود التدبير إلا بقاء رسم من تدبير العبد أبقى فيه ليجرى عليه التكليف .

مثال آخر :

مثل المدبر مع الله تعالى لنفسه ، كرجل باع دارا ، أو عبدا ، ثم بعد المبايعة ، وإتمامها[2] جاء البائع إلى المشترى ، فقال له :

لا تبن فيها[3] شيئا ، أو اهدم منها بيت كذا ، أو افعل فيها كذا .

أو جاء البائع ليفعل ذلك فيقال له : أنت قد بعت وليس لك بعد البيع تصرف فيما بعته ، إذ ليس بعد المبايعة منازعة ، وقد قال سبحانه وتعالى :

---

(١) وفى فروينه : مثال المدبر .

(٢) وفى فروينه . وإثباتها .

(٣) وفى فروينه : فى هذه .

« إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة[1] »

فعلى المؤمن أن يسلم نفسه لله وما انتسب اليها ، لأنه أنشأها ، ولأنه اشتراها ، ومن لازم التسليم ترك التدبير لما أنت له مسلم كما ينبغي .

وأما الرزق فمثال رزق العبد فى هذه الدار كمثل سيد قال لعبده : الزم هذه الدار قائما فيها بخدمة كذا فلم يكن للسيد ليأمره بذلك إلا (وهو يطعمه ويسقيه ويكسبه[2]) ويقوم له بوجود الكفاية ولا يهمله من الرعاية ، كذلك العبد أمره الله تعالى فى الدنيا بالطاعة والموافقة ، وضمن له وجود القسمة ، فليقم العبد بخدمته ، فإن السيد قائم غايه بمنته ، قال الله تعالى :

« وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها ،لانسألك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للتقوى[3] » وقد تقدم بيانه .

مثال آخر :

مثل العبد مع الله تعالى فى هذه الدنيا كالطفل مع أمه ولم تكن

---

(١) من الآية : ١١١ من سورة التوبة .

(٢) ما بين القوسين نصه فى فروينه [ويطعمه ويكسوه . . .

(٣) الآية : ١٣٢ من سورة طه

الأم لتدع ولدها من كفالتها ، ولا أن تخرجه من رعايتها، وكذلك المؤمن مع الله تعالى ، قائم له الحق تعالى بحسن الكفالة ، فهو سائق إليه المنن ودافع عنه المحن .

رأى رسول الله عليه الصلاة والسلام امرأة معها ولدها فقال :

« أترون أن هذه طارحة ولدها فى النار ؟

فقالوا : لا يارسول الله .

فقال عليه الصلاة والسلام :

« الله أرحم بعبده المؤمن من هذه بولدها[1] »

مثال آخر :

مثل العبد فى الدنيا كمثل عبد قال له سيده : اذهب إلى أرض كذا او كذا ، واحكم أمرك ، لأن تسافر من تلك الأرض فى برية كذا وخذ أهبتك وعدتك ، فإذا أذن له السيد فى ذلك ، فمعلوم أنه قد أباح له أن يأكل مايستعين به على إقامة بنيته ليسعى فى طلب المدة ، وليقوم بوجود الأهبه .

كذلك العبد أوجده الحق فى هذه الدار ، وأمره أن يتزود منها لمعاده ، فقال الحق تعالى :

---

(١) هذا الحديث حديث صحيح ، أخرجه الطبرانى فى معجمه الصغير ، سبق أن خرجناه من قبل .

«وتزودوا فإن خير الزاد التقوى[1]»

فمعلوم أنه إذا أمره بالزاد للآخرة فقد أباح له أن يأخذ من الدنيا مايستعين به على تزوده ، واستمداده ، وتأهبه لميعاده .

مثال آخر :

مثل العبد مع الله تعالى كمثل سيد له بستان أمر عبده أن يكون فيه غارسا، وزارعا ، وقائما بمصلحته ، فإن كان ذلك العبد حين أمر بذلك قام بما طلبه السيد منه ، لايخرج عنه ، فليس السيد بلائم[2] له ، ولا مانع إياه من أكله من ذلك البستان، فإنه إذا أكل منه عمل فيه . لكن على العبد أن يأكل مايستعين به على الخدمة ، وأن لا يأكل أكل التمتع والتشهى

مثال آخر :

مثل العبد مع الله كمثل والد غرس غرسا كثيراً ، وبنى ربعا كبيراً، فقيل له :

لمن فعلت هـــــذا ؟ فقال لولد عساه أن يحدث لى ،

فهيأ للولد مايحتاج إليه قبل وجوده حبا منه له[3] ،

---

(١) من الآية ١٩٧ من سورة البقرة .

(٢) وفى فروينه : فليس للسيد يلومه .

(٣) وفى فروينه : حباً منه فيه .

أفترى إذا أعد له الأب قبل وجوده ، أيمنعه إياه بعد وجوده ؟

كذلك العبد مع الله تعالى . هيأ له الحق المنة من قبل أن يخلقه[١] في هذه الدار . لأن المنة سابقة لوجودك إن فهمت .

ألا ترى أنه سبق عطاؤه إياك وجودك ، ومنته عليك[٢] ظهورك إذ هو أعطى في الأزل [قبل أن يكون العبد ويكون منه له عمل ، فما قسمه لك في الأزل[٣]] وادخره لك ليس بمانعه عنك ، أهو[٤] هيأ لك قبل الوجود ويمنعك لما وجدت ؟

مثال آخر :

مثل العبد مع الله تعالى ، كمثل أجير أتى به ملك إلى داره ، وأمره بأن يعمل له عملا فما كان الملك ليأتي بالأجير فيستخدمه[٥] في هذه الدار ، ويتركه من غير تغذية ، إذ هو أكرم من ذلك ، كذلك العبد مع الله تعالى ، فالدنيا دار الله ، والأجير هو أنت . والعمل هو الطاعة ، والأجرة

---

(١) وفى فروينه : يدخله ، وفى نسخة (١) يخلقه .

(٢) وفى فروينه : ومنته عليك قبل .

(٣) ما بين القوسين لم يرد فى مخطوطة فروينه .

(٤) وفى نسخة (١) أهيأ لك . . .

(٥) وفى فروينة : ويستخدمه .

هى الجنة ، ولم يكن الله ليأمرك بالعمل ثم[1] لا يسوق لك ما به تستعين عليه .

مثال آخر :

مثل العبد مع الله تعالى كمثل ضيف نزل على ملك كريم فى داره فحق على ذلك الضيف أن لا يهتم بمأكل ولامشرب ، لأنه إن فعل ذلك كان تهمة للملك ، وسوء ظن منه به ، وقد تقدم ذلك من قول الشيخ أبى مدين رحمه الله كذلك الدنيا دار الله ، والعباد فيها ضيوفه ، ولم يكن الله تعالى ليأمر بالضيافة على لسان رسوله عليه الصلاة والسلام ، ويكون لها تاركا ، فالمهتم فيها بمأكل ومشرب ممقوت فى نظر الملك إذ لولا شكه فى الله لما كان يهتم[2] بشأنه .

مثال آخر :

مثل العبد مع الله تعالى ، كمثل عبد أمره الملك أن يقيم فى أرض كذا ، يحارب العدو الذى هنالك ، وأن يبذل عزمه فى مجاهدته ، وأن يدوم على محاربته[3] .

---

(١) وفى نسخة : ولا يسوق .

(٢) وفى فروينه : تهمه .

(٣) وفى نسخة (١) محاربته .

فمعلوم أنه إذا أمره بذلك أنه[1] يبيح له أن يأكل من إهداء تلك البلدة ومخازنها بالأمانة ، ليستعين بذلك على محاربة العدو الذى أمره الملك بمحاربته ، كذلك العباد أمرهم الحق بمحاربة الشيطان بقوله:

« وجاهدوا فى الله حق جهاده »

وقال :

« إن الشيطان لكم عدو ، فاتخذوه عدوا »

فلما أمرهم بمحاربته أذن لهم أن يتناولوا من منته ما يستعينون به على محاربة الشيطان ، إذ لو تركت المأكل والمشرب ، لم يمكنك أن تقوم لطاعته[2] ، ولا أن تنهض بخدمته ، فقد تضمن أمر الملك بالمجاهدة إباحة تناول ما هو منسوب للمالك[3] مما هو معد لك ، ولكن[4] على طريق الأمانة محفوفا بالصيانة .

مثال آخر :

مثل العبد مع الله تعالى كشجرة غرسها غارس[5] طالبا نموها

---

(١) وفى نسخة (١) أن يبيح .

(٢) وفى فروينه : بطاعته .

(٣) وفى نسخة (١) فى الملك .

(٤) لكن : لم توجد فى فروينه .

(٥) وفى فروينه : غارسها .

ونتاجها ، فقد علمت الشجرة إن يكن[1] لها علم ، أو علمنا ذلك فيها أنه ما كان ليغرسها ، ويمنعها السقى ، كيف وهو حريص على نتاجها مريد لنمائها ، كذلك أنت أيها العبد شجرة الله غارسك وهو ساقيك فى كل وقت قائم لك بوجود التغذية ، فلا تتهمه أن يغرس شجرة وجودك ، ثم يمنعك[2] من السقيا بعد الغرس فإنه ليس بغافل[3] .

مثال آخر :

مثال العبد مع الله تعالى ، كمثل ملك له عبيد بنى دارا وأحسنها وبهجها ، وتولى غراسها ، وكمل المشتهيات فيها ، فى غير الوطن الذى العبيد فيه ، وهو يريد أن ينقلهم إليها ؟

أترى إذا كان هذا غايته[4] بهم فيما ادخره لهم عنده ، وهياه لهم بعد الرحلة ، أيمنعهم ها هنا أن يتناولوا من منته وفضلات طعامه ، وهو قد هيأ لهم الأمر العظيم ، والفضل الجسيم ؟

---

(١) وفى فروينه : يمكن .

(٢) من : لم توجد فى فروينه .

(٣) وفى فروينه : بفاعل .

(٤) وفى فروينه : عنايته .

كذلك العباد مع الله ، جعلهم فى الدنيا ، وهيأ لهم الجنة كما[1] هيأ لهم الآخرة ، وهو يريد أن يمنعهم من الدنيا ما يقوم به وجودهم، ولذلك[2] قال تعالى :

« كلوا واشربوا من رزق الله »[3] .

وقال تعالى :

« كلوا من رزق ربكم واشكروا له »[4] .

وقال :

« يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا »[5] .

وقال :

« يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم[6] » .

---

(١) وفى فروينه : فما هيأ لهم .
(٢) وفى فروينه : لذلك قال تعالى .
(٣) من الآية : ٦٠ من سورة البقرة .
(٤) من الآية : ١٥ من سورة سبأ .
(٥) من الآية : ٥١ من سورة المؤمنون .
(٦) الآية : ٢٧٢ من سورة البقرة

فإذا ادخر لك الباقى ، ومن [1] به عليك لا يمنعك الفانى فإن منعك منه ، فإنما منعك مالم يقسمه لك ، ومالم يقسمه لك فليس لك ، [فكان ذلك للمنع لك منه عطاء ونظرا [2]] علم أن فيه مصلحة وجودك ونظام أمرك ، كما يقطع توالى المـــاء عن الشجرة لئلا يتلفها دوام السقيا .

مثال آخر :

مثل المتهمم [3] بأمر دنياه ، الغافل عن التزود لآخرته ، كمثل إنسان هاجمه سبع وقد كاد أن يفترسه ، ووقع عليه ذباب فاشتغل بذب ذلك الذباب ودفعه عن التحرز من الأسد ، فهذا عبد أحمق ، فاقد وجود العقل ، ولو كان بالعقل متصفا لشغله أمر الأسد ، وصولته ، وهجومه [4] عليه عن الفــكرة فى أمر [5] الذباب ، والاشتغـــال به ، كذلك المتهمم بأمر دنياه ، الغافل عن التزود لأخراه ، دل ذلك منـــه على وجود حمقـــه ، إذ

---

(١) وفى فروينه : ومن عليك به .

(٢) ما بين القوسين نصه فى فروينه [ويكون ذلك المنع منه لك نظر]

(٣) وفى فروينه : المهتم .

(٤) وفى نسخه (ا) هجومته .

(٥) كلمة أمر لم توجد فى فروينه .

لو كان فاهما[1] ، عاقلا ، لتأهب للدار الآخرة التي هو مسئول عنها ، وموقوف فيها ، ولا يشتغل بالاهتمام بأمر الرزق ، فإن الاهتمام به بالنسبة إلى الآخرة كنسبة الذباب إلى مفاجأة الأسد وهجومه .

مثال آخر :

مثل العبد مع الله تعالى كمثل الطفل مع أبيه لايعول مع الأب هما ولا يخشى عدما[2] ، لعلمه أن الأب قائم له بوجود الكفالة ، فطيبت الثقة به عيشه ، وأزال الاعتماد على أبيه غمه ،

كذلك العبد المؤمن مع الله تعالى ، لايعول الهموم ، ولا ترد بساحة قلبه الغموم من شأن الرزق ، لعلمه بأن الحق لايدعه ، وعن فضله لايقطعه ، ومن وجوده وإحسانه لايمنعه .

مثال آخر :

مثل العبد مع الله تعالى كعبد له سيد غني متصف بالثروة ، والإحسان إلى عبيده ، وغير معروف بالمنع موصوف [بالجود ، والعطاء[3]] ،

---

(١) وفي نسخة : فهما .

(٢) وفي نسخة : غرما .

(٣) وفي فروينه : بوجود العطاء .

والعبد بفضله واثق ، ولإحسانه رامق ، علم من سيده الغنى فأخرجه ذلك عن[1] وجود العناء ، وهذا بعينه كان سبب توبة شقيق[2] البلخى رحمه الله .

---

(١) وفى فروينة : من وجود .

(٢) وهو أبو على شقيق بن إبراهيم البلخى من مشايخ خراسان ، أخذ الفقه عن أبى حنيفة . يقول عنه الشعرانى فى طبقاته الكبرى الجزء الأول ص ٦٥ :

« له لسان فى التوكل ، حسن الكلام ، وقيل أنه أول من تكلم فى علم الأحوال بكورة خراسان ، صحب إبراهيم بن أدهم وأخذ عنه طريقته وهو أستاذ حاتم الأصم رحمه الله ، وكان رضى الله عنه يقول: عملت فى القرآن عشرين سنة حتى ميزت الدنيا من الآخرة ، فأصبته فى حرفين وهما قوله تعالى : وما أوتيتم من شىء فمتاع الحياة الدنيا وزينتها وما عند الله خير وأبقى » .

وسئل بأى شىء يعرف العبد بأن نفسه اختارت الفقر على الغنى ؟ فقال : إذا صار يخاف من حصول الغنى كما كان يخاف من حصول الفقر فقد اختار الفقر ، اهـ أنظر الطبقات للشعرانى .

ويقول عنه الذهبى : سافر أبو على شقيق البلخى ومعه ثلثمائة فقير فتوسل إليه المأمون حتى اجتمع به وقال له : أنت شقيق الزاهد ؟ فقال: نعم . شقيق ولست بالزاهد : قال: أوصنى . قال: إن الله قد أجلسك

قال : عبرت فى زمن مجاعة فوجدت غلاماً منبسطاً منشرحاً ليس عنده علم مما الناس فيه ، فقلت له :

يا فتى أما تعلم ما الناس فيه ؟

فقال : وما أبالى ولمولاى قرية خالصة ، يدخل إلينا كل يوم ما نحتاج إليه .

= مكان الصديق ، وإنه ليطلب منك مثل صدقه، ومكان الفارق ويطلب منك الفرق بين الخير وغيره. ومكان عثمان ويطلب منك مثل حيائه وكرمه ومقام على ويطلب منك مثل علمه وعدله » اهـ .

ومن كلامه رضى الله عنه . « مثل المؤمن كمثل رجل غرس نخلة وهو يخاف أن تحمل شوكا . ومثل المنافق كمثل رجل غرس شوكا وهو يطمع أن يحصد رطبا هيهات » . ومن كلامه أيضا : الزاهد هو الذى يقيم زهده بفعله . والمتزهد هو الذى يقيم زهده بلسانه » . وكان يقول اتق الأغنياء فإنك متى عقدت قلبك معهم وطمعك فيهم فقد اتخذتهم أربابا من دون الله » . وكان رضى الله عنه يقول: إذا كان العالم طامعا وللمال جامعا ، فبمن يقتدى الجاهل ؟ وإذا كان الفقير المشهور بالفقر راغبا فى الدنيا والتنعم بملابسها ومناكحها فبمن يقتدي الراغب حتى يخرج عن رغبته : وإذا كان الراعى هو الذئب فمن يرعى الغنم ؟ ») اهـ رحمه الله ورضى عنه .

فقلت فى نفسى:

إن كان لسيد هذا قرية خالصة ، فمولاى له خزائن السموات والأرض ، فأنا أولى بالثقة[1] من هذا بسيده ، وهو كان سبب انتباهى.

مثال آخر :

مثل العبد المتسبب المرزوق فى وجود السبب ، كمثل عبد قال له السيد :

[اعمل وكل من عملك .

ومثال المتجرد كمثل عبد قال له][2] السيد : الزم أنت خدمتى ، وأنا أسوق إليك منتى .

مثال آخر :

مثل العبد النافذ إلى الله تعالى فى الأسباب بمثابة الرجل يقعد تحت الميزاب إذا أمطرت السماء ، فهو يشكر الله تعالى وحده ، ولا يلزم من قعوده تحت الميزاب أن يضيف المطر له ، بل علم أنه إن لم يكن فيه لم يجد[3] شيئا ، كذلك الأسباب ، ميازيب المنن ، فمن دخل

---

(١) وفى فروينه : أولى بالثقة منه به من هذا .

(٢) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٣) وفى نسخة فروينه : يوجد .

فى الأسباب ، وهمته متطلعة بالله تعالى لا بها لم يضره ذلك ولم يخش عليه القطيعة فيما هنالك ،

ومثل الواقف مع الأسباب الغافل عن وليها ، كمثل البهيمة يعبر عليها مالكها فلا تلتفت إليه ، وهو المالك لها ، والمعطى لسائسها ما ينفق عليها فإذا عبر سائسها بصبصت بعينها ، وتشوفت اليه لاعتيادها منه أنه يتولى طعمتها ،

فالعبد[1] كذلك لأنه اجرى عليه الإحسان على أيدى الخلق يشهد ذلك منهم ، ولم يخرجه عنهم ، فهو كالبهيمة أحسن حالا منه :

« أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون[2] »

مثال آخر :

مثل الواقف مع الأسباب ، والنافذ الى الله فيها ، كمثل رجلين دخلا حماماً .

أحدهما : وافر العقل ، والآخر غالب عليه البـــلاهة[3] ،

فاستوقف الماء .

---

(١) وفى فروينه : فالغافل .

(٢) الآية : ١٧٩ من سورة الأعراف .

(٣) وفى فروينه : البلاهة والحزن غالب عليه .

فأما العاقل[1] فيعلم أن له مصرفاً من ورائه يصرفه ، ومجريا يجريه ، فيرجع[2] اليه ليرسل له منه ما كان قطعه أو يفعل ما يشاء .

وأما الآخر ، فيأتى[3] الى الانبوب فيقول[4] :

أيها الأنبوب ، اسكب[5] لنا ماء ، ما لك قطعتنى ماءك ؟

فيقال له : [انك لأحمق[6]] ، وهل الأنبوب يسمع شيئاً ؟ أو يفعل شيئاً ؟ انما هى محل ومجرى يظهر فيها ما أجرى فيها .

ومثال العبد المدخر كعبد لملك جعله فى بستانه ليقوم باصلاح شأنه ، فللعبد أن يأكل من ثمرات ذلك البستان ما يتقوى به على الغراس ، والزراعة فيه ، وليس له أن يدخر ، لأن ثمرة ذلك البستان دائمة ، وسيده غنى قادر[7] ، فان ادخر بغير اذن سيده امسا كا على نفسه ،

---

(١) وفى فروينه : فهو يعلم .
(٢) وفى فروينه : فرجع .
(٣) وفى نسخة : فانه يأتى .
(٤) فيقول : لم توجد فى فروينه .
(٥) وفى فروينه : اسكى . .
(٦) وفى فروينه : إنه الأخرق .
(٧) قادر : لم توجد فى قزوينه .

وتهمة لسيده فقد خان .

ومثال[1] العبد الذي لا يدخر كعبد هو في بستان السيد أو في داره ، علم أنه لا ينساه سيده ، ولا يهمله ، بل يبذل له خيره ، ويوصل إليه [[2] بره ، فاغتنى بسيده عن الادخار معه ، وبغناه عن أن يحتاج [وأن يعتمد على[3] [شيء دونه .

فهذا العبد : حرى أن يواجه بالاقبال ، وأن يسعف بالنوال .

مثال آخر :

المدخر بالأمانة . كعبد للملك لا يري أن له مع سيده شيئاً لا يعتمد ادخار ما في يده ، ولا بذله ، بل لا يختار إلا ما اختاره السيد له ، فإذا فهم هذا العبد أن الإمساك مراد سيده ، أمسك لسيده لا لنفسه ، حتى يتخير[4] موضع صرفه ، فيكون له صارفا حين يفهم عن سيده إرادة صرفه .

فهذا بإمساكه غير ملوم ، لأنه أمسك لسيده لا لنفسه .

---

(١) وفي فروينه : كذلك العبد .
(٢) ما بين القوسين نصه في فروينه [بل يبذله خيرا ويوصله]
(٣) ما بين القوسين نصه في فروينه إلى
(٤) وفي فروينه : يتحين .

كذلك أهل المعرفة بالله تعالى ، إن بذلوا[1] فلله ، وإن أمسكوا فلله[2]، يبتغون ما فيه رضاه ، ولا يريدون ببذلهم وإمساكهم إلا إياه، فهم خزان أمناء ، وعبيد كبراء ، وأحرار كرماء ، قد حررهم الحق تعالى من رق الآثار ، فلم يميلوا إليها بحب ، ولا أقبلوا عليها[3] بود ، منعهم من ذلك ما أسكن فى قلوبهم من حب الله ، ووده؛ وما امتلأت به صدورهم من عظمته[4] ، ومجده ، وليس الممسك لله بدون الباذل له فصارت الأشياء فى أيديهم كهى فى خزائن الله من قبل أن تصل إليهم علما منهم أن الله تعالى يملكهم ويملك ما ملكهم ، ومن لم يحسن الإمساك لله لم يحسن البذل له فافهم .

« مناجاة الحق »*

فصل : نذكر فيه مناجاة الحق سبحانه وتعالى لعبده على ألسنة هواتف الحقائق فى شأن التدبير[5] والرزق .

---

(١) وفى نسخة (د) إن أبذلوا .

(٢) وفى نسخة (د) فلله .

(٣) وفى فروينه : عليه .

(٤) وفى فروينه : عظمته ووده .

* العنوان من عمل المحقق

(٥) وفى فروينه : الرزق والتدبير .

أيها العبد : ألق سمعك وأنت شهيد ، يأتك منى المزيد ، واصغ بسمع قلبك ، فأنا عنك لست ببعيد .

أيها العبد : كنت لك بتدبيرى لك من قبل أن تكون لنفسك، فكن لنفسك بأن لا تكون لها ؛ وتوليت رعايتها قبل ظهورك ، وأنا الآن فى[1] الرعاية لها .

أيها العبد : أنا المنفرد بالخلق والتصوير ، وأنا المنفرد بالحكم والتدبير ، لم تشركنى فى خلقى وتصويرى ، فلا تشاركنى فى حكمى وتدبيرى .

أنا المدبر لملكى ؛ وليس لى فيه ظهير ، وأنا المنفرد بحكمى فلا[2] احتاج فيه إلى وزير .

أيها العبد : من كان لك بتدبيره قبل الإيجاد فلا تنازعه فى المراد، ومن عودك حسن النظر منه لك ، فلا تقابله بالعناد .

أيها العبد : عودتك حسن النظر منى [لك فكن على][3] إسقاط التدبير منك معى .

---

(١) وفى فروينة : على الرعاية .

(٢) وفى نسخة أخرى : ولا

(٣) وفى فروينه : فعودنى

أيها العبد : أشكا بعد وجود التجربة ، وحيرة بعد وجود البيان، وضلالا بعد وضوح الهدى ؟

أما يحيلك على علمك بأنه لا مدبر لك غيرى ؟

أما يجنبك من المنازعة لى ما سبق من وجود خيرى ؟

أيها العبد : انظر نسبة وجودك من أكوانى ترى أنك مثلا شى فى الفانى فما ظنك بما ليس بفانى، وقد سلمت إلى قيامى بملكتى ، وأنت من مملكتى ، فلا تنازع ربوبيتى، ولا تضادد بتدبيرك مع وجود إلاهيتى.

أيها العبد : أما يكفيك أنى أكفيك ؟ أما يوجب سكونك لى سوابق عوائدى فيك ؟

أيها العبد : متى أحوجتك إليك ، حتى تحتال عليك ؟ ومتى وكلت شيئاً من مملكتى لغيرى حتى أكِلَ ذلك إليك ؟

أيها العبد : أعددت لك وجودى من قبل أن أظهرك لوجودى ، وظهرت بقدرتى فى كل شىء ، فكيف يمكنك جحودى ؟

أيها العبد متى خاب من كنت له مدبرا ، ومتى خذل من كنت له منتصرا ؟

أيها العبد لتشغلك خدمتى عن طلب قسمتى وليمنعك حسن الظن بى عن اتهام ربوبيتى

أيها العبد: لاينبغى أن يتهم [١] محسن ، ولا أن ينازع مقتدر ، ولا أن يضاد [٢] قهار، ولا أن (يعترض على حكم حكيم [٣]) ولاأن يسال هم مع لطيف.

أيها العبد لقد فاز بالنجح من خرج عن الإرادة معى ، ولقد دل على يسر الأمر من احتال على ، ولقد ظفر بكنز الغنى من صدق فى الفاقة إلى ، ولقد استوجب النصر منى عبد إذا تحرك تحرك بى ، ولقد استمسك بأقوى الأسباب من استمسك بسببى ، إنى آليت على نفسى أن أجازى أهل التدبير بوجود التكدير ، وأن أهدم ما شيدوا ، وأحل ما عقدوا ، وأن أكلهم إليهم ، وأن أحيلهم عليهم ، ممنوعين من روح الرضا ، ونعيم التفويض ، فلو [٤] ما فهموا عنى لاقتنعوا بتدبيرى لهم عن تدبيرهم لأنفسهم ، برعايتى لهم عن رعايتهم إياها ، فاذا كنت أسلك بهم سبيل الرضا ، وأنهج بهم منهج أهل الهدى وأسمى بهم فى طريق بيضا ، وأجعل عنايتى بهم [٥] واقية لهم [٦] من كل ما يخافون،

---

(١) وفى فروينة : تتهم

(٢) وفى فروينة : أن يضادد .

(٣) وفى فروينة : تعترض على حكيم .

(٤) وفى نسخة (١) إذ قد فهموا وكذلك فى فروينه .

(٥) وفى فروينة . لهم .

(٦) لهم لم توجد فى فروينه.

وجالبة لهم جميع ما يرجون ، وذلك على [1] يسير .

أيها العبد : نريد منك أن تريدنا ولا تريد معنا ، ونختار لك أن تختارنا ولا تختار معنا ، ونرضى لك أن ترضانا ، ولا نرضى لك أن ترضى سوانا .

أيها العبد : إن قضيت لك فلا راد فى ظهور فضلى عليك ، وإن قضيت عليك فلأنى أريد أن أورد فى قضائى أسرار لطفى إليك .

أيها العبد : لا تجعل جزاء ما أظهرت فيك من نعمتى وجــود منازعتى ، ولا تجعل [2] عوض ما أحسنت لك بالعقل الذى ميزتك[3] به وجود مضاددتى .

أيها العبد : كلما سلمت لى تدبير أرضى وسمائى ، وانفرادى فيهما بحكمى وقضائى ، سلم وجودك لى ، فإنك لى ، ولا تدبر معى فإنك معى ، واتخذنى وكيلا ، وثق بى وكيلا . أعطيك عطاء جزيلا ، وأهبك فخرا جليلا .

أيها العبد : إنى حكمت فى أزلى أنه لا يجتمع فى قلب عبدى

---

(١) وفى فروينة : وذلك لعله على يسير .

(٢) ولا تجعل لم توجد فى فروينة.

(٣) وفى فروينة : ميزت

ضياء التسليم لى وظلمة المنازعة معى ، فمتى كان واحدمنها لم يكن الآخر معه ، فاختر لنفسك .

ويحك : إنا أجللنا قدرك أن تشتغل[1] بأمر نفسك ، فلا[2] تصغر قدرك يامن رفعناه . ولاتذلن[3] بحوالتك على غيرى ، يامن أعززناه .

ويحك أنت أجل عندنا من أن تشتغل بغيرنا ،

لحضرتى خلقتك ، واليهـــا خطبتك ، وبجواذب عنايتى لها جذبتك .

فإن اشتغلت بنفسك حجبتك .

وإن اتبعت هواها طردتك .

وإن خرجت عنها قربتك .

وإن توددت لى بإعراضك عما سواى أجبتك .

أيها العبد :

أما كفاك لو اكتفيت ، وهداك لو اهتديت ، أنى أنا الذى خلقت

---

(١) وفى فروينة : أن نشغلك

(٢) وفى نسخة أخرى : تضمن .

(٣) وفى فروينه : فلا .

فسويت ، وتصدقت فأعطيت ؟

أما يمنعـــــك ذلك من منازعتى فيما قضيت ، ومعارضتى فيما أتيت ؟

أيها العبد :

ما آمن بى من نازعنى .

ولا وحدنى من دبر معى .

ولا رضى بى من شكا ما أنزلت به إلى غيرى .

ولا اختارنى من اختار معى .

وما امتثل أمرى من لم يستسلم لقهرى .

ولا عرفنى من لم يفوض أمره إلى .

ولقد جهلنى من لم يتوكل علىّ .

أيها العبد :

يكيفك من الجهل أن تسكن لما فى يدك[1] ولا تسكن لما فى يدى وأنا أختار لك أن تختارنى ، فتختار على؟

ويحك : لا تجتمع عبودية واختيار، ولا ظلم وأنوار ، ولا توجهك لى ، وتوجهك للآثار .

---

(١) وفى فروينه : يديك .

فأما أنا لك ، أو أنت[1] لنفسك ، فاختر على بيان ولا تستبدل الهدى بالخسران .

أيها العبد :

لو طلبت منى التدبير لنفسك جهلت ، فكيف إذا دبرت لها ؟

ولو اخترت معى ما أنصفت ، فكيف إذا اخترت علىّ ؟

أيها العبـد : لو أذنت لك أن تدبر كان يجب[2] أن تستحى من أن تدبر ، وكيف وقد أمرتك من أن لاتدبر ؟ .

يا مهموما بنفسه ، لو ألقيتها الينا لاسترحت .

ويحك: أعباء التدبير لا يحملها الا الربوبية ، [ولا تقوى عليها البشرية[3]] .

ويحك : أنت محمول فلا تكن حاملا .

أردنا راحتك ، فلا تكن متعبا لنفسك .

من دبرك فى ظلمات الأحشاء ، وأعطاك بعـد الوجود ما تشـاء ، لا ينبغى لك أن تنازعه فيما يشاء .

---

(١) وفى نسخة أخرى . أنا لك وأنت لنفسك

(٢) وفى فروينه: يجب عليك .

(٣) وفى فروينه : وليس لها ضعف البشرية

أيها العبد : أمرتك بخدمتي ، وضمنت لك قسمتي ،فأهملت ما أمرت وشككت فيما ضمنت ، ولم أكتف لك بالضمان حتى أقسمت ، (ولم أكتف [1]) بالقسم حتى مثلت، وخاطبت عبادا يفهمون ، فقلت :

« وفى السماء رزقكم وما توعدون، فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون » .

ولقد اكتفى بوصفى العارفون ؛ واحتال على كرمى الموقنون ، فلو لم يكن وعدى لعلموا أنى لا أقطع عنهم واردات رفدى ، ولو لم يكن ضمانى، لوثقوا بوجود إحسانى، وقد رزقت من غفل عنى وعصانى، فكيف لا أرزق من أطاعنى ورعانى ؟ .

ويحك : الغارس للشجرة هو ساقيها ، والممدّ للخليقة هو باريها، ويكفيها أنه كافيها ومكافيها.

متى كان الإيجاد ، وعلى دوام الإمداد .

متى كان الخلق ، وعلى دوام الرزق .

ويحك : هل تدعو لدارك الا من تريد أن تطعمه ، وهل تنسب لنفسك إلا من تحب أن تكرمه ؟ .

---

(١) وفى فروينه : وما اكتفيت .

أيها العبد : اجعل همك فى مكان[1] همك برزقك[2] ، فإن ما حملته عنك[3] ، فلا تتعبن به ، وما حملته أنت[4] فكن أنت به .

أندخلك داري ، وتمنعك إبراري ؟

أنبرزك لكونى ، وتمنعك [وجود عونى ؟.

أنخرجك إلى وجودى ، وتمنعك[5]] جودى ؟ .

أأطالبك بحقى ، وأمنعك وجود رزقى .

أأقتضى منك خدمتى ، ولا أقضى لك بقسمتى[6] ؟

ويحك[7]: عندى لك هبات شتى ، وفيك أظهرت رحمتى وما قنعت لك بالدنيا وما ادخرت لك جنتى ، وما اكتفيت لك بذلك حتى اتحفتك برؤيتى ، فإذا كانت هكذا فعالى[8] فكيف تشك فى أفضالى ؟.

---

(١) وفى نسخة : بى .

(٢) وفى نسخة : برزقى .

(٣) وفى نسخة : عندك .

(٤) وفى فروينه : لك .

(٥) ما بين القوسين لم يوجد فى فروينه .

(٦) وفى فروينه : لك قسمة عندى لا تبقى لك .

(٧) وفى نسخة أخرى (ويحك) لم توجد

(٨) وفى نسخة (ا) أفعالى .

أيها العبد : لابد لنعمتي من آخذ ، ولفضلي من قابل ، وأنا الغني عن الانتفاع بالمنافع لما دل عليه الدليل القاطع ؛

فلو سألتني أن أمنعك رزقي ما أجبتك ، ولو سألتني أن أحرمك من فضلي ما أحرمتك[1] ، فكيف وأنت دائما تسألني ؟ وكثيرا ما تطلب مني ؟

فاستح مني إن كنت[2] لا تستحي مني ، وافهم عني ، ولقد أعطى كل العطاء من فهم عني .

أيها العبد : تخيرني ولا تتخير علي ، ووجه قلبك بالصدق إلي ، فإنك إن تفعل أريك غرائب لطفي ، وبدائع جودي ، وأمتع سرك بشهودي .

ولقد[3] أظهرت الطريق لأهل التحقيق ، وبينت[4] معالم الهدى لذوي التوفيق ؛ فبحق سلم إلي الموقنون ، وببيان توكل علي المؤمنون ، علموا أني لهم خير من أنفسهم لأنفسهم ، وإن تدبيري لهم أجدى عليهم من تدبيرهم لها ، فاذعنوا لربوبيتي مستسلمين ، وطرحوا أنفسهم بين يدي

---

(١) وفي نسخه: ماحرمتك .

(٢) وفي فروينه : وإن كنت لا تستحي مني فافهم .

(٣) وفي نسخة : لقد ظهرت .

(٤) وفي نسخة : وتبينت .

مفوضين ، فعوضتهم عوض ذلك راحة فى نفوسهم، ونورا فى عقولهم ، ومعرفة فى قلوبهم ، وتحققا[1] بقربى فى أسرارهم ،

هذا فى هذه الدار ، ولهم عندى إذا قدموا على أن أجل منصبهم ، وأعلى محلهم ، وأنشر ألوية المجـــد عليهم ، ولهم إذا أدخلتهم دارى ، مالا عين رأت ولا أذن سمعت ، ولا خاطر على قلب بشر .

أيها العبد : الوقت الذى أنت تستقبله لم أطالبك فيه بالخدمة ، فكيف تطالبنى فيه بالقسمة ؟

فإذا كلفتك تكلفت لك، وإذا استخدمتك أطعمتك ، واعلم أنى لا أنساك وإن نسيتنى ، وإنى ذكـرتك [2] قبل أن ذكرتنى ،وإن رزقى عليك دائم وإن عصيتنى،

فإذا كنت كـذلك فى اعراضك عنى، فكيف ترى أن أكون لك فى إقبالك على

ما قدرتنى حق قدرى إن لم تسلم لقهرى . ولا رعيت حق بري إن لم تمتثل أمرى ، فلا تعرض[3] عنى فإنك لا تجد من تستبدل منى ،

---

(١) وفى مخطوطه (ا) تحقيقاً .
(٢) وفى نسخة . من قبل أن ذكرتنى .
(٣) وفى نسخة : تعرضن.

ولا تفتنى[١] بغيرى ، فإن أحدا لا يغنيك عنى .

أنا الخالق بقدرتى ، وأنا الباسط لك منتى ، فكما أنه لا خالق غيرى كذلك لا رازق غيرى ،

أأخلق وأحيل على غيرى ؟ وأنا المتفضل وأمنع العباد وجود خيرى ؟

فثق أيها العبد بى فأنا رب العباد ،وأخرج عن مرادك معى أبلغك حين المراد ، واذكر سوابق[٢] لطفى ، ولا تنسى حق الوداد .

خاتمـــة[٣] ودعـــاء

أردنا أن نختم هذا الكتاب بدعاء مناسب لما الكتاب موضوع له ، وهو[٤] :

اللهم إنا نسألك أن تصلى على سيدنا محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ، وعلى آل إبراهيم ، فى العالمين ، إنك حميد مجيـــــد .

اللهم اجعلنا من المستسلمين إليك ، ومن القائمين[٥] بين يديك

---

(١) وفى فزوينه : تفتن .

(٢) وفى نسخة (ا) بسوابق

(٣) العنوان من عمل المحقق .

(٤) وفى نسخة : لما هو موضوع له .

(٥) وفى نسخة (ا) وهو : هذا الدعاء الشريف المبارك بسم الله الرحمن الرحيم . . .

(٦) وفى نسخة : الدائمين

وأخرجنا من التدبير معك ، أو عليك ، واجعلنا من المفوضين إليك .

اللهم إنك قد كنت لنا من قبل أن نكون لأنفسنا ، فكن لنا بعد وجودنا كما كنت قبل[1] وجودنا ، وألبسنا ملابس لطفك ، واقبل علينا بجنابك وعطفك ، واخرج ظلمات التدبير من قلوبنا ، وأشرق نور التفويض فى أسرارنا، وأشهدنا حسن اختيارك لنا حتى يكون ما تقتضيه[2] فينا وتختاره لنا أحب إلينا من مختارنا لأنفسنا .

اللهم لا تشغلنا بما ضمنت لنا عما أمرتنا ، ولا بشىء أنت ضامنه[3] لنا عن شىء أنت طالبه منا .

اللهم إنك دعوتنا إلى الإنقياد اليك ، والدوام بين يديك ، وإنا عن ذلك عاجزون إلا أن تقدرنا ، وضعفاء إلا أن تقوينا .

ومن أين لنا أن نكون فى شىء إلا أن كونتنا ؟

---

(١) وفى نسخة (ا) بجنانك .
(٢) وفى نسخة : تقضيه .
(٣) وفى نسخة : طالبنا به .

وكيف لنا أن نصل لشيء إلا إن وصلتنا ؟

وأنى لنا أن نقوى على شيء إلا إن أعنتنا .

فوفقنا لما به أمرتنا ، وأعنا على الانكفاف عما عنه زجرتنا [١] .

اللهم ادخلنا رياض التفويض ، وجنات التسليم ، ونعمنا بها وفيها ، واجعل أسرارنا معك لا مع نعيمها ولذتها ، ولذذنا بك [٢] لا بزينتها وبهجتها .

اللهم أشرق علينا [من أنوار] [٣] الاستسلام إليك ، والإقبال عليك ، ما تبتهج به أسرارنا ، وتتكمل به أنوارنا .

اللهم إنك قد دبرت كل شيء قبل وجود كل شيء ، وقد علمنا أنه لن يكون إلا ما تريد ، وليس هذا العلم نافعا لنا إلا أن تريد ، فردنا بخيرك ، [وارفع شأننا] [٤] بفضلك ، واقصدنا بعنايتك ، وحفنا برعايتك ، واكسنا من ملابس أهل ولايتك ، وأدخلنا فى وجود حمايتك ، إنك على كل شيء قدير .

---

(١) وفى نسخة : نهيتنا .
(٢) بك : لم توجد فى نسخة (ا) والأصح ذكرها ليستقيم المعنى .
(٣) وفى فروينه : أشرق علينا نور الاستسلام .
(٤) وفى نسخة : وشينا .

اللهم إنا علمنا أن حكمك لا يعاند وقضاءك لا يضادد وقد عجزنا عن رَدِّنا[1] ما قضيت ودفع ما أمضيت فنسألك لطفا فيما قضيت ، وتأييدا فيما أمضيت ، واجعلنا فى ذلك ممن رضيت ، يا رب العالمين .

اللهم إنك قد قسمت لنا قسمة أنت موصلها لنا ، فوصلنا[2] إليها بالهناء والسلامة من العناء مصانين فيها من الحجبة محفوفين فيها بأنوار الوصلة ، نشهدها منك ، فنكون لك من الشاكرين ، ونضيفها لك ، ولا نضيفها لأحد من العالمين .

اللهم إن الرزق بيـــدك رزق الدنيا ، [ورزق[3]] الآخرة ، فارزقنا منها [ما علمت[4]] فيه المصلحة لنا ، والعود بالجدوى علينا .

اللهم اجعلنا من المختارين لك ، ولا تجعلنا من المختارين عليك ، ومن المفوضين لك لا من المعترضين[5] عليك .

---

(١) وفى نسخه أخرى : عن رد . . .
(٢) وفى فروينه : فوصلها الينا .
(٣) ما بين القوسين لم يوجد فى بعض النسخ المخطوطه .
(٤) ما بين القوسين لم يوجد فى بعض النسخ المخطوطه
(٥) وفى نسخه : المتعرضين .

اللهم إنا إليك محتاجون فاعطنا ، وعن الطاعة عاجزون فاقدرنا ، وهب لنا قـــدرة على طاعتك ، وعجزا عن معصيتك ، واستسلاما لربوبيتك ، وصبرا على أحكام إلهيتك ، وعـزا بالإنتسـاب إليك ، وراحة فى قلوبنا بالتوكل عليك ، واجعلنا ممن دخـل ميـادين الرضا ، وكرع من تسنيم التسليم ، وجنى من ثمار المعـارف وألبس[1] خلـع التخصيص ، وأتحف بتحفة القرب ، وفوتح[2] من حضرة الحب دائمين على خدمتك ، محققين لمعرفتك[3] ، متبعين لرسولك ، وارثين عنه ، وآخذين منه ، ومحققين به ، وقائمين بالنيابة عنه) واختم لنا منك بخير يارب العالمين[4]

---

(١) وفى (ا) ألبسنا

(٢) وفى نسخه : وفواتح

(٣) وفى نسخه أخرى : بمعرفتك

(٤) تنبيه : جاء فى نسخة فرويته المخطوطة بعد قول المؤلف رضى الله عنه ورحمه : «واختم لنا منك بخير يارب العالمين» مايلى :

«آمين ثلاثا ، تم الكتاب المبارك بحمد الله وعونه وهو كتاب التنوير فى اسقاط التدبير على يد العبد الفقير إلى رحمة ربه ، إبراهيم ابن عبد الله بن فرويته ، غفر الله له ولوالديه ، ومن يدعو له تأمن الملائكة

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما (١) اه

= على دعائه له بمثله ، وذلك لست بقين من شهر شعبان المكرم سنة ثمان وستين وسبع مائة ، أحسن الله خاتمتها . آمين . آمين . آمين يارب العالمين ، والحمد لله وحده ، وصلواته على سيدنا محمد وآله . حسبنا الله ونعم الوكيل » ا هـ

ويشاء الله تعالى أن يتم تحقيق هذا الكتاب المبارك لست بقين من شهر شعبان المكرم أيضا . وهذا من توفيق الله سبحانه ، (١) وفى نسخة

(١) المخطوطه : وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمى وآله وصحبه وسلم تسليما والحمد لله رب العالمين ؟

تنبيهـــان

(١) ما جاء فى هذا الـكتاب من تقديم ، وتخريج أحاديث وتراجم أعلام، وعناوين، واخراج فنى، اختص به وحده: موسى محمد على الموشى

(٢) ضبط أصول الـكتاب وتصحيحها ومراجعتها على جميع نسخ الـكتاب المخطوط منها والمطبوع وما استلزمه تحقيق الـكتاب من اثبات النقص والتنبيه على المزيد ، قمنا به معا ، فنحن شريكان فيه على نحو هذا البيان م؟

موسى محمد على الموشى ، عبد العال احمد العرابى

محتويات الكتاب

الموضـــــوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

تصويب

صفحة	خطأ	صواب
٧	المفكر	المنكر
٢٦	أذاقك	وأذاقك
٤٢	خيرا لكم	خيرٌ لكم
٦٧	إلاهيته	إلا إلاهيته
٩٩	ثم يعاجله	ثم لم يعاجله
١٠٠	ذكريا	زكريا
١٦٢	وغلطته	وعظمته
١٦٣	حبي	حسبي
١٦٤	فاستعجتنا	فاستجبنا
١٨٤	الثواب	الثوب
١٩٥	عن المقدار	عن المقداد
٢٠٣	يحب يحبون	يحب ويحبون
٢١٥	ومن شذ إلى النار	ومن شذ شذ إلى النار
٢١٨	من نقطة	من نطفة
٢١٩	التدبيرعن لنفسك	عن التدبير لنفسك
٢١٩	طريدان التدبير	طريان التدبير

صـــواب	الخطـــأ	الصحيفة
استضعفـــه	استضفـــه	٢٢٠
فلما دبر العباد	فلما بر العبـــاد	٢٣٦
أمن يجيب المضطر	أمن يجب المضطر	٢٤٧
بتكفيره	بتفكيره	٣١٨
إلا جاهل	إلا عاجل	٣٢٨
القثـــاء	القشاء	٣٢٨
كتبناه في غير هذا الكتاب	كتبناه في هذا الكتاب	٣٣٤
كعب بن عجرة	كعب بن عجر	٣٦٤
جدار غريمـــه	جدار عز يمـــة	٣٧٦
ولا يهـــدى	ولا يهتـــدى	٤٠٢
والهخـــل	والنخـــل	٤١٦
غمـــه	عمـــه	٤٤٧
لك ، فلا تقابله بالعناد	لك ، تقابله بالعناد	٤٥٥

القاهرة الحديثة للطباعة
ت ٩٣٤٣١٠

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٠٣٢ لسنة ١٩٧١

